حادي الأرواح

إلى بلادِ الأفراح

للعلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي
الفقيه الاصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين أبي عبد الله بن
قيم الجوزية المولود سنة ٦٩١ - المتوفى ٧٥١

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه الاعانة)

﴿الحمد لله﴾ الذى جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلا * ويسرهم للاعمال الصالحة الموصلة اليها فلم يتخذوا سواها شغلا * وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة اليها ذللا * خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم اياها قبل أن يوجدهم وحفها بالمكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملا * وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا ، وأودعها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التى هى أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهى خير البشر، على لسان خير البشر، وكمل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا (والحمد لله) فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا ، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، إذ لم يخلقهم عبثا، ولم يتركهم سدى، ولم يغفلهم هملا ، بل خلقهم لامر عظيم، وهيأهم لخطب جسيم ، وعمر لهم دارين فهذه لمن أجاب الداعى ولم يبغ سوى ربه الكريم بدلا ، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأسا ولم يعلق بها أملا . (والحمد لله) الذى رضى من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذى كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلا. (فهذا)عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وأشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له فى الفوز بالجنة والنجاة من النار الا بعفوه ومغفرته: (وأشهد)أن محمدا عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، ارسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين ، وحجة على العباد اجمعين ، بعثه للايمان مناديا ، والى دار

السلام داعيا، وللخليقة هاديا، ولكتابه تاليا ، وفى مرضاته ساعيا، وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا، أرسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته، وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لاحد الامن طريقه ، فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين (فسبحان) من شرح له صدره ، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره . فدعا إلى الله والى جنته سرا وجهاراً، وأذن بذلك بين اظهر الامة ليلا ونهاراً، الى أن طلع فجر الاسلام، واشرقت شمس الايمان، وعلت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان، واضاءت بنور رسالته الارض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها ، فاشرق وجه الدهر حسنا، واصبح الظلام ضياء، واهتدى كل حيران : فلما كمل الله به دينه واتم به نعمته ، ونشر به على الخلائق رحمته ، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده ، وجاهد فى الله حق جهاده ، خيره بين المقام فى الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه : فاختار لقاء ربه محبة له وشوقا اليه ، فاستأثر به ونقله الى الرفيق الاعلى، والمحل الارفع الاسنى، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء، والحجة البيضاء، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره الى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه الى طرق الجحيم: « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم »(فصلى الله)وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وحد الله وعبده، وعرفنا به ودعا اليه (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لامر عظيم، وخطب جسيم، عرض على السموات والارض والجبال فابين وأشفقن منه اشفاقا ووجلا ، وقلن ربنا ان أمرتنا فسمعا وطاعة وان خيرتنا فعافيتك نريد لانبغى بها بدلا ، وحمله الانسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء به على ظلمه وجهله ، فالقى اكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا صحبة الانعام السائمة ، لاينظرون فى معرفة موجدهم وحقه عليهم ، ولافى المراد من ايجادهم واخراجهم الى هذه الدار التى هى طريق ومعبر إلى دار القرار ، ولايتفكرون في قلة مقامهم فى الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم الى الآخرة الباقية ، فقد ملكهم باعث الحس ، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأمانى الباطلة، والخدع الكاذبة * فخدعهم

طول الامل * وران على قلوبهم سوء العمل، فهمهم فى لذات الدنيا ، وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا اليه زرافات ووحدانا . وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضوانا * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون * نسوا الله فانساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون . والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه * وكل نفس من انفاسه لاقيمة له إذا ذهب لم يرجع اليه ، فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ، ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدرى إلى أى الدارين ينقل ؛ فاذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته . لا لما سبق من جناياته . وسلف من تفريطه ، حيث لم يقدم لحياته . فاذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو ، وقال قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الاليم

فصل

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بايجادهم رفعوا رؤسهم فاذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا اليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فى أبد لا يزول ولا ينفد بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قليلا أبكى كثيرا ، وان سر يوما أحزن شهورا . آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف اضعاف مسراته ؛ أوله مخاوف وآخره متالف ، فياعجبا من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل ، آثر الحظ الفانى الخسيس ، على الحظ الباقى النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والارض ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات ، والبليات ، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وابكارا عربا اترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيآت الاخلاق مسافحات أو متخذات أخدان ، وحورا مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الانام ، وانهاراً من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ

والياقوت والزبرجد يوم المزيد ؛ بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ؛ ونداء المنادى ياأهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا،وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا،وتشبوا فلا تهرموا،بغناء المغنين

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمنى اللوم

وانما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة ؛ وانما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون الي الرحمن وفدا،وسيق المجرمون إلى جهنم وردا،ونادى المنادى على رؤس الاشهاد ؛ ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد،فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعدالله لهم من الاكرام، وادخر لهم من الفضل والانعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ؛ ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أى بضاعة أضاع ؛ وأنه لاخير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع؛وعلم ان القوم قد توسطوا ملكا كبيرا لاتعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال،وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال،فهم فى روضات الجنة يتقلبون،وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون وعلى الفرش التى بطائنها من استبرق يتكئون،وبالحور العين يتنعمون،وبانواع الثمار يتفكهون ؛ يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين لايصدعون عنها ولا ينزفون،وفاكهة مما يتخيرون،ولحم طير مما يشتهون،وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون ؛جزاء بما كانوا يعملون،يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون،تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد، فما قلب ولا استام الا أفراد من العباد،فواعجبا لها كيف نام طالبها ؛ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ؛ وكيف طاب العيش فى هذه الدار ؛ بعد سماع اخبارها ، وكيف قر للمشتاق القرار ؛ دون معانقة ابكارها ؛ وكيف قرت دونها اعين المشتاقين ؛ وكيف صبرت عنها انفس الموقنين، وكيف صدفت عنها قلوب اكثر العالمين ؛ وباى شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين

(شعر فى وصف الجنة)

وما ذاك الا غيرة أن ينالها سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وان حجبت عنا بكل كريهة وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم

فلله ما فى حشوها من مسرة　　واصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها　　وروضاتها والثغر فى الروض يبسم
ولله واديها الذى هو موعد الـــمزيد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادى يهيم صبابة　　محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عند ما　　يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة　　فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فيانظرة اهدت الى الوجه نضرة　　أمن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله كم من خيرة إن تبسمت　　أضاء لها نور من الفجر اعظم
فيالذة الابصار ان هى أقبلت　　ويا لذة الاسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت　　ويا خجلة الفجرين(١)حين تبسم
فان كنت ذا قلب عليل بحبها　　فلم يبق الا وصلها لك مرهم
ولا سيما فى لثمها عند ضمها　　وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها　　يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها　　فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفاح جنة　　ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها　　وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن فى جمع واحد　　فياعجبا من واحد يتقسم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت　　بجملتها إن السلو محرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر　　فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
اذا قابلت جيش الهموم بوجهها　　تولى على أعقابه الجيش يهزم
فياخاطب الحسناء ان كنت راغبا　　فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها　　تيقن حقا أنه ليس يهرم
وكن مبغضا للخائنات لحبها　　فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيما ممن سواها فانها　　لمثلك فى جنات عدن تأيم
وصم يومك الادنى لعلك فى غد　　تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص　　فما فاز باللذات من ليس يقدم
وان ضاقت الدنيا عليك باسرها　　ولم يك فيها منزل لك يعلم

فحى على جنـات عدن فأنها　منـازلنا الاولى وفيهـا المخيم
ولـكننا سبى العدو فهـل ترى　نعود الي أوطاننـا ونسـلم
وقـد زعموا ان الغريب إذانأى　وشطت به أوطـانه فهو مغرم
وأى اغـتراب فوق غربتنا التى　لها أضحت الاعداء فينـا تحـكم
وحى على السوق الذى فيه يلتقى الـمحبون ذاك السوق لاقوم يعلم
فما شئت خـذ منـه بلا ثمن له　فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحى على يوم المزيـد الذى به　زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحى على واد هنـالك أفيـح　وتربته من إذفر المسك أعظم
منابر من نور هنـاك وفضـة　ومن خالص العقيـان لاتتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا　لمن دون أصحاب المنـابر يعلم
فبينا همو فى عيشهم وسرورهم　وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
اذاهم بنـور ساطع أشرقت له　باقطارهـا الجنـات لايتـوهم
تجـلى لهم رب السموات جهـرة　فيضحك فوق العرش ثم يـكلم
سلام عليـكم يسمعون جميعهم　بآذانهـم تسـليمه اذ يسـلم
يقول سلونى ما اشتهيتم فكل ما　تريدون عنـدى اننى أنا أرحم
فقـالوا جميعا نحن نسألك الرضا　فانت الذى تولى الجميـل وترحم
فيعطيهـم هـذا ويشهد جمعهـم　عليه تعـالى الله والله أكـرم
فيابائعا هـذا ببخس معجـل　كأنك لاتدرى ، بلى سوف تعلم
فان كنت لاتدرى فتلك مصيبة　وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

﴿ فصل ﴾

وهـذا كتاب اجتهدت فى جمعـه وترتيبه * وتفصيله وتبويبـه ، فهـو للمحزون سلوة . وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة . محرك للقلوب . إلى أجل مطلوب . وحاد للنفوس . الى مجاورة الملك القدوس . ممتع لقارئه . مشوق للناظر فيه . لايسأمه الجليس . ولايمله الانيس . مشتمل من بدائع الفوائد . وفرائد القلائد . على ما لعل المجتهد فى الطلب . لايظفر به فيما سواه من الـكتب مع تضمينه لجملة كثيرة من الاحاديث المرفوعات . والآثار الموقوفات . والاسرار المودعة فى كثير من الآيات . والنكت البديعات . وإيضاح كثير من المشكلات . والتنبيه على أصول من الاسماء والصفات . اذا نظر فيه الناظر زاده

إيمانا . وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانا . فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات . وباعث الهمم العليات . الى العيش الهنى فى تلك الغرفات (وسميته حادى الارواح . الى بلاد الافراح) فانه اسم يطابق مسماه . ولفظ يوافق معناه . والله يعلم ماقصدت . وما بجمعه وتأليفه أردت . فهو عند لسان كل عبد وقلبه . وهو المطلع على نيته وكسبه . وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة . بما أعدالله لهم فى الجنة . فأنهم المستحقون للبشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة . وهم أولياء الرسول وحزبه . ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه . لاتأخذهم فى نصرة سنته ملامة اللوام، ولا يتركون ماصح عنه لقول أحد من الانام . والسنه أجل فى صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهياً . أو بحثا جدلياً، أو خيالا صوفياً، أو تناقضاً كلامياً، أو قياسا فلسفيا . أو حكما سياسيا . فمن قدم عليها شيئا من ذلك فباب الصواب عليه مسدود . وهو عن طريق الرشاد مصدود . فياأيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه . ولك صفوه . وعليه كدره . وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك . وبنات أفكاره تزف اليك . فان صادفت كفؤا كريما لم تعدم منه امساكا بمعروف أو تسريحا بأحسان . وان كان غيره فالله المستعان . فما كان من صواب فمن الواحد المنان . وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان . والله برىء منه ورسوله وقد قسمت الكتاب سبعين بابا (الباب الأول) فى بيان وجود الجنة الآن (الباب الثانى) فى اختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم هل هى جنة الخلد أو جنة فى الارض (الباب الثالث) فى سياق حجج من ذهب الى أنها جنة الخلد (الباب الرابع) فى سياق حجج الطائفة التى قالت انها فى الارض (الباب الخامس) فى جواب أرباب هذا القول لمن نازعهم (الباب السادس) فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عن حجج منازعيهم (الباب السابع) فى ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد (الباب الثامن) فى الجواب عما احتجوا به من الشبه (الباب التاسع) فى ذكر عدد أبواب الجنة (الباب العاشر) فى ذكر سعة أبوابها (الباب الحادى عشر) فى صفة أبوابها (الباب الثانى عشر) فى ذكر مسافة مابين الباب والباب (الباب الثالث عشر) فى مكان الجنة واين هى (الباب الرابع عشر) فى مفتاح الجنة (الباب الخامس عشر) فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يكتب

لاهلها (الباب السادس عشر) فى بيان توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد (الباب السابع عشر) فى درجات الجنة (الباب الثامن عشر) فى ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة (الباب التاسع عشر) فى عرض الرب تعالى سلعته على عباده وثمنها الذى طلبه منهم، وعقد التبايع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم الخ (الباب العشرون) فى طلب الجنة أهلها من ربهم، وشفاعتها فيهم وطلبهم لها (الباب الحادى والعشرون) فى أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها (الباب الثانى والعشرون) فى عدد الجنات وأنواعها (الباب الثالث والعشرون) فى خلق الرب تعالى لبعضها بيده (الباب الرابع والعشرون) فى ذكر بوابيها وخزنتها (الباب الخامس والعشرون) فى ذكر أول من يقرع باب الجنة (الباب السادس والعشرون) فى ذكر أول الامم دخولا الجنة (الباب السابع والعشرون) فى ذكر السابقين من هذه الامة الى الجنة وصفتهم (الباب الثامن والعشرون) فى سبق الفقراء الاغنياء الى الجنة (الباب التاسع والعشرون) فى ذكر أصناف أهل الجنة التى ضمنت لهم دون غيرهم (الباب الثلاثون) فى ان أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (الباب الحادى والثلاثون) فى أن النساء فى الجنة والنار أكثر من الرجال (الباب الثانى والثلاثون) فيمن يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر أوصافهم (الباب الثالث والثلاثون) فى ذكر حثيات الرب عز وجل الذين يدخلهم الجنة (الباب الرابع والثلاثون) فى ذكر تربة الجنة وطينها وحصبائها ونباتها (الباب الخامس والثلاثون) فى ذكر نورها وبياضها (الباب السادس والثلاثون) فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها (الباب السابع والثلاثون) فى ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم اذا دخلوا الجنة وان لم يروها قبل ذلك (الباب الثامن والثلاثون) فى كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون به عند دخولها (الباب التاسع والثلاثون) فى ذكر صفة أهل الجنة فى خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم (الباب الأربعون) فى ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم (الباب الحادى والاربعون) فى تحفة أهل الجنة أول ما يدخلونها (الباب الثانى والاربعون) فى ذكر ريح الجنه ومن مسيرة كم يوجد (الباب الثالث والاربعون) فى الاذان الذى يؤذن به المؤمن فيها (الباب الرابع والاربعون) فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها (الباب الخامس والاربعون) فى ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها (الباب السادس والاربعون) فى ذكر الزرع فى الجنة (الباب السابع والاربعون) فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذى تجرى

عليه (الباب الثامن والاربعون) فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه
(الباب التاسع والاربعون) فى ذكر آنيتهم التى يأكلون ويشربون فيها واجناسها
وصفاتها (الباب الخمسون) فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم
ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم (الباب الحادى والخمسون) فى ذكر خيامهم
وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم (الباب الثانى والخمسون) فى ذكر خدام أهل
الجنة وغلمانهم (الباب الثالث والخمسون) فى ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم
وأصنافهن وأوصافهن وحالهن الظاهر والباطن وجمالهن (الباب الرابع والخمسون)
فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم
بأزواجهن (الباب الخامس والخمسون) فى ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم
والتذاذهم بذلك ، ونزاهته عن المذى والمنى (الباب السادس والخمسون) فى
اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم لا؟ وحجة الفريقين (الباب السابع
والخمسون) فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين (الباب الثامن والخمسون)
فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم (الباب التاسع والخمسون) فى
زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا ومذاكرتهم ما كان بينهم فى الدنيا (الباب الستون)
فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله فيها لاهلها (الباب الحادى والستون)
فى زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى (الباب الثانى والستون) فى ذكر
السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة (الباب الثالث والستون) فى ذكر ملك
الجنة وان أهلها كلهم ملوك فيها (الباب الرابع والستون) فى ان الجنة فوق ما
يخطر بالبال أو يدور فى الخيال ، وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها
(الباب الخامس والستون) فى رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بابصارهم
جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا اليهم سبحانه لا إله الا هو (الباب
السادس والستون) فى تكليمه سبحانه لاهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته اياهم
وسلامه عليهم (الباب السابع والستون) فى أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد
(الباب الثامن والستون) فى ذكر آخر أهل الجنة دخولا اليها (الباب التاسع
والستون) وهو باب جامع فيه فصول منثورة (الباب السبعون) فى المستحق
لهذه البشارة دون غيره والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يجعله خالصا
لوجهه الكريم ، مدنيا لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم * وأن يجعله حجة

له ولا يجعله حجة عليه، وأن ينفع به من انتهى اليه، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل

— الباب الاول فى بيان وجود الجنة الآن —

لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك واثباته مستندين فى ذلك الى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم؛ فأنهم دعوا الامم اليها، وأخبروا بها الى ان نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن؛ وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله؛ وأنه ينبغى له أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم فهم مشبهة فى الافعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات، وقلوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث فانها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، قلوا ومن المعلوم ان ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها ألوان الاطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه.!! فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة؛ وآرائهم الباطلة!! وشبهوا أفعاله بافعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء ولهذا يذكر السلف فى عقائدهم ان الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها (قال) أبو الحسن الاشعرى فى كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئا وأن الله تعالى اله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وان الله تعالى على عرشه، كما قال «الرحمن على العرش استوى» وان له يدين بلا كيف كما قال « خلقت بيدى» وكما قال «بل يداه مبسوطتان» وأن له عينين بلا كيف كما

قال: «تجرى بأعيننا» وأن له وجهاً كما قال «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن لله علما كما قال «أنزله بعلمه» وكما قال «وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه» وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال: «أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة» وقالوا إنه لا يكون فى الارض من خير ولا شر الا ما شاء الله وأن الاشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله» وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (وقالوا) إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئا علم الله انه لا يفعله، وأقروا انه لا خالق الا الله تعالى؛ وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وان العباد لا يقدرون ان يخلقوا اشيئا، وان الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته؛ وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين ولا اصلحهم ولا هداهم ولو اصلحهم لكانوا صالحين؛ ولو هداهم لكانوا مهتدين؛ وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين؛ ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره؛ ويؤمنون أنهم لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله كما قال: (١) ويلجئون أمرهم إلى الله؛ ويثبتون الحاجة إلى الله فى كل وقت والفقر الى الله فى كل حال؛ ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ والكلام فى الوقف واللفظ فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم؛ لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق؛ ويقولون إن الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لانهم عن الله تعالى محجوبون؛ قال الله تعالى: «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية فى الدنيا؛ وإن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا؛ فاعلمه بذلك أنه لا يراه فى الدنيا بل يراه فى الآخرة؛ ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الايمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره؛ وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم؛ والاسلام هو أن يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله كما جاء فى الحديث والاسلام

(١) وهو قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله

عندهم غير الايمان، ويقرون بان الله مقلب القلوب، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ وأنها لاهل الكبائر من أمته، و بعذاب القبر وأن الحوض حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله لعباده حق، والوقوف بين يدى الله تعالى حق ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غيره مخلوق ويقولون اسماء الله هى الله تعالى ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لاحـد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء، ويقولون أمرهم إلى الله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوما من الموحدين من النار على ماجاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، وينكرون الجدال والمراء فى الدين والخصومة فى القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهـل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولمـا جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا يقولون كيف ولا لم؟ لان ذلك بدعة ويقولون إن الله تعالى لم يأمر بالشر، بل نهى عنه وأمر بالخير، ولم يرض بالشرك وان كان مريداً له، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضى الله عنهم ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ ويصدقون بالاحاديث التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم «أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر؟» كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى «فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول» ويرون اتباع من سلف من أئمـة الدين وأن لا يتبعوا فى دينهم مالم يأذن به الله ويقرون ان الله تعالى يجىء يوم القيامة كما قال «وجاء ربك والملك صفا صفا» وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال «ونحن أقرب اليه من حبل الوريد» ويرون العيدين والجمعة والجمـاعة خلف كل امام بر أو فاجر، ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه فى الحضر والسفر، ويثبتـون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقـاتل الدجال وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمـة المسلمين بالصـلاح وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا فى الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى بن مريم عليـه

الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا فى المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل اليهم، ويصدقون أن فى الدنيا سحرة وان الساحر كافر كما قال الله تعالى (١) وأن السحر كائن موجود فى الدنيا ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان وان من مات مات بأجله، وكذلك كل من قتل قتل بأجله، وان الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراما، وأن الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن، وأن الاطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم، وان شاء فعل بهم ما أراد وان الله تعالى عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأن الامور بيد الله تعالى ويرون الصبر على حكم الله والاخذ بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه، واخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ويدينون بعبادة الله فى العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازدراء على الناس والعجب، ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل واليه المصير، والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسسا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة وان أهل هذه المقالة هم أهلها وبالله التوفيق * وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى» وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما فى الصحيحين من حديث أنس فى قصة الاسراء وفى آخره «ثم انطلق بى جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى؟ قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان أحدكم

اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة
وان كان من أهل النار فمن أهل النار. فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى
يوم القيامة » وفى المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء
ابن عازب قال: « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من
الانصار - فذكر الحديث بطوله: وفيه: فينادى مناد من السماء إن صدق عبدى
فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة: قال فيأتيه من
روحها وطيبها » وذكر الحديث. وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال
قال رسول الله ﷺ: « ان العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع
قرع نعالهم قال فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا
الرجل؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله: قال فيقولان له انظر إلى
مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا فى الجنة: قال نبى الله صلى الله عليه وسلم
فيراهما جميعاً ». وفى صحيح أبى عوانة الاسفرايينى وسنن أبى داود من حديث
البراء بن عازب الطويل فى قبض الروح « ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار
فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله تعالى أبدلك الله به هذا فاذا رأى ما فى الجنة
قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى فيقال اسكن » وفى مسند
البزار وغيره من حديث أبى سعيد قال: « شهدنا مع النبى صلى الله عليه وسلم جنازة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها
فاذا دفن الانسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فأقعده فقال
ماتقول فى هذا الرجل؟ يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم: فان كان مؤمناً قال أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله: فيقولون له صدقت ثم يفتح له باب إلى النار
فيقولون هذا كان منزلك لو كفرت بربك فاما اذ آمنت به فهذا منزلك فيفتح
له باب الى الجنة فيريد أن ينهض الى الجنة فيقولون له اسكن » وذكر الحديث
وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت: « خسفت الشمس فى حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكرت الحديث الى ان قالت ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله
ثم قال إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته
فاذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رأيت فى
مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني

أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتمونى تأخرت» . وفى الصحيحين واللفظ للبخارى عن عبد الله بن عباس قال: «انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفيه فقال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله: فقالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئا فى مقامك ثم رأيناك تكعكعت ؛ فقال انى رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه مابقيت الدنيا: ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع؛ ورأيت أكثر أهلها النساء: قالوا بم يارسول الله؟ قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان: لو أحسنت إلى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت مارأيت منك خيرا قط» وفى صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم فى صلاة الخسوف قال «قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ؛ ودنت منى النار حتى قلت أى رب وأنا معهم فاذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة قلت ماشأن هذه ؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعا لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل» وفى صحيح مسلم من حديث جابر فى هذه القصة قال: «عرض على كل شىء تولجونه فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفا فقصرت يدى عنه: وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بنى اسرائيل تعذب فى هرة لها» وذكر الحديث. وفى صحيح مسلم عنه فى هذا الحديث: «مامن شىء توعدونه إلا قد رأيته فى صلاتى هذه: لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافة أن يصيبنى من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار وكان يسرق الحاج بمحجنه فاذا فطن له قال انما تعلق بمحجنى وان غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت جوعا، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى ولقد مددت يدى وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا اليه ثم بدا لى أن لا أفعل فما من شىء توعدونه الا قد رأيته فى صلاتى هذه» . وفى مسند الامام أحمد وسنن أبى داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو فى هذه القصة «والذى نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم» وذكر الحديث: وفى صحيح

مسلم من حديث أنس بن مالك قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال يأيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤسكم فانى أراكم من امامى ومن خلفى وأيم الذى نفسى بيده لو رأيتم مارأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، قالوا وما رأيت يارسول الله؟ قال رأيت الجنة والنار» وفى الموطأ والسنن من حديث كعب ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انما نسمة المؤمن طير يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة» وهذا صريح فى دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ومثله حديث كعب بن مالك أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم «ان أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق فى ثمر الجنة أو شجر الجنة» رواه أهل السنن وصححه الترمذى. وسيأتى فى آخر هذا الكتاب فى الباب الذى يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الاحاديث ان شاء الله تعالى، وذكر دلالة القرآن على مادلت عليه السنة من ذلك. وفى صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبى هريرة «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال اذهب فانظر اليها وإلى ما أعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ما أعد الله لاهلها فيها فرجع فقال وعزتك لايسمع بها أحد الادخلها؛ فامر بالجنة فحفت بالمكاره؛ فقال فارجع فانظر اليها وإلى ما أعددت لاهلها فيها؛ قال فنظر اليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد؛ قال ثم أرسله إلى النار قال اذهب فانظر اليها وإلى ما أعددت لاهلها فيها قال فنظر اليها فاذا هى يركب بعضها بعضا ثم رجع فقال وعزتك وجلالك لايدخلها أحد سمع بها؛ فامر بها فحفت بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إلى ما أعددت لاهلها فيها فذهب فنظر اليها فرجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لاينجو منها أحد الا دخلها» قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة «حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات». وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة يارب مالها انما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؛ وقالت النار يارب مالها يدخلها الجبارون والمتكبرون فقال أنت رحمتى أصيب بك من أشاء وأنت عذابى أصيب بك من أشاء ولكل

واحدة منكما ملؤها» وفى الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فاذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف» وروى الليث بن سعد عن معاوية ابن صالح عن عبد الملك بن بشير ورفع الحديث قال «مامن يوم الا والجنة والنار يسألان تقول الجنة يارب قد طاب ثمرى واطردت أنهارى واشتقت إلى أوليائى فعجل إلى بأهلى، وتقول النار اشتد حرى وبعد قعرى وعظم جمرى فعجل على بأهلى» وفى صحيح البخارى من حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بينما أنا أسير فى الجنة وإذا بنهر فى الجنة حافتاه قباب الدر المجوف قال قلت ماهذا ياجبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك. فضرب الملك بيده فاذا طينه المسك الاذفر» وفى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا ودارا فقلت لمن هذا؟ فقيل لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو، فقيل لعمر بن الخطاب فلولا غيرتك ياأبا حفص لدخلته، قال فبكى عمر وقال أو يغار عليك يارسول الله» وسيأتى حديث بلال وقول النبى صلى الله عليه وسلم «مادخلت الجنة الا سمعت خشخشتك بين يدى» وغير ذلك من الاحاديث التى تأتى ان شاء الله تعالى. وقال عبد الله بن وهب أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم صلاة الصبح ثم مد يده ثم أخرها فلما سلم قيل له يارسول الله لقد صنعت فى صلاتك شيئا لم تصنعه فى غيرها، قال انى رأيت الجنة فرأيت فيها دالية قطوفها دانية حبها كالدباء فأردت أن أتناول منها فاوحى إليها أن استأخرى فاستأخرت ثم رأيت النار فيما بينى وبينكم حتى لقد رأيت ظلى وظلكم فاومأت اليكم أن استأخروا فاوحى الى أقرهم فانك اسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا فلم أر لى عليكم فضلا الا بالنبوة» فان قيل فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها الآن بقصة آدم ودخوله الجنة واخراجه منها بأكله من الشجرة والاستدلال بها فى غاية الظهور؟ «قيل» الاستدلال بذلك وان كان عند العامة فى غاية الظهور فهو فى غاية الغموض لاختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة أو كانت جنة فى الارض فى شرفها ونحو

بذكر من قال بهذا ومن قال بهذا وما احتج به كل فريق على قولهم، وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته

﴿ الباب الثانى ﴾

(فى اختلاف الناس فى الجنة التى أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها هل هى جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها فى موضع عال من الارض)

قال منذر ابن سعيد فى تفسيره وأما قوله تعالى لآدم «اسكن أنت وزوجك الجنة» فقالت طائفة أسكن الله آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة وقال آخرون هى جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه اياها ليست جنة الخلد. قال وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به وقال أبو الحسن الماوردى فى تفسيره واختلف الناس فى الجنة التى أسكناها على قولين (أحدهما) أنها جنة الخلد (الثانى) أنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء وليست هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين (أحدهما) أنها فى السماء لانه أهبطهما منها وهذا قول الحسن (الثانى) أنها فى الارض لانه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام والله أعلم بصواب ذلك هذا كلامه وقال ابن الخطيب فى تفسيره المشهور واختلفوا فى الجنة المذكورة فى هذه الآية هل كانت فى الارض أو فى السماء؟ وبتقدير انها كانت فى السماء فهل هى الجنة التى هى دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى؟ فقال أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الاصبهانى هذه الجنة فى الارض وحملا الاهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما فى قوله «اهبطوا مصراً» واحتجا عليه بوجوه. (القول الثانى) وهو قول الجبائى ان تلك الجنة كانت فى السماء السابعة (والقول الثالث) وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هى دار الثواب. وقال أبو القاسم الراغب فى تفسيره واختلف فى الجنة التى أسكنها آدم فقال بعض المتكلمين كان بستانا جعله الله تعالى له امتحانا ولم تكن جنة المأوى وذكر بعض الاستدلال على القولين وممن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرمانى فى تفسيره واختار أنها جنة الخلد ثم قال والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل وأكثر أصحابنا وهو قول أبى على وشيخنا أبى بكر وعليه أهل التفسير واختار ابن الخطيب التوقف فى المسألة وجعله قولا رابعا فقال (والقول الرابع) ان الكل ممكن والادلة متعارضة فوجب التوقف وترك القطع قال منذر بن سعيد والقول

بانها جنة فى الارض ليست جنة الخلد قول أبى حنيفة وأصحابه قال وقد رأيت أقواما نهضوا لمخالفتنا فى جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والامانى ماأتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولا ولا شاذاً مشهورا . وقد أوجدناهم ان فقيه العراق ومن قال بقوله قلوا ان جنة آدم ليست جنة الخلد وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤساء المخالفين وانما قلت هذا ليعلم أنى لا انصر مذهب أبى حنيفة وانما أنصر ما قام لى عليه الدليل من القرآن والسنة هذا ابن زيد المالكى يقول فى تفسيره سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هى؟ فقال السكوت عن الكلام فى هذا أفضل، وهذا ابن عيينة يقول فى قوله عز وجل «إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى» قال يعنى فى الارض وابن نافع امام وابن عيينة امام وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما وهذا ابن قتيبة ذكر فى كتاب المعارف بعد ذكره خلق الله لآدم وزوجه قال ثم تركهما وقال اثمروا واكثروا واملؤا الارض وتسلطوا على أنوان البحور وطير السماء والانعام وعشب الارض وشجرها وثمرها فأخبر أن فى الارض خلقه وفيها أمره ثم قال ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات ثم ذكر الحية فقال وكانت أعظم دواب البر فقالت للمرأة انكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة، ثم قال بعد كلام ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الارض التى منها أخذ ثم قال قال وهب وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن فى شرقى أرض الهند قال واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به واديا من أودية اليمن فى شرقى عدن فكمن فيه وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس فى قوله اهبطوا هو كما يقال هبط فلان أرض كذا وكذا قال منذر بن سعيد فهذا وهب بن منبه يحكى ان آدم عليه السلام خلق فى الارض وفيها سكن وفيها نصب له الفردوس وانه كان بعدن وان أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذى كان يسمى فردوس آدم وتلك الانهار بقيت فى الارض لا اختلاف بين المسلمين فى ذلك فاعتبروا ياأولى الالباب وأخبر أن الحية التى كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ولم يقل من أعظم دواب السماء فهم يقولون إن الجنة لم تكن فى الارض وانما كانت فوق السماء السابعة ثم قال وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس فى جنة المأوى مشرق ولا مغرب لانه

لا شمس فيها ثم قال وأخرجه إلى الارض التى أخذ منها يعنى أخرجه من الفردوس الذى نصب له فى عدن فى شرقى أرض الهند وهذه الاخبار التى حكى ابن قتيبة انما تنبىء عن أرض اليمن وعن عدن وهى من أرض اليمن وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعدن ثم أكد ذلك بان قال الاربعة الانهار التى ذكرناها منقسمة عن النهر الذى كان يسمى فردوس آدم قال منذر وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبى هريرة قال واشتهى آدم عند موته قطفا من الجنة التى كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة وهو فى الارض فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقا يطلبون لابيهم ثمر جنة الخلد فى الارض؛ قال ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ولو كانت جنة الخلد لخلد فيها ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان . فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف فى هذه المسئلة ونحن نسوق حجج الفريقين ان شاء الله تعالى ونبين مالهم وما عليهم

(الباب الثالث)

[١] (فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التى يدخلها الناس يوم القيامة) قالوا قولنا هذا هو الذى فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه وأكثرهم لا يعلم فى ذلك نزاعا؛ قالوا وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك عن أبى حازم عن أبى هريرة وأبى مالك عن ربعى عن حذيفة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم؟» وذكر الحديث قالوا وهذا يدل على أن الجنة التى أخرج منها هى بعينها التى يطلب منه ان يستفتحها. وفى الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى أخرجتنا ونفسك من الجنة ولو كانت فى الارض فهم قد خرجوا من بساتين فلم يخرجوا من الجنة وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا . قالوا وقد قال تعالى فى سورة البقرة «وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما

كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع إلى حين» فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الارض من وجهين (أحدهما) من لفظة اهبطوا فانه نزول من علو إلى سفل و(الثانى) قوله ولكم فى الارض مستقر عقب قوله اهبطوا فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الارض ثم أكد هذا بقوله فى سورة الاعراف «قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون» ولو كانت الجنة فى الارض لكانت حياتهم فيها قبل الاخراج وبعده قالوا وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون الا فى جنة الخلد فقال: «إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى» وهذا لا يكون فى الدنيا أصلا فأن الرجل ولو كان فى أطيب منازلها لابد أن يعرض له شىء من ذلك وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ والعرى والضحى فان الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى وهذا شأن ساكن جنة الخلد . قالوا وأيضاً فلو كانت تلك الجنة فى الدنيا لعلم آدم كذب ابليس فى قوله «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» فأن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وان ملكها يبلى، قالوا وأيضا هذه القصة فى سورة البقرة ظاهرة جداً فى أن الجنة التى أخرج منها فوق السماء فانه سبحانه قال: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع إلى حين، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» فهذا اهباط آدم وحواء وابليس من الجنة فلهذا أتى فيه بضمير الجمع وقد قيل إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جداً اذ لا ذكر للحية فى شىء من قصة آدم ولا فى السياق مايدل عليها . وقيل الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله «وكنا لحكمهم شاهدين» وهما داود وسليمان وقيل لآدم وحواء وذريتهما وهذه الاقوال ضعيفة غير الاول لانها بين قول لادليل عليه وبين مايدل اللفظ على خلافه فثبت أن ابليس داخل فى هذا الخطاب وأنه من

المهبطين، فاذا تقرر هذا فقد ذكر سبحانه الاهباط ثانيا بقوله «قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» والظاهر أن هذا الاهباط الثانى غير الاول وهو اهباط من السماء إلى الارض والأول اهباط من الجنة وحينئذ فتكون الجنة التى أهبط منها أولا فوق السماء جنة الخلد وقد ظن الزمخشرى أن قوله اهبطوا منها جميعا خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما قال والدليل عليه قوله تعالى: «قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو» قال ويدل على ذلك قوله «فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى قوله بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم بعضا . وهذا الذى اختاره أضعف الاقوال فى الآية فان العداوة التى ذكرها الله تعالى انما هى بين آدم وابليس وذريتهما كما قال الله تعالى: «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً» وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والانسان وأعاد وأبدى ذكرها فى القرآن لشدة الحاجة الى التحرز من هذا العدو، وأما آدم وزوجته فانه انما أخبر فى كتابه أنه خلقها ليسكن اليها وجعل بينهما مودة ورحمة فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته والعداوة بين الانسان والشيطان وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وابليس وهم ثلاثة فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشرى شيئاً . وأما قوله تعالى فى سورة طه: «قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو» وهذا خطاب لآدم وحواء وقد جعل بعضهم لبعض عدوا فالضمير فى قوله اهبطا منها أما أن يرجع الى آدم وزوجته أو إلى آدم وابليس ولم يذكر الزوجة لانها تبع له وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالاهباط وهما آدم وابليس فالأمر ظاهر، وأما على الاول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين (أحدهما) أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط والثانى اخباره بالعداوة بين آدم وزوجته وبين ابليس ولهذا أتى بضمير الجمع فى الثانى دون الاول ولابد أن يكون ابليس داخلا فى حكم هذه العداوة قطعا كما قال تعالى: «ان هذا عدو لك ولزوجك» وقال للذرية: «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً» وتأمل كيف اتفقت المواضع التى فيها ذكر العداوة على ضمير

الجمع دون التثنية؟ وأما الاهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع وتارة بلفظ التثنية وتارة بلفظ الافراد كقوله فى سورة الاعراف قال اهبط منها وكذلك فى سورة ص وهذا لابليس وحده وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وابليس اذ مدار القصة عليهم وحيث ورد بلفظ التثنية فأما أن يكون لآدم وزوجه اذهما اللذان باشرا الاكل من الشجرة وأقدما على المعصية ؛ وإما أن يكون لآدم وابليس اذهما أبوا الثقلين وأصلا الذرية فذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لاولادهما وقد حكيت القولين فى ذلك والذى يوضح أن الضمير فى قوله اهبطا منها جميعا لآدم وابليس أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفردبها آدم دون زوجه فقال «وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى؛ قال اهبطا منها جميعاً» وهذا يدل على ان المخاطب بالاهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعاً فان المقصود إخبار الله تعالى للثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الامر فذكر أبويهما أبلغ فى حصول هذا المعنى من ذكر أبوى الانس فقط وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الاكلة فعلم أن حكم الزوجة كذلك وأنها صارت الى ماصار اليه آدم ؛ وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوى الثقلين أولى من تجريده الى ذكر أبى الانس وأمهم فتأمله . وبالجملة فقوله « اهبطوا بعضكم لبعض عدو» ظاهر فى الجمع فلا يسوغ حمله على الاثنين فى قوله «اهبطا» من غير موجب . قالوا وأيضا فالجنة جاءت معرفة بلام التعريف فى جميع المواضع كقوله «اسكن أنت وزوجك الجنة» ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها الا جنة الخلد التى وعد الرحمن عباده بالغيب فقد صار هذا الاسم علماً عليها بالغلبة كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها فحيث ورد لفظها معرفا انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة فى قلوب المؤمنين وأما ان أريد به جنة غيرها فأنها تجيء منكرة أو مقيدة بالاضافة ؛ أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة فى الارض فالاول كقوله «جنتين من أعناب» والثانى كقوله «ولولا اذ دخلت جنتك» والثالث كقوله «انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة» قالوا ومما يدل على أن جنة آدم هى جنة المأوى ماروى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى الاشعرى قال: «ان الله تعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء

فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لاتتغير» قالوا وقد ضمن الله سبحانه وتعالى له ان تاب اليه وأناب أن يعيده اليها كما روى المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» قال (يارب ألم تخلقنى بيدك؟ قال بلى، قال أى رب ألم تنفخ فى من روحك؟ قال بلى، قال أى رب الم تسكنى جنتك؟ قال بلى، قال أى رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى، قال ارأيت ان تبت واصلحت اراجعي أنت إلى الجنة؟ قال بلى، قال فهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وله طرق عن ابن عباس وفى بعضها «كان آدم قال لربه اذ عصاه رب ان أنا تبت وأصلحت فقال له ربه انى راجعك الى الجنة» فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ونحن نسوق حجج الآخرين

(الباب الرابع)

فى سياق حجج الطائفة التى قالت ليست جنة الخلد وانما هى جنة فى الارض

قالوا هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها قالوا قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد انما يكون الدخول اليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد؛ وقد وصفها الله سبحانه وتعالى لنا فى كتابه بصفاتها ومحال أن يصف الله سبحانه وتعالى شيئا بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التى وصفه بها قالوا فوجدنا الله تعالى وصف الجنة التى أعدت للمتقين بانها دار المقامة فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التى دخلها ووصفها بانها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لادار تكليف وأمر ونهى؛ ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلى آدم فيها باعظم الابتلاء ووصفها بانها دار لايعصى الله فيها أبداً وقد عصى آدم ربه فى جنته التى دخلها ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن وقد حصل للابوين فيها من الخوف والحزن ماحصل وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الابوان من الفتنة؛ ودار القرار ولم يستقرا فيها وقال فى داخليها «وماهم منها بمخرجين» وقد أخرج منها الابوان؛ وقال «لايمسهم فيها نصب» وقد ند فيها آدم هارباً فاراً وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه وهذا النصب بعينه؛ وأخبر أنه لالغو فيها ولا تأثيم وقد سمع فيها آدم لغو ابليس واثمه وأخبر أنه لايسمع فيها لغو ولا كذاب وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب

إبليس وقد سماها الله سبحانه وتعالى مقعد صدق وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه وقد قال تعالى للملائكة «إني جاعل في الارض خليفة» ولم يقل إني جاعل في جنة المأوى «فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟» ومحال أن يكون هذا في جنة المأوى وقد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» فان كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى فكيف لم يرد عليه ويقول له كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته ولم يكن الله سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد قالوا ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس فكيف توصل اليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه وإما أن تكون في أذنه؛ وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين وأيضاً فبعد أن قيل له اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها أيفسح له أن يرقى الى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والابعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره؛ وهل هذا يلائم قوله «فما يكون لك أن تتكبر فيها» فان كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبرا فما التكبر بعد هذا؟ فان قلتم فلعل وسوسته وصلت إلى الابوين وهو في الارض وهما فوق السماء في عليين فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفا وان زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل اليهما الوسوسة فأبطل وأبطل؛ إذ كيف يرتقي بعد الاهباط إلى أن يدخل الجنة ولو في بطن الحية وإذا قلتم إنه دخل في قلوبهما ووسوس اليهما فالمحذور قائم وأيضاً فان الله سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاما سمعاه شفاها «فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة» وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ولما كان آدم خارجا من الجنة وغير ساكن فيها قال الله تعالى له «ألم أنهكما عن تلكما الشجرة» ولم يقل عن هذه الشجرة فعند ما قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة لما أطمعهما في ملكها والخلود في مقرها أتى باسم الاشارة بلفظ الحضور تقريباً لها واحضاراً لها عندهما وربهما تعالى قال لهما ألم أنهكما عن

تلكما الشجرة؟ ولما أراد اخراجهما منها فأتى باسم الاشارة بلفظ البعد والغيبة كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التى نهيا عنها وأيضاً فانه سبحانه قال: «اليه يصعد الكلم الطيب» ووسوسة اللعين من أخبث الكلام فلا تصعد إلى محل القدس . قال منذر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن آدم عليه السلام نام فى جنته» وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص واجماع المسلمين فان النبي صلى الله عليه وسلم سئل «أينام أهل الجنة فى الجنة؟ قال لا النوم أخو الموت والنوم وفاة» وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الاحوال والنائم ميت أو كالميت (قات) الحديث الذى أشار اليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد قال «خلقت حواء من قصيرى آدم وهو نائم» وقال اسباط عن السدى « أسكن آدم عليه السلام الجنة وكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ماأنت ؟ قالت امرأة قال ولم خلقت؟ قالت لتسكن الى» وقال ابن اسحاق عن ابن عباس « ألقى الله على آدم عليه السلام السنة ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة يسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها الى جنبه فقال لحمى ودمى وروحى فسكن اليها» قالوا ولا نزاع أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم فى الارض ولم يذكر فى موضع واحد أصلا أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر لانه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه فانه كان معراجا ببدنه وروحه من الارض إلى فوق السموات قالوا وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء وقد أخبر ملائكته أنه جاعله فى الارض خليفة وكيف يسكنه دار الخلد التى من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها قال تعالى «وما هم منها بمخرجين» قالوا ولم يكن معنا فى المسألة إلا أن الله سبحانه أهبط ابليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا فان الامر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لابليس سبيل إلى صعوده

اليها وقد أهبط منها وأما تلك التقادير التى قدرتموها فتكلفات ظاهرة كقول من قال يجوز أن يصعد اليها صعوداً عارضا لامستقرا وقول من قال أدخلته الحية وقول من قال دخل فى أجوافها وقول من قال يجوز أن تصل وسوسته اليهما وهو فى الارض وهما فوق السماء ولايخفى مافى ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد وهذا بخلاف قولنا فانه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره فى اخراجه منها والله أعلم. قالوا ومما يدل على أن جنة آدم لم تكن جنة الخلد التى وعد المتقون أن الله سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهى اليه وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذى فى جامعه من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله باذنه فقال ربه يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملاً منهم جلوس فقال السلام عليكم قالوا وعليك السلام الخ ثم رجع إلى ربه فقال ان هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم فقال الله له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت: فقال اخترت يمين ربى وكلتا يديه يمين مباركة ثم بسطها فاذا فيها آدم وذريته فقال يارب ما هؤلاء؟ قال هؤلاء ذريتك فاذا كل انسان مكتوب بين عينيه عمره فاذا فيهم رجل أضوؤهم قال يارب من هذا؟ قال هذا ابنك داود وقد كتبت له عمرا أربعين سنة قال يارب زده فى عمره: قال ذلك الذى كتبت له قال أى رب فانى قد جعلت له من عمرى ستين سنة قال أنت وذلك: قال ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتبت لى ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة: فجحد فجحدت ذريته. ونسى فنسيت ذريته: قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود» قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة قالوا فهذا صريح فى أن آدم عليه السلام لم يخلق فى دار البقاء التى لا يموت من دخلها وانما خلق فى دار الفناء التى جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلا معلوما وفيها أسكن. «فان قيل» فاذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمراً مقدراً وأجلا ينتهى اليه وانه ليس من الخالدين فكيف لم يعلم كذب إبليس فى قوله «هل أدلك على شجرة الخلد» وقوله «أو تكونا من الخالدين» فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء بل هو المكث

الطويل كما سيأتى (الثانى) ان ابليس لما حلف له وغره وأطمعه فى الخلود نسى ما قدر له من عمره . قالوا وأيضاً فمن المعلوم الذى لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الارض وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون فقيل هو الذى له صلصلة ليبسه وقيل هو الذى تغيرت رائحته من قولهم صل اللحم إذا تغير، والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصبوب وهذه كلها أطوار للتراب الذى هو مبدؤه الاول كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من الارض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده فأين الدليل الدال على إصعاد مادته أو اصعاده هو بعد خلقه وهذا ما لا دليل لكم عليه ولا هو لازم من لوازم ما أخبر الله به . قالوا ومن المعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الارضى المتغير الرائحة الذى قد انتن من تغيره وانما محل هذا الارض التى هى محل المتغيرات الفاسدات وأما ما فوق الافلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء . قالوا وقد قال الله تعالى: «وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ» فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ قالوا فاذا جمع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الارض وجعله خليفة فى الارض وان إبليس وسوس اليه فى مكانه الذى أسكنه فيه بعد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له وانه أخبر ملائكته أنه جاعل فى الارض خليفة وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف وانه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولا يخاف ولا ينام وأن الله حرمها على الكافرين، وإبليس رأس الكفر فاذا جمع ذلك بعضه إلى بعض وفكر فيه المنصف الذى رفع له علم الدليل فشمر اليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب والله الموفق قالوا ولو لم يكن فى المسألة الا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله سبحانه الابوين بنهيهما عن الاكل من الشجرة فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد. فهذا أيضا بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها والله أعلم

(الباب الخامس)

(فى جواب أرباب هذا القول لاصحاب القول الاول)

قالوا أما قولكم ان قولنا هو الذى فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف الا باخبار الرسل ونحن وأنتم انما تلقينا هذا من القرآن لا من

المعقول ولا من الفطرة فالمتبع فيه مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بانها جنة الخلد التي أعدها الله للمؤمنين بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا وقد أوجدناكم من كلام السلف مايدل على خلافه ولكن لما وردت الجنة مطلقة فى هذه القصة ووافقت اسم الجنة التى أعدها الله لعباده فى اطلاقها وبعض أوصافها فذهب كثير من الاوهام الى أنها هى بعينها فان أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئاً؛ وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الامور الفطرية فدعوى باطلة ونحن إذا رجعنا إلي فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وأما استدلالكم بحديث أبى هريرة رضى الله عنه وقول آدم وهل أخرجكم منها الاخطيئة أبيكم فانما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقباح للخطيئة التى قد تقدمت منه فى دار الدنيا وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة كما فى اللفظ الآخر انى نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها فاين فى هذا مايدل على انها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام وكذلك قول موسى له أخرجتنا ونفسك من الجنة فانه لم يقل له أخرجتنا من جنة الخلد؛ وقولكم انهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التى فى الارض فاسم الجنة وان أطلق على تلك البساتين فبينها وبين جنة آدم مالا يعلمه إلا الله وهى كالسجن بالنسبة اليها واشتراكهما فى كونهما فى الارض لاينفى تفاوتهما أعظم تفاوت فى جميع الاشياء؛ وأما استدلالكم بقوله تعالى وقلنا اهبطوا عقيب اخراجهم من الجنة فلفظ الهبوط لايستلزم النزول من السماء إلي الارض غايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر فانها كانت جنة فى أعلى الارض فاهبطوا منها إلى الارض وقد بينا ان الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوهما فلو كانت الجنة فى السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد اهباطه الاول لما أبى السجود لآدم عليه السلام فالآية أيضا من أظهر الحجج عليكم ولا تغنى عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التى قدرتموها وقد تقدمت وأما قوله تعالى: «ولكم فى الارض مستقر ومتاع إلى حين» فهذا لايدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك فى الارض فان الارض اسم جنس وكانوا فى أعلاها وأطيبها وأفضلها فى محل لايدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى فاهبطوا إلى ارض يعرض فيها ذلك كله وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور؛ والجنة التى اسكناها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا اذى والارض التى اهبطوا اليها هى محل التعب

والنصب والاذى وانواع المكاره؛ وأما قولكم إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لاتكون فى الدنيا؛ فجوابه ان تلك الصفات لاتكون فى الارض التى اهبطوا اليها فمن اين لكم انها لاتكون فى الارض التى اهبطوا منها؟ واما قولكم إن آدم عليه السلام كان يعلم ان الدنيا منقضية فانية فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب ابليس فى قوله هل أدلك على شجرة الخلد؟ فجوابه من وجهين (احدهما) ان اللفظ انما يدل على الخلد وهو اعم من الدوام الذى لاانقطاع له فانه فى اللغة المكث الطويل ومكث كل شىء بحسبه؛ ومنه قولهم رجل مخلد إذا أسن وكبر؛ ومنه قولهم لأثافى الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال قال

الارمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

ونظير هذا اطلاقهم القديم على ماتقادم عهده وان كان له أول كما قال تعالى «كالعرجون القديم» «وإنك لفى ضلالك القديم» «وافك قديم» وقد أطلق تعالى الخلود فى النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس واطلقه النبي صلى الله عليه وسلم على قاتل نفسه (الوجه الثانى) أن العلم بانقطاع الدنيا ومجىء الآخرة انما يعلم بالوحى ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك وهو وإن نبأه الله سبحانه وتعالى وأوحى اليه وأنزل عليه صحفاً كما فى حديث أبى ذر لكن هذا بعد اهباطه إلى الارض بنص القرآن قال تعالى: «اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى» وكذلك فى سورة البقرة: «قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى» الآية. وأما قولكم ان الجنة وردت معرفة باللام التى للعهد فتنصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى «انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين» وقولكم إن السياق ههنا دل على أنها جنة فى الارض «قلنا» والأدلة التى ذكرناها دلت على ان جنة آدم عليه السلام فى الارض فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح. وأما استدلالكم بأثر أبى موسى «أن الله أخرج آدم عليه السلام من الجنة وزوده من ثمارها» فليس فيه زيادة على مادل عليه القرآن ألا تزوده منها وهذا لايقتضى أن تكون جنة الخلد. وقولكم ان هذه تتغير وتلك لاتتغير فمن أين لكم ان الجنة التى أسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم» أى لم يتغير ولم ينتن وقد أبقى الله سبحانه وتعالى

فى هذا العالم طعام العزير وشرابه مائة سنة لم يتغير .وأما قولكم ان الله سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام ان تاب أن يعيده إلى الجنة فلا ريب أن الامر كذلك ولكن ليس يعلم أن الضمان انما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفى سبحانه بضمانه حق الوفاء؛ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الاولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه «قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا» وقد جعل الله سبحانه المظاهر عائداً بإرادته الوطء ثانياً أو بنفس الوطء أو بالامساك وكل منها غير الاول لا عينه فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها

﴿ الباب السادس ﴾

(فى جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم)

(قالوا) اما قولكم إن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد انما يقع الدخول اليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد ، فهذا حق فى الدخول المطلق الذى هو دخول استقرار ودوام وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة وقد دخل النبى صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة الاسراء وأرواح المؤمنين والشهداء فى البرزخ فى الجنة ؛ وهذا غير الدخول الذى أخبر الله به فى يوم القيامة،فدخول الخلود انما يكون يوم القيامة فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون فى الدنيا وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد؟ قالوا وأما احتجاجكم بسائر الوجوه التى ذكرتموها فى الجنة وأنها لم توجد فى جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الاسلام ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفى ذلك مقرون بدخول المؤمنين اياها وهذا لا ينفى أن يكون فيها بين أبوى الثقلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى من ذلك،ثم يصير الامر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر الله عنها فلا تنافى بين الامرين (وأما) قولكم انها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وقد كلف الله سبحانه آدم بالنهى عن الاكل من تلك الشجرة فدل على ان تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود فجوابه من وجهين (أحدهما) أنه انما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف (وأما) وقوع التكليف فيها فى دار الدنيا فلا دليل على

امتناعه البتة ؛ كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت» الحديث وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بامر الله ويعبد الله قبل يوم القيامة بل هذا هو الواقع فان من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمى ذلك تكليفا أو لم يسم (الوجه الثانى) ان التكليف فيها لم يكن بالاعمال التى يكلف بها الناس فى الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها وانما كان حجراً عليهما فى شجرة واحدة من جملة أشجارها إما واحدة بالعين أو بالنوع وهذا القدر لا يمتنع وقوعه فى دار الخلد كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها ، فان أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الاوقات فلا دليل عليه ؛ وان أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم . وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها ؛ فهذا ان ثبت النقل بنوم آدم فانما ينفى النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا . وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد اهباطه واخراجه من السماء فلعمر الله انه لمن أقوى الادلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد اهباط الله له منها لا يرتضيها منصف ؛ ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هنالك صعوداً عارضاً لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله تعالى وقدر أسبابه وان لم يكن ذلك المكان مقعدا له مستقرا كما كان وقد أخبر الله سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون فى المكان الذى يصعدون اليه مع قوله تعالى «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» فلا تنافى بين هذا الصعود وبين الامر بالهبوط فهذا محتمل والله أعلم .
وأما استدلالكم بان الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه ؛ فجوابه أن إعلامه بذلك لا ينافى ادخاله جنة الخلد واسكانه فيها مدة . واما اخباره سبحانه ان داخلها لا يموت وانه لا يخرج منها فهذا يوم القيامة . واما احتجاجكم بكونه خلق من الارض فلا ريب فى ذلك ولكن من أين لكم انه كمل خلقه فيها ؛ وقد جاء فى بعض الآثار «أن الله

سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً فجعل إبليس يطوف به ويقول لامر ما خلقت، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك فقال لئن سلطت عليه لاهلكنه، ولئن سلط على لا عصينه» مع ان قوله سبحانه «وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والارض» يدل على انه كان معهم فى السماء حيث أنبأهم بتلك الاسماء والا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الارض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل فى الارض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لامر دبره وقدره ثم يعيده إلى الارض فقد أصعد المسيح ﷺ الى السماء ثم ينزله إلى الارض قبل يوم القيامة وقد أسرى ببدن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه إلى فوق السموات فهذا جواب القائلين بانها جنة الخلد لمنازعيهم والله أعلم

﴿الباب السابع﴾

(فى ذكر شبه من زعم ان الجنة لم تخلق بعد)

قالوا لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطرارا أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: «كل شىء هالك الا وجهه» و «كل نفس ذائقة الموت» فتموت الحور العين التى فيها والولدان وقد أخبر الله سبحانه ان الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ قالوا وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت ابراهيم ليلة أسرى بى فقال يا محمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر» قال هذا حديث حسن غريب. وفيه أيضاً من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة» قال هذا حديث حسن صحيح قالوا فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغا منها لم تكن قيعانا ولم يكن لهذا الغرس معنى قالوا وقد قال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت رب ابنى لى عندك بيتاً فى الجنة ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوبا أو بنى له بيتاً انسج لى ثوبا وابن لى بيتا وأصرح من هذا قول النبى ﷺ. «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة» متفق عليه وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط باجماع

أهل العربية وهذا ثابت عن النبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وجابر ابن عبد الله وأنس بن مالك وعمرو بن عنبسة قالوا وقد جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد مادام يعمل فاذا فتر فتر الملك عن العمل . قالوا وقد روى ابن حبان فى صحيحه والامام أحمد فى مسنده من حديث أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قبض الله ولد العبد قال ياملك الموت قبضت ولد عبدى، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده؟ قال نعم قال فما قال؟ قال حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد» وفى المسند من حديثه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى فى يوم وليلة ثنتى عشرة ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتا فى الجنة» قالوا وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم فهذا ابن مزين قد ذكر فى تفسيره عن ابن نافع وهو من أئمة السنة أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هى؟ فقال السكوت عن هذا أفضل والله أعلم

الباب الثامن

(فى الجواب عما احتجت به هذه الطائفة)

قد تقدم فى الباب الاول من ذكر الادلة الدالة على وجود الجنة الآن فيه كفاية فنقول ماتعنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد: أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد بل هى بمنزلة النفخ فى الصور وقيام الناس من القبور؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الاحاديث الصريحة الصحيحة التى تقدم بعضها وسيأتى بعضها وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً . أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها، وجميع ماأعد الله فيها لاهلها وانها لايزال الله يحدث فيها شيئا بعد شىء وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورا أخر فهذا حق لايمكن رده، وأدلتكم هذه انما دلت على هذا القدر وحديث ابن مسعود الذى ذكرتموه وحديث أبى الزبير عن جابر صريحان فى أن أرضها مخلوقة وأن الذكر ينشىء الله سبحانه لقائله منه غراسا فى تلك الارض، وكذا بناء البيوت فيها بالاعمال المذكورة والعبد كلما وسع فى أعمال البر وسع له فى الجنة وكلما عمل خيرا غرس له به هناك غراس وبنى له بناء، وأنشىء له من عمله أنواع مما يتمتع به فهذا القدر لايدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ اطلاق ذلك، وأما احتجاجكم بقوله تعالى: «كل شىء هالك إلا وجهه» فانما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج اخوانكم بها على فنائهما

وخرابها وموت أهلها فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا اخوانكم، وانما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الاسلام. ونحن نذكر بعض كلامهم فى الآية قال البخارى فى صحيحه يقال كل شىء هالك إلا وجهه الا ملكه ويقال الا ما أريد به وجهه وقال الامام أحمد فى رواية ابنه عبد الله فاما السماء والارض فقد زالتا لان أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لانه سقف الجنة والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد، وأما قوله تعالى كل شىء هالك إلا وجهه فذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل «كل من عليها فان» فقالت الملائكة هلك أهل الارض وطمعوا فى البقاء فاخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الارض أنهم يموتون فقال كل شىء هالك يعنى ميت إلا وجهه لانه حى لا يموت فايقنت الملائكة عند ذلك بالموت انتهى كلامه وقال فى رواية أبى العباس أحمد بن جعفر ابن يعقوب الاصطخرى ذكره أبو الحسين فى كتاب الطبقات قال قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق وساق أقوالهم إلى أن قال وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدا فان احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل (كل شىء هالك إلا وجهه) وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شىء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبدا لان الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل . وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع ارضين بعضها أسفل من بعض وبين الارض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء وان الله عز وجل على العرش والكرسى موضع قدميه وهو يعلم ما فى السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما فى قعر البحر ومنبت كل

شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الحصا والتراب والرمل ومثاقيل الجبال واعمال العباد وآثارهم وكلامهم وانفاسهم ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم بها فان احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل «ونحن أقرب اليه من حبل الوريد» وقوله «وهو معكم أينما كنتم» وقوله «الا هو معهم اينما كانوا» وقوله «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم» ونحو هذا من متشابه القرآن فقل انما يعنى بذلك العلم لان الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان، وقال فى رواية أبى جعفر الطائى محمد بن عوف بن سفيان الحمصى قال الخلال حافظ امام فى زمانه معروف بالتقدم فى العلم والمعرفة كان احمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ويسأله عن الرجال من أهل بلده قال املى على احمد ابن حنبل فذكر رسالة فى السنة ثم قال فى أثنائها وان الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر قال النبي صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا ورأيت الكوثر، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فمن زعم انهما لم يخلقا فهو مكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن كافر بالجنة والنار، يستتاب فان تاب والا قتل . وقال فى رواية عبدوس بن مالك العطار وذكر رسالة فى السنة قال فيها والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار فتأمل هذه الابواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التى لا تظفر بها فى غير هذا الكتاب البتة ونحن اختصرنا الكلام فى ذلك ولو بسطناه لقام منه سفر ضخم والله المستعان وعليه التكلان وهو الموفق للصواب

الباب التاسع

(فى ذكر عدد أبواب الجنة)

قال الله تعالى: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين»

وقال فى صفة النار : « حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها » بغير واو فقالت طائفةهذهواو الثمانية دخلت فى أبواب الجنة لـكونها ثمانية ، وأبواب النـار سبعة فلم تدخلها الواو،وهذا قول ضعيف لادليل عليهولاتعرفه العربولاأئمة العربيةوانماهومن استنباط بعض المتأخرين،وقالت طائفة أخرى :الواو زائدة والجواب الفعل الذى بعدهاكما هو فى الآيةالثانيةوهذا أيضاً ضعيف فان زيادة الواو غير معروف فى كلامهم ولا يليق بأفصح الـكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة وقالت طائفة ثالثة الجواب محذوف وقوله وفتحت أبوابها عطف على قوله جاؤها وهذا اختيار أبى عبيدةوالمبرد والزجاجوغيرهم قال المبرد وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم قالأبو الفتح ابن جنى:وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويرون أن الجواب محذوف للعلم به . بقى أن يقال فما السر فى حذف الجواب فى آية أهل الجنةوذكرهفىآية أهل النار؟فيقال هذا أبلغ فى الموضعين فان الملائـكة تسوق أهلالنارإليهاوأبوابهامغلقةحتى اذا وصلوا اليها فتحت فى وجوههم فيفجأهم العذاب بغته فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة فان هذا شأن الجزاء المرتب على الشرطأن يكون عقيبه فانهادار الاهانة والخزى فلم يستأذن لهم فى دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول،وأما الجنة فانها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه فاذا انتهوا اليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون الى صاحبها ومالـكها أن يفتحها لهم ويستشفعون اليه بأولى العزم من رسله وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول أنا لها فيأتى إلى تحت العرش ويخرساجدا لربه فيدعه ما شاء أن يدعه ثم يأذن له فى رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع اليه سبحانه فى فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيما لخطرها،واظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه،وإن مثل هذه الدار التى هى دار ملك الملوكورب العالمين إنما يدخل اليها بعد تلك الاهوال العظيمة التى أولها من حين عقل العبد فى هذه الدار إلى أن انتهى اليها،وماركبهمن الاطباق طبقا بعد طبق وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه اليه أن يشفع اليه فى فتحها لهم وهذا أبلغ وأعظم فى تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلكلئلا يتوهم الجاهل انها بمنزلةالخان الذى يدخلهمن شاء، فجنةاللهعالية غالية بينالناس وبينها من العقبات والمفـاوز والاخطار مالا تنال إلا به فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى ولهذه الدر فليعد

عنها إلى ماهو أولى به، وقد خلق له وهيء له، وتأمل ما فى سوق الفريقين إلى الدارين زمرا من فرحة هؤلاء باخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة كل مشتركين فى عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا فى الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضا ويفرح بعضهم ببعض، وكذلك أصحاب الدار الاخرى يساقون اليها زمرا يلعن بعضهم بعضا ويتأذى بعضهم ببعض وذلك أبلغ فى الخزى والفضيحة والهتيكة من أن يساقوا واحدا واحداً فلا تهمل تدبر قوله زمراً، وقال خزنة أهل الجنة لاهلها سلام عليكم فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه أى سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قالوا لهم طبتم فادخلوها خالدين، أى سلامتكم ودخولها بطيبكم فان الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود وأما أهل النار فانهم لما انتهوا اليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم: «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا» فاعترفوا وقالوا بلى فبشروهم بدخولها والخلود فيها وانها بئس المثوى لهم، وتأمل قول خزنة الجنة لاهلها ادخلوها وقول خزنة النار لاهلها ادخلوا أبواب جهنم، تجد تحته سرا لطيفا ومعنى بديعا لا يخفى على المتأمل وهو انها لما كانت دار العقوبة وابوابها افظع شيء واشده حرا وأعظمه غما يستقبل فيها الداخل من العذاب ماهو أشد منها ويدنو من الغم والخزى والحزن والكرب بدخول الابواب فقيل ادخلوا أبوابها صغارا لهم واذلالا وخزيا ثم قيل لهم لا يقتصر بكم على مجرد دخول الابواب الفظيعة ولكن وراءها الخلود فى النار وأما الجنة فهى دار الكرامة والمنزل الذى أعده الله لاوليائه فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها وتأمل قوله سبحانه: «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب» كيف تجد تحته معنى بديعا وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هى وأما النار فاذا دخلها أهلها اغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى: «انها عليهم مؤصدة» أى مطبقة مغلقة ومنه سمى الباب وصيدا وهى «مؤصدة فى عمد ممددة» قد جعلت العمد ممسكة للابواب من خلفها كالحجر العظيم الذى يجعل خلف الباب

قال مقاتل يعني ابوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد وأيضا فان في تفتيح الابواب لهم اشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والالطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت وأيضاً اشارة إلى انها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الابواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة فقال الكوفيون التقدير مفتحة لهم أبوابها والعرب تعاقب بين الالف واللام والاضافة فيقولون مررت برجل حسن العين أي عينه ومنه قوله تعالى: «فان الجحيم هي المأوى» أي مأواه وقال بعض البصريين التقدير مفتحة لهم الابواب منها فحذف الضمير وما اتصل به قال وهذا التقدير في العربية أجود من أن يجعل الالف واللام بدلا من الهاء والالف لان معنى الالف واللام ليس من معنى الهاء والالف في شيء لان الهاء والالف اسم والالف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه. قالوا وأيضا لو كانت الالف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون في «مفتحة» ضمير الجنات ويكون المعنى مفتحة هي ثم ابدل منها الابواب ولو كان كذلك لوجب نصب الابواب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز ان يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد فلما ارتفع الابواب دل على ان مفتحة خال من ضمير والابواب مرتفعة به وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني كما تقول مررت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يجز فالالف واللام إذا للتعريف ليس الا فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو جنات عدن ولا ضمير في اللفظ فهو محذوف تقديره الابواب منها وعندي ان هذا غير مبطل لقول الكوفيين فانهم لم يريدوا بالبدل الا ان الالف واللام خلف وعوض عن الضمير تغني عنه. واجماع العرب على قولهم حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك وقد قالوا ان التنوين بدل من الالف واللام بمعنى انهما لا يجتمعان وكذلك المضاف اليه يكون بدلا من التنوين والتنوين بدل من الاضافة بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا أن معنى البدل معنى المبدل منه بل قد يكون في كل منهما معنى لا يكون في الآخر فالكوفيون أرادوا ان الالف واللام في الابواب اغنت عن الضمير لو قيل أبوابها وهذا صحيح

فان المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى توهم الاستقلال وكذلك لام التعريف فان كلا من الضمير واللام يعين صاحبه هذا يعين مفسره وهذا يعين مادخل عليه وقد قالوا فى زيد نعم الرجل إن الالف واللام اغنت عن الضمير والله أعلم. وقد اعرب الزمخشرى هذه الآية اعرابا اعترض عليه فيه فقال جنات عدن معرفة كقوله «جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب» وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها مافى المتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات ؛ والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال؛ هذا اعرابه فاعترض عليه بان جنات عدن ليس فيها مايقتضى تعريفها وأما قوله «التى وعد الرحمن عباده» فبدل لاصفة وبان جنات عدن لايسهل أن تكون عطف بيان لحسن مآب على قوله لان جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لاقائل به فان القائل قائلان احدهما أنه لايكون إلا فى المعارف كقول البصريين والثانى أنه يكون فى المعارف والنكرات بشرط المطابقة كقول الكوفيين وأبى على الفارسى وقوله ان فى مفتحة ضمير الجنات فالظاهر خلافه وان الابواب مرتفع به ولاضمير فيه وقوله ان الابواب بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لابد فيه من الضمير وان نازعهم فيه آخرون ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظا به وان يكون مقدراً وهنا لم يلفظ به فلا بد من تقديره أى الابواب منها فاذا كان التقدير مفتحة لهم هى الابواب منها كان فيه تكثير للاضمار وتقليله أولى . وفى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لايدخله الاالصائمون » . وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق زوجين فى شىء من الاشياء فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان، فقال أبو بكر بابى أنت وأمى يارسول الله ماعلى من دعى من تلك الابواب من ضرورة فهل

يدعى أحد من تلك الابواب كلها ؟ فقال نعم وأرجو أن تكون منهم» وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» زاد الترمذى بعد التشهد (اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين) زاد أبو داود والامام احمد ثم رفع نظره الى السماء فقال . وعند الامام أحمد من رواية أنس يرفعه «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح له أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» . وعن عتبة بن عبد الله السلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» رواه ابن ماجه وعبد الله بن احمد عن ابن نمير ثنا اسحق بن سليمان ثنا جرير ابن عثمان عن شرحبيل ابن شفعة عن عتبة

﴿ الباب العاشر ﴾

(فى ذكر سعة أبوابها)

عن أبى هريرة قال: «وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة اليه فنهش نهشة وقال أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهش أخرى وقال أنا سيد الناس يوم القيامة فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال ألا تقولون كيف؟ قالوا كيف يارسول الله؟ قال يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال فى آخره فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى فيقيمنى رب العالمين مقاما لم يقمه أحداً قبلى ولن يقيمه أحدا بعدى فأقول يا رب أمتى أمتى فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة» وفى لفظ «لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى» متفق على صحته . وفى لفظ خارج الصحيح باسناده «ان ما بين عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر» وعن خالد بن عمير العدوى قال: «خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال: أما بعد، فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء يصطبها صاحبها، وانكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها فانقلبوا بخير ما بحضرتكم. ولقد ذكر لنا ان مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، فهذا موقوف والذى قبله مرفوع فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذاكر له كان هذا ما بين باب من أبوابها ولعله الباب الاعظم، وان كان الذاكر ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقدم على حديث أبى هريرة المتقدم ولكن قد روى الامام احمد فى مسنده من طريق حماد بن سلمة قال سمعت الجريرى يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وله كظيظ» وقد رواه ابن أبى داود أنبأنا اسحاق بن شاهين انبأنا خالد عن الجريرى عن حكيم بن معاويا عن أبيه يرفعه: «ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين» وروينا فى مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان ما بين مصراعين فى الجنة لمسيرة أربعين سنة» وحديث أبى هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة والله أعلم. وروى أبو الشيخ انبأنا جعفر بن احمد بن فارس انبأنا يعقوب بن حميد انبأنا معن حدثنا خالد بن أبى بكر عن سالم بن عبد الله عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: «الباب الذى يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم انهم ليضطغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول» رواه أبو نعيم عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «ان ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى» فان الراكب المجد غاية الاجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلا ولا نهاراً يقطع هذه المسافة فى هذا القدر أو قريب منه. وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته فحماد بن سلمة ذكر عن الجريرى التقدير باربعين عاماً وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين وحديث أبى سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاما على طريقة دراج عن أبى الهيثم. قال الامام احمد: أحاديث دراج مناكير وقال أبو حاتم الرازى

ضعيف وقال النسائي ليس بالقوى فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته . على ان حديث حكيم ابن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ويحتمل انه مدرج فى الحديث موقوف فيكون كحديث عتبة بن غزوان

﴿الباب الحادى عشر﴾

(فى صفة أبوابها وانها ذات حلق)

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن (مفتحة لهم الابواب) قال ابواب ترى وذكر ايضاً عن خليد عن قتادة قال : أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يقال لها ، انفتحى انغلقى . وقال أبو الشيخ انبأنا محمد بن عبد الله بن محمد القيسى انبأنا محمد بن اسحق انبأنا احمد ابن أبى الحوارى انبأنا عبد الله بن غياث عن الفزارى قال: «لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة، وباب يدخل عليه منه ازواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر اليهم لتعظم النعمة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء» وقد روى سهيل بن ابى صالح عن زياد النميرى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « انا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر» وفى حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها) وهذا صريح فى أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع . وروى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى» ويذكر عن على رضى الله عنه: «من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين فى كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة»

(فصل)

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة ولعل هذا وجه الاختلاف الذى جاء فى مسافة ما بين

مصراعى الباب فان أبوابها بعضها أعلى من بعض. ولهذه الامة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الامم كما فى المسند من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثا ثم انهم ليضطغطون حتى تكاد مناكبهم تزول» وفيه من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «أتانى جبريل فأخذ بيدى فارانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى» الحديث وسيأتى بتمامه إن شاء الله تعالى. وقال خلف بن هشام البزار ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائى عن أبى اسحاق عن عاصم ابن حمزة عن على بن أبى طالب قال: «إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها إذاهم عندها بشجرة فى أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداها فلا تترك فى بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ويغتسلون من الاخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبدا، ثم قرأ طبتم فادخلوها خالدين فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الاهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بما نتهم فتقول أنت رأيته؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكىء على سريره فينظر إلى أساس بيته فذا هو قد أسس على اللؤلؤ ثم ينظر فى أخضر وأحمر وأصفر ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته فلولا أنه خلق له لالتمع(١) بصره فيقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» والله أعلم

﴿ الباب الثانى عشر ﴾

(فى ذكر مسافة ما بين الباب والباب)

روينا فى معجم الطبرانى أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيرى وعبد الله بن الصقر السكرى قالا أنبأنا إبراهيم ابن المنذر الحزامى ثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حزام حدثنى عبد الرحمن بن عياش الأنصارى حدثنا دلهم بن الاسود بن عبد الله بن حاجب بن المنتفق. قال دلهم وحدثنيه أيضاً أبو الاسود عن عاصم ابن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قلت يارسول الله فما الجنة والنار؟ قال لعمر الهك ان للنار سبعة أبواب مامنهن بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما وان للجنة ثمانية أبواب مامنهن بابان الايسير

---

(١) أى اختلس

الراكب بينهما سبعين عاماً» وذكر الحديث بطوله وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب لان مابين مكة وبصرى لايحتمل التقدير بسبعين عاماً ولا يمكن حمله على باب معين لقوله «منهن بابان» والله أعلم

﴿الباب الثالث عشر﴾

(فى مكان الجنة وأين هى؟)

قال الله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » وقد ثبت ان سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لانها ينتهى اليها ماينزل من عند الله فيقبض منها ومايصعد اليه فيقبض منها وقال تعالى «وفى السماء رزقكم وماتوعدون» قال ابن أبى نجيح عن مجاهد هو الجنة وكذلك تلقاه الناس عنه وقد ذكر ابن المنذر فى تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قال هو الجنة والنار وهذا يحتاج إلى تفسير فان النار فى أسفل السافلين ليست فى السماء ومعنى هذا ماقاله فى رواية ابن أبى نجيح عنه وقاله أبو صالح عن ابن عباس الخير والشر كلاهما يأتى من السماء وعلى هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت فى السماء من عند الله . وقال الحارث بن أبى أسامة حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا مهدى بن ميمون حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب عن بشر ابن شغاف قال سمعت عبد الله بن سلام يقول: «ان أكرم خليقة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وإن الجنة فى السماء» رواه أبو نعيم عنه قال ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبى يعقوب مرفوعاً ثم ساقه من طريق ابن منيع قال ثنا عمرو الناقد ثنا عمرو بن عثمان ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعا . ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ثنا محمد بن عبد الله عن عطية عن ابن عباس أنه قال: «الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها الله حيث شاء يوم القيامة، وجهنم فى الأرض السابعة» وقال ابن منده ثنا أحمد بن اسحاق قال ثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله قال: « الجنة فى السماء الرابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء ، والنار فى الارض السابعة فأذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء » وقال مجاهد: « قلت لابن عباس أين الجنة؟ قال فوق سبع سموات ؟ قلت فاين النار قال تحت سبعة أبحر مطبقة» رواه ابن منده عن احمد ابن إسحاق عن الزبيرى عن اسرائيل عن ابن أبى يحيى عن مجاهد . وأما الاثر

الذى رواه أبو بكر بن أبى شيبة ثنا عيسى بن يونس عن ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان عن عبد الله بن عمرو قال: «الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر فى كل عام مرة وان أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة» فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه فان الجنة المعلقة بقرون الشمس ما يحدثه الله سبحانه وتعالى بالشمس فى كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات جعله الله تعالى مذكراً بتلك الجنة وآية دالة عليها كما جعل هذه النار مذكرة بتلك وإلا فالجنة التى عرضها السموات والارض ليست معلقة بقرون الشمس وهى فوق الشمس وأكبر منها وقد ثبت فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض» وهذا يدل على أنها فى غاية العلو والارتفاع والله أعلم. والحديث له لفظان هذا أحدهما والثانى «إن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض أعدها الله للمجاهدين فى سبيله» وشيخنا يرجح هذا اللفظ وهو لا ينفى أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ونظير هذا قوله فى الحديث الصحيح «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» أى من جملة أسمائه هذا القدر فيكون الكلام جملة واحدة فى الموضعين ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله فى درجة فى الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» قال شيخنا أبو الحجاج المزى والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أى وسقفه عرش الرحمن «فان قيل» فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فان الكرسى وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه «قيل» لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفا له دون ما تحته من الجنات، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة كما يقال لقارىء القرآن اقرأ وارق فان منزلتك عند آخر آية تقرأها، وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه والله أعلم

الباب الرابع عشر
(فى مفتاح الجنة)

قال الحسن بن عرفة ثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسن عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» رواه الامام أحمد فى مسنده ولفظه «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله» وذكر البخارى فى صحيحه عن وهب ابن منبه أنه قيل له أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال بلى: ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فان أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح» وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال قال أعرابى: «يارسول الله مامفتاح الجنة؟ قال لا إله إلا الله» وذكر أبو الشيخ من حديث الاعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخبرة قال: «ان السيوف مفاتيح الجنة» وفى المسند من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت بلى: قال لاحول ولا قوة إلا بالله» وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال ﷺ «مفتاح الصلاة الطهور» ومفتاح الحج الاحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد؛ ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الاصغاء؛ ومفتاح النصر والظفر الصبر؛ ومفتاح المزيد الشكر؛ ومفتاح الولاية المحبة والذكر؛ ومفتاح الفلاح التقوى؛ ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ومفتاح الاجابة الدعاء؛ ومفتاح الرغبة فى الآخرة الزهد فى الدنيا؛ ومفتاح الايمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه؛ ومفتاح الدخول على الله اسلام القلب وسلامته له والاخلاص له فى الحب والبغض والفعل والترك؛ ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالاسحار وترك الذنوب؛ ومفتاح حصول الرحمة الاحسان فى عبادة الخالق والسعى فى نفع عبيده؛ ومفتاح الرزق السعى مع الاستغفار والتقوى؛ ومفتاح العز طاعة الله ورسوله؛ ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الامل؛ ومفتاح كل خير الرغبة فى الله والدار الآخرة؛ ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الامل. وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته الا من عظم حظه وتوفيقه فان الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وباباً يدخل منه اليه كما جعل

الشرك والكبر والاعراض عما بعث الله به رسوله . والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار؛ وكما جعل الخمر مفتاح كل اثم، وجعل الغنى مفتاح الزنا؛ وجعل اطلاق النظر فى الصور مفتاح الطلب والعشق؛ وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان؛ وجعل المعاصى مفتاح الكفر؛ وجعل الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله؛ وجعل الاعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة؛ وهذه الامور لا يصدق بها الا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما فى نفسه وما فى الوجود من الخير والشر فينبغى للعبد أن يعتنى كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

(الباب الخامس عشر)

(فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به لاصحابها عند الموت وعند دخولها)

قال تعالى: «كلا إن كتاب الابرار لفى عليين؛ وما أدراك ما عليون؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون» فاخبر تعالى ان كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوبا كتابة حقيقة وخص تعالى كتاب الابرار بانه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين؛ ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويها بكتاب الابرار وما وقع لهم به؛ واشهارا له واظهاراً بين خواص خلقه كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الامراء وخواص أهل المملكة تنويها باسم المكتوب له واشادة بذكره؛ وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده؛ وروى الامام أحمد فى مسنده وابن حبان وأبو عوانة الاسفرايني فى صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤسنا الطير وهو يلحد له؛ فقال أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال ان المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن فيجلسوا منه مد بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء؛ فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها

في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج
منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض؛ قال فيصعدون بها فلا يمرون
بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون فلان
ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا؛ حتى ينتهوا بها إلى السماء
الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي
تليها حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل فيقول الله عز وجل
اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم
ومنها أخرجهم تارة أخرى؛ قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان له من ربك؟ فيقول ربي الله؛ فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيقولان له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت؛ قال
فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة
وافتحوا له بابا إلى الجنة؛ قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد
بصره؛ قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر
بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد؛ فيقول له من أنت فوجهك الوجه
الذي يجيء بالخير؟ فيقول أنا عملك الصالح؛ فيقول رب اقم الساعة؛ رب أقم
الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي؛ قال وان العبد الكافر إذا كان في انقطاع من
الآخرة وإقبال على الدنيا نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم
المسوح فيجلسون منه مد البصر؛ ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه
فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب؛ قال فتفرق في
جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها
لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن
ريح جيفة وجدت على وجه الارض؛ فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من
الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح أسمائه
التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح
له؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين
في الارض السفلى وتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه!!! لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه؛ لا أدرى. فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار؛ فيأتيه من حرها وسمومها؛ ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه؛ ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح؛ فيقول له ابشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد؛ فيقول من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالشر؟ فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة» ورواه أبو داود بطوله بنحوه فهذا التوقيع والمنشور الاول

﴿ فصل وأما المنشور الثانى ﴾

فقال الطبرانى فى معجمه: حدثنا اسحاق بن ابراهيم الدبرى عن عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة أحد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية» وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسى أنبأنا زاهر الثقفى ان عبد السلام بن محمد بن عبد الله أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراقى حدثنا محمد بن اسحاق بن منده أنبأنا محمد بن على البلخى حدثنا محمد ابن حسام حدثنا العباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن سعيد ثنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية» قلت وقع المؤمن فى قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ثم يكتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة فالله المستعان .

﴿ الباب السادس عشر ﴾

(فى توحد طريق الجنة وأنه ليس لها الا طريق واحد)

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم الى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم (وأما)

طرق الجحيم فاكثر من أن تحصى ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل النار كقوله تعالى: «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» وقال: «وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر» أى ومن السبيل جائر عن القصد وهى سبيل الغى وقال: «هذا صراط على مستقيم» وقال ابن مسعود: «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وقال هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره ثم قال هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو اليه، ثم قرأ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل» الآية فان قيل فقد قال الله تعالى. «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام» قيل هى سبل تجمع فى سبيل واحد وهى بمنزلة الجواد والطرق فى الطريق الاعظم فهذه هى شعب الايمان يجمعها الايمان وهو شعبة كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها. وهذه السبل هى إجابة داعى الله بتصديق خبره، وطاعة أمره وطريق الجنة هى اجابة الداعى اليها ليس إلا، وقد روى البخارى فى صحيحه عن جابر قال: «جاءت ملائكة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا، فقالوا امثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان. الدار الجنة والداعى محمد، فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس» ورواه الترمذى عنه ولفظه «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك، انما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول، فمن أجابك دخل الاسلام، ومن دخل الأسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها» وصحح الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود قال «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم انصرف فاخذ بيدى حتى خرج بى الى بطحاء مكة فاجلسنى ثم خط على خطا ثم قال لا تبرحن خطك فانه سينتهى اليك رجال فلا تكلمهم فانهم لا يكلمونك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حيث أراد فبينا أنا جالس فى خطى اذ أتانى رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم لاأرى عورة ولا أرى بشراً وينتهون الى لايجاوزون الخط ثم يصدرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان آخر الليل(١) لكن رسول الله ﷺ قد جاءنى وأنا جالس فقال لقد رآنى منذ الليلة ثم دخل على فى خطى فتوسد نخذى فرقد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رقد نفخ فبينا أنا قاعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوسد نخذى اذا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم مابهم من الجمال فانتهوا إلى فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة منهم عند رجليه ثم قالوا ما رأينا عبداً قد أوتى مثل ما أوتى هذا النبى إن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلا، مثل سيد بنى قصراً ثم جعل مأدبة فدعا الناس الى طعامه وشرابه فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يجبه عاقبه أوقال عذبه ثم ارتفعوا واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدرى من هم؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال هم الملائكة فتدرى ما المثل الذى ضربوه؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال الرحمن بنى الجنة ودعا اليها عباده فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عذبه»

الباب السابع عشر

(فى درجات الجنة)

قال تعالى: «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما» ذكر ابن جرير عن هشام ابن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال: «فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه قال هى سبعون درجة مابين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاماً» وقال ابن المبارك أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك فى قوله تعالى (لهم درجات عند ربهم قال بعضهم أفضل من بعض فيرى الذى قد فضل به فضله ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولا بدرجة ثم أوقعه ثانيا بدرجات

---

(١) من قوله لكن الخ كذا فى النسخ ولعل فى الحديث تحريفا فليراجع . ع

فقيل الاول بين القاعد المعذور والجاهد والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد وقال تعالى : « أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون » وقال تعالى : « إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله ؛ وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ؛ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » وفى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر من الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم؛ قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولفظ البخارى فى الافق وهو أبين والغابر هو الذهب الماضى الذى قد تدلى للغروب؛ وفى التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتان؛ (احداهما) بعده عن العيون (والثانية) أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وان لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله والله أعلم. وفى الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة فى الجنة كما ترون الكوكب فى أفق السماء » . وقال الامام أحمد حدثنا فرات اخبرنى فليح عن هلال يعنى ابن على عن عطاء عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« ان أهل الجنة ليتراءون فى الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدرى الغارب فى الافق الطالع فى تفاضل الدرجات » قالوا يارسول الله أولئك النبيون؟ قال بلى والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» ورجال هذا الاسناد احتج بهم البخارى فى صحيحه وفى هذا الحديث الغارب وفى حديث أبي سعيد الخدرى الغابر؛ وقوله الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غاربا وبكونه طالعا وقد صرح بهذا المعنى فى الحديث الذى رواه ابن المبارك عن فليح بن سليمان عن هلال ابن على عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل الجنة ليتراءون فى الغرف كما يرى الكوكب الشرقى والكوكب الغربى فى الافق فى تفاضل الدرجات؛ قالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ قال بلى؛ والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله

وصدقوا المرسلين» وهذا على شرط البخارى أيضاً . وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى فيقال من هؤلاء؟ فيقال هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » . وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« ان فى الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن وسعتهم » وفى المسند عنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه» وهذا صريح فى أن درج الجنة تزيد على مائة درجة ، وأما حديث أبى هريرة الذى رواه البخارى فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» فأما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفى ضمن كل درجة درجة دونها. ويدل على المعنى الاول حديث زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :« من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه ، قلت يارسول الله ألا أخرج فأوذن الناس؟ قال لا، ذر الناس يعملون وإن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والارض، وأعلى درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش وهى أوسط شىء فى الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة، وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس» رواه الترمذى هكذا بلفظه وروى أيضا من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« ان فى الجنة مائة درجة» ثم ذكر نحو حديث معاذ وفيه أيضا من حديث عطاء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى الجنة مائة درجة مابين كل درجتين مائة عام » قال هذا حديث حسن غريب . وفيه أيضا من حديث أبى سعيد يرفعه «ان فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن لوسعتهم» ورواه أحمد بدون لفظة فى كما تقدم وقد رويت هذه الاحاديث بلفظة فى وبدونها وان كان

المحفوظ ثبوتها فهى من جملة درجها، وان كان المحفوظ سقوطها فهى الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار والله أعلم . ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير فى السرعة والبطء والنبى صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريبا للافهام ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثنى أبو هانىء التجيبى سمعت أباعلى التجيبى سمعت أبا سعيد الخدرى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مائة درجة فى الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والارض، أو بعد ما بين السماء والارض، قلت يارسول الله لمن ؟ قال للمجاهدين فى سبيل الله»

الباب الثامن عشر

(فى ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة)

روى مسلم فى صحيحه من حديث عمرو بن العاص انه سمع النبى ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الالعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى» وقال أحمد أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صليتم فسلوا الله لى الوسيلة قيل يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال أعلى درجة فى الجنة لا ينالها الا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو» هكذا الرواية (أن أكون أنا هو) ووجهها أن تكون الجملة خبرا عن اسم كان المستتر فيها ولا يكون أنا فصلا ولا توكيداً بل مبتدأ . وفى الصحيحين من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ؛ الاحلت له الشفاعة يوم القيامة » . هكذا لفظ الحديث «مقاماً» بالتنكير ليوافق لفظ الآية ولانه لما تعين وانحصر نوعه فى شخصه جرى مجرى المعرفة فوصف بما توصف به المعارف وهذا ألطف من جعل الذى وعدته بدلا فتأمله. وفى المسند من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة»
وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه «درجة فى الجنة ليس فى الجنة درجة أعلى منها
فسلوا الله أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق» وقال أبو نعيم أنبأنا سليمان بن أحمد
حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال حدثنا عبد الله بن عمران العابدى حدثنا
فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت: «جاء رجل
إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله انك لاحب إلى من نفسى
وانك لاحب إلى من أهلى وأحب الى من ولدى وانى لاكون فى البيت فأذكرك
فما أصبر حتى آتيك فأنظر اليك، واذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت
الجنة رفعت مع النبيين وانى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية (ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا) » قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى لا أعلم باسناد هذا
الحديث بأسا . وسميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة لانها اقرب
الدرجات الى عرش الرحمن وهى أقرب الدرجات الى الله وأصل اشتقاق لفظ
الوسيلة من القرب وهى فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه قال لبيد * بلى كل
ذى رأى إلى الله واسل * ومعنى الوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنة
وأشرفها ، وأعظمها نورا . وقال صالح بن عبد الكريم قال لنا فضيل بن
عياض أتدرون لم حسنت الجنة ؟ لان عرش رب العالمين سقفها . وقال الحكم
ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس « نور سقف مساكنكم نور عرشه» وقال بكر
عن أشعث عن الحسن: «انما سميت عدن لان فوقها العرش ومنها تنفجر أنهار
الجنة وللحور العدنية الفضل على سائر الحور والقربى والزلفى واحد، وان كان
فى الوسيلة معنى التقرب اليه بأنواع الوسائل» وقال الكلبي : « اطلبوا اليه
القربة بالاعمال الصالحة» وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله
: «أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب» فقوله أيهم أقرب هو
تفسير للوسيلة التى يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون
فى القرب منه ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه
وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل الى

الله وهى أعلى درجة فى الجنة وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الايمان وأيضاً فان الله سبحانه قدرها له باسباب (منها) دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الايمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه . وقوله: «حلت عليه» يروى «عليه» و«له» فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ومن رواه بعلى فمعناه وقعت عليه شفاعتى والله أعلم

﴿ الباب التاسع عشر ﴾

(فى عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده وثمنها الذى طلبه منهم وعقد التبايع الذى وقع بين المؤمنين وبين ربهم)

قال تعالى: «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» فجعل سبحانه هاهنا الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث اذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بانواع من التأكيد (أحدها) اخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد باداة ان (الثانى) الاخبار بذلك بصيغة المرضى الذى قد وقع وثبت واستقر (الثالث) اضافة هذا العقد الى نفسه سبحانه وأنه هو الذى اشترى هذا المبيع (الرابع) أنه أخبر بانه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه (الخامس) أنه أتى بصيغة على التى للوجوب اعلاما لعباده بان ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه (السادس) أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه (السابع) انه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوراة والانجيل والقرآن (الثامن) اعلامه لعباده بصيغة استفهام الانكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه (التاسع) أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضا بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه (العاشر) أنه أخبرهم إخبارا مؤكدا بان ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم والبيع ههنا بمعنى المبيع الذى أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة وقوله بايعتم به أى عاوضتم وثامنتم به ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذى وقع العقد وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون

مما يكره، العابدون له بما يحب، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون، السائحون وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر فى طلب العلم وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة. والتحقيق فيها أنها سياحة القلب فى ذكر الله ومحبته والانابة اليه والشوق الى لقائه ويترتب عليها كل ما ذكر من الافعال ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتى لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات وليست سياحتهن جهادا ولا سفراً فى طلب علم ولا إدامة صيام، وانما هى سياحة قلوبهن فى محبة الله تعالى وخشيته والانابة اليه وذكره. وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يحب، والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه باوصاف كماله، وسياحة اللسان فى أفضل ذكره وهذه سياحة القلب فى حبه وذكره واجلاله، كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين فى صفة الازواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب وجعل الاسلام والايمان قرينين فهذا علانية وهذا فى القلب كما فى المسند عنه صلى الله عليه وسلم « الاسلام علانية، والايمان فى القلب » وجعل القنوت والتوبة قرينين هذا فعل مايحب وهذا ترك مايكره، وجعل الثيوبة والبكارة قرينتين فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبتها. وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد، وجعل الركوع والسجود قرينين وجعل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاما بان أحدهما لا يأتى حتى يكون مع الآخر، وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده فهذا حفظها فى نفس الانسان وذلك أمر غيره بحفظها. وأفهمت الآية خطر النفس الانسانية وشرفها وعظم مقدارها فان السلعة إذا خفى عليك قدرها فانظر إلى المشترى لها من هو، ونظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله سبحانه المشترى لها، والثمن لها جنات النعيم والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه.

قد هيؤك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وفى جامع الترمذى من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية، ألا إن

سلعة الله الجنة » قال هذا حديث حسن غريب ، وفى كتاب صفة الجنة لابى نعيم من حديث ابان عن أنس قال :« جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ثمن الجنة؟قال لا اله إلا الله» وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة «أن اعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة. فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة ،وتصوم رمضان قال والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى قال من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» وفى صحيح مسلم عن جابر قال:«أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم» وفى صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » وفى سنن أبى داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى آت من ربى فأخبرنى او قال فبشرنى انه من مات من أمتك لا يشرك شيئا دخل الجنة ، قلت وان زنى وان سرق؟ قال وان زنى وان سرق» . وفى صحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء» وفى لفظ« ادخله الله الجنة على ما كان من عمل» وفى صحيح مسلم «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى ابا هريرة نعليه فقال اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة .» وقال روح ابن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال:« ثمن الجنة لا إله إلا الله .» وروى أبو نعيم من حديث أبى الزبير عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«لا يدخل أحدا منكم الجنة عمله ولا يجيره من النار ولا أنا

إلا بتوحيد الله تعالي» واسناده على شرط مسلم وأصل الحديث في الصحيح

﴿فصل﴾

وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلا بدخولها وان كان سبباً ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالاعمال في قوله بما كنتم تعملون، ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولها بالاعمال بقوله «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» ولا تنافى بين الامرين لوجهين (أحدهما) ما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته. واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال ويدل على هذا حديث أبي هريرة الذى سيأتى ان شاء الله تعالى أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم، رواه الترمذى (والثانى) ان الباء التى نفت الدخول هى باء المعاوضة التى يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر والباء التى أثبتت الدخول هى باء السببية التى تقتضى سببية ما دخلت عليه لغيره وان لم يكن مستقلا بحصوله وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الامرين بقوله «سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا ان أحدا منكم لن ينجو بعمله. قلوا ولا انت يا رسول الله. قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته» ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به والله سبحانه وتعالى المستعان

﴿الباب العشرون﴾

(فى طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عز وجل)

قال الله تعالى حكاية عن أولى الالباب من عباده قولهم: «ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد» والمعنى وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة. وقلت طائفة

:معناه وآتنا ما وعدتنا على الايمان برسلك وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك وحينئذ فيتكافأ التقديران، ويترجح الاول بانه قد تقدم قولهم ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للأيمان أن آمنوا بربكم فآمنا وهذا صريح فى الايمان بالرسول والمرسل ثم توسلوا اليه بأيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل فانهم انما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل وذلك أيضا يتضمن التصديق بهم وانهم بلغوهم وعده فصدقوا به، وسألوه أن يؤتيهم إياه. وهذا هو الذى ذكره السلف والخلف فى الآية. وقيل المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل. والاول أعم وأكمل (وتأمل) كيف تضمن ايمانهم به الايمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق وعده والخوف من وعيده واستجابتهم لامره. فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه. وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجزلهم وعده مع أنه فاعل لذلك ولا بد. وأجاب بان هذا تعبد محض كقوله «رب احكم بالحق» وقول الملائكة « فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك» وخفى على هؤلاء ان الوعد معلق بشروط منها الرغبة اليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالايمان وموافاتهم به. وأن لا يلحقه ما يحبطه. فاذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم واعانتهم على الاسباب التى ينجز لهم بها وعده فكان هذا الدعاء من أهم الادعية وأنفعها وهم أحوج إليه من كثير من الادعية. وأما قوله رب احكم فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين هو من الاسباب التى يوجب بها لهم المغفرة فهو سبحانه نصب الاسباب التى يفعل بها ما يريده باوليائه وأعدائه وجعلها أسبابا لارادته كما جعلها أسبابا لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب . وان أشكل عليك ذلك فانظر إلى خلقه الاسباب التى توجب محبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط من الاسباب التى خلقها وشاءها فالكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده . وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه الا العالمون بالله . ونظير هذه الآية فى سؤاله ما وعد به قوله تعالى: «قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء

ومصيرا لهم فيها مايشاؤن خالدين كان على ربك وعداً مسؤلا » يسأله اياه عباده المؤمنون ويسأله اياه ملائكته لهم ؛ فالجنة تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه اياها والملائكة تسألها لهم والرسل يسألونه اياها لهم ولأتباعهم ؛ ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ؛ وفي هذا من تمام ملكه واظهار رحمته واحسانه وجوده وكرمه واعطائه ماسئل ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ؛ فالرب تعالى جواد له الجود كله يحب أن يسئل ويطلب منه ويرغب اليه ؛ فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله اياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله ؛ وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم اليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يسئل

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يسئل يغضب

وأحب خلقه اليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالا ، وهو يحب الملحين فى الدعاء وكلما ألح العبد عليه فى السؤال أحبه وقربه وأعطاه ؛ وفى الحديث « من لم يسأل الله يغضب عليه » فلا إله إلا هو : أى جناية جنت القواعد الفاسدة على الايمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله !!! والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . قال أبو نعيم الفضل حدثنا يونس هو ابن أبى اسحاق حدثنا يزيد بن أبى مريم قال قال أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثا الا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة . ومن استجار من النار بالله ثلاثا قالت النار اللهم أجره من النار » رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبى الاحوص عن أبى اسحاق عن يزيد به . وقال الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « ما سأل الله عبد الجنة فى يوم سبع مرات الا قالت الجنة يارب ان عبدك فلانا يسألنى فأدخلنيه » وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا جرير عن يونس عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار ان عبدك فلانا استجار منى فأجره ؛ ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة يارب ان عبدك فلانا سألنى فأدخله

الجنة» واسناده على شرط الصحيحين . وقال أبو داود فى مسنده حدثنا شعبة حدثنى يونس بن حبان سمع أبا علقمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال أسأل الله الجنة سبعا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة» وقال الحسن بن سفيان حدثنا المقدمى حدثنا عمر بن على عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار فأنهما شافعتان مشفعتان، وان العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة يارب عبدك هذا الذى سألنيك فأسكنه اياى. وتقول النار يارب عبدك هذا الذى استعاذ بك منى فاعذه» وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون حسبنا أن يجيرنا من النار فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر ثم رفع يديه وقال اللهم أجرنى من النار أو مثلى يجترىء أن يسألك الجنة . ومنهم عطاء السلمى كان لا يسأل الجنة فقال له صالح المرى ان أبان حدثنى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « يقول الله عز وجل انظروا فى ديوان عبدى فمن رأيتموه سألنى الجنة أعطيته ومن استعاذ بى من النار أعذته» فقال عطاء كفانى أن يجيرنى من النار، ذكرها أبو نعيم وقد روى أبو داود فى سننه من حديث جابر فى قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للفتى يعنى الذى شكاه« كيف تصنع يا ابن أخى إذا صليت ؟ قال أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار وانى لا أدرى ما دندنتك ودندنة معاذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى ومعاذا حولها ندندن» وفى سنن أبى داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يسئل بوجه الله الا الجنة» رواه عن أحمد بن عمرو العصفرى حدثنا يعقوب بن اسحاق حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد فذكره وقد تقدم فى أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك ابن أبى بشير يرفع الحديث: «ما من يوم الا والجنة والنار يسألان تقول الجنة يارب قد طابت ثمارى، واطردت أنهارى، واشتقت الى أوليائى، فعجل الى باهلى» الحديث فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم اليها جذبا. والنار كذلك وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نزال نذكرها ولا ننساها كما روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا اسحاق بن أبى اسرائيل حدثنا أيوب بن أبى

شبيب الصنعاني قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حدثني عبد الله بن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تنسوا العظيمتين قالوا وما العظيمتان يارسول الله؟ قال الجنة والنار» وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم، فأن الجنة لاينام طالبها وان النار لاينام هاربها وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وان الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم عن الآخرة»

الباب الحادي والعشرون

(في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه ؛ وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى، وأسماء كتابه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار)

(الاسم الاول) الجنة وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الاعين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجان وهي الحية الصغيرة الرقيقة ومنه قول الشاعر

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن انسان من الحسن جنت

أي لو غطي وستر عن العيون لفعل بها ذلك. ومنه سمي البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم الا موضع كثير الاشجار مختلف الانواع والجنة بالضم مايستجن به من ترس أوغيره ؛ ومنه قوله تعالى: «اتخذوا أيمانهم جنة» أي يستترون بها من انكار المؤمنين عليهم، ومنه الجنة بالكسر الجن كما قال تعالى «من الجنة والناس»، وذهبت طائفة من المفسرين إلى ان الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا» قالوا وهذا النسب قولهم الملائكة بنات الله ورجحوا هذا القول بوجهين (أحدهما) ان النسب الذي جعلوه انما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لابين الجن

وبينه (الثانى) قوله تعالى: « ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون » أى قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب . والصحيح خلاف ماذهب اليه هؤلاء، وان الجنة هم الجن نفسهم كما قال تعالى « من الجنة والناس » وعلى هذا ففى الآية قولان (أحدهما) قول مجاهد قال قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله. فقال لهم أبو بكر فمن أمهاتهم؟ قالوا سروات الجن . وقال الكلبى: قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة. وقال قتادة قالوا صاهر الجن (والقول الثانى هو) قول الحسن قال: أشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الاول ليس بمستلزم لصحة قولهم فانهم لما قالوا الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسبا بهذا الايلاد وجعلوا هذا النسب متولدا بينه وبين الجن وأما قوله « ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون » فالضمير يرجع إلى الجنة أى قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ » فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم واحضارهم للعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى ابطال قولهم من التقدير الاول فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة

(فصل)

(الاسم الثانى) دار السلام وقد سماها الله بهذا الاسم فى قوله « لهم دار السلام عند ربهم » وقوله « والله يدعو الى دار السلام » وهى أحق بهذا الاسم فانها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهى دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذى سلمها وسلم أهلها « وتحيتهم فيها سلام » « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم » والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى: « لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون سلام قولا من رب رحيم » وسيأتى حديث جابر فى سلام الرب تبارك وتعالى عليهم فى الجنة: وكلامهم كلهم فيها سلام أى لالغو فيها ولا فحش ولا باطل، كما قال تعالى: « لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما » وأما قوله تعالى: « وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » فاكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه وقالوا أقوالا لايخفى بعدها عن المقصود . وانما معنى الآية والله أعلم فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين

أى فسلامه لك كائناً من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ومن النار وعذابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: أبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان. وهذا أول البشرى التى للمؤمن فى الآخرة

(فصل)

(الاسم الثالث) دار الخلد وسميت بذلك لان أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى: «عطاء غير مجذوذ» وقال: «ان هذا لرزقنا ماله من نفاد» وقال: «أكلها دائم وظلها» وقال: «وماهم منها بمخرجين» وسيأتى إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها ان شاء الله تعالى

(فصل)

(الاسم الرابع) دار المقامة قال تعالى حكاية عن أهلها: «وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب» قال مقاتل أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً لايموتون ولايتحولون منها أبداً قال الفراء والزجاج المقامة مثل الاقامة يقال أقمت بالمكان اقامة ومقامة ومقاما

﴿ فصل ﴾

(الاسم الخامس) جنة المأوى قال تعالى: «عندها جنة المأوى» والمأوى مفعل من أوى يأوى إذا انضم إلى المكان وصار اليه واستقر به وقال عطاء عن ابن عباس هى الجنة التى يأوى اليها جبريل والملائكة: وقال مقاتل والكلبى هى جنة تأوى اليها أرواح الشهداء، وقال كعب جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء، وقالت عائشة رضى الله عنها وزر بن حبيش: هى جنة من الجنان، والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى» وقال فى النار فان الجحيم هي المأوى» وقال « ومأواكم النار »

فصل

(الاسم السادس) جنات عدن، فقيل هى اسم لجنة من الجنان والصحيح انه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى: « جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب » وقال تعالى: « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير » وقال تعالى: « ومساكن طيبة فى جنات عدن » والاشتقاق يدل على ان جميعها جنات عدن فانه من الاقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الابل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه قال الجوهرى ومنه جنات عدن أى اقامة ومنه سمى المعدن بكسر الدال لان الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء. ومركز كل شيء معدنه. والعادن الناقة المقيمة فى المرعى

(فصل)

(الاسم السابع) دار الحيوان، قال تعالى: « وان الدار الآخرة لهى الحيوان » والمراد الجنة عند أهل التفسير قالوا وان الآخرة يعنى الجنة لهى الحيوان لهى دار الحياة التى لا موت فيها فقال الكلبي هى حياة لا موت فيها وقال الزجاج هى دار الحياة الدائمة وأهل اللغة على ان الحيوان بمعنى الحياة قال أبو عبيدة وابن قتيبة الحياة الحيوان قال أبو عبيد الحياة والحيوان والحى بكسر الحاء واحد قال أبو على يعنى أنها مصادر فالحياة فعلة كالجلبة والحيوان كالنزوان والغليان والحى كالعى قال العجاج * كنا بها إذا الحياة حى * أى إذا الحياة حياة. وأما أبو زيد فخالفهم وقال: الحيوان ما فيه روح. والموتان والموات ما لا روح فيه. والصواب أن الحيوان يقع على ضربين (أحدهما) مصدر كما حكاه أبو عبيدة (والثانى) وصف كما حكاه أبو زيد وعلى قول أبى زيد الحيوان مثل الحى خلاف الميت ورجح القول الاول بان الفعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات فان بابها فعلان كسكران وغضبان، وأجاب من رجح القول الثانى بان فعلان قد جاء فى الصفات أيضاً قالوا رجل صميان للسريع الخفيف وزفيان قال فى الصحاح: ناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الارسال للسهم فيحتمل قوله تعالى: « وان الدار الآخرة لهى الحيوان » معنيين (أحدهما) ان حياة الآخرة هى الحياة لانها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها

أى لا يشوبها ما يشوب الحياة فى هذه الدار فيكون الحيوان مصدرا على هذا. (الثانى) أن يكون المعنى انها الدار التى لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الاحياء فى هذه الدنيا فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت

فصل

(الاسم الثامن) الفردوس قال تعالى: «أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» وقال تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها» والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على أفضلها وأعلاها، كانه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات وأصل الفردوس البستان والفراديس البساتين قال كعب هو البستان الذى فيه الاعناب؛ وقال الليث الفردوس جنة ذات كروم يقال كرم مفردس أى معرش وقال الضحاك هى الجنة الملتفة بالاشجار وهو اختيار المبرد وقال الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب وجمعه الفراديس قال ولهذا سمى باب الفراديس بالشام وأنشد لجرير

فقلت للركب إذ جد المسير بنا   يا بعد يبرين من باب الفراديس

وقال مجاهد: هذا البستان بالرومية واختاره الزجاج فقال هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية قال وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل ما يكون فى البساتين قال حسان

وان ثواب الله كل مخلد   جنان من الفردوس فيها يخلد

فصل

(الاسم التاسع) جنات النعيم قال تعالى: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم» وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الانواع التى يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن

فصل

(الاسم العاشر) المقام الامين قال تعالى: «ان المتقين فى مقام أمين» والمقام موضع الاقامة والامين الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذى قد جمع صفات الامن كلها

فهو آمن من الزوال والخراب وانواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد (وللبلد الامين) الذى قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم، وتأمل كيف ذكر سبحانه الامن فى قوله تعالى : «ان المتقين فى مقام أمين» وفى قوله تعالى : «يدعون فيها بكل فاكهة آمنين » فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتا

(فصل)

الاسم (الحادى عشر) (والثانى عشر) مقعد الصدق وقدم الصدق، قال تعالى: «ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق» فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال ، مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحملة صادقة ، ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه، وموضع هذه اللفظة في كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق فى الحديث والصدق فى العمل ، والصديق الذى يصدق قوله بالعمل، والصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال للرجل الشجاع انه لذو مصدق أى صادق الحملة وهذا مصداق هذا أى ما يصدقه ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالة ، ومنه صدقنى القتال وصدقنى المودة ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق وذلك كله للحق الثابت المقصود الذى يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذى لا شىء تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتا قط، وفسر قوم قدم صدق بالجنة، وفسر بالاعمال التي تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التى سبقت لهم من الله وفسر بالرسول الذى على يده وهدايته نالوا ذلك، والتحقيق أن الجميع حق فانهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أى بالاسباب التى قدرها لهم على يد رسوله وادخر لهم جزاءها يوم القيامة ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق ، وفى كونه لسان صدق اشارة إلي مطابقته للواقع وأنه ثناء بحق لا بباطل ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذى يكون صاحبه فيه ضامنا على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد فانه لا يزال داخلا فى أمر وخارجا من أمر فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق والله المستعان

﴿ الباب الثانى والعشرون ﴾

(فى عدد الجنات وأنها نوعان جنتان من ذهب وجنتان من فضة)

الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهى جنات كثيرة جدا كما روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك ان أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة «أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يانبى الله ألا تحدثنى عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب. فان كان فى الجنة صبرت. وان كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء. قال ياأم حارثة انها جنان فى الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما. وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن» وقد قال تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» فذكرهما ثم قال: «ومن دونهما جنتان» فهذه أربع وقد اختلف فى قوله ومن دونهما هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين فقالت طائفة من دونهما أى أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما. وقالت طائفة بل معنى من دونهما تحتهما قالوا وهذا المنقول فى لغة العرب إذا قالوا هذا دون هذا أى دونه فى المنزلة كما قال بعضهم لمن بالغ فى مدحه: أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك. وفى الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ثم قال ويقال هذا دون هذا أى أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الاوليين من عشرة أوجه. (أحدها) قوله «ذواتا أفنان» وفيه قولان أحدهما أنه جمع فنن وهو الغصن والثانى أنه جمع فن وهو الصنف أى ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك فى اللتين بعدهما (الثانى) قوله (فيهما عينان تجريان) وفى الأخريين (فيهما عينان نضاختان) والنضاخة هى الفوارة والجارية السارحة وهى أحسن من الفوارة فانها تتضمن الفوران والجريان (الثالث) أنه قال: «فيهما من كل فاكهة زوجان» وفى الأخريين: «فيهما فاكهة ونخل ورمان» ولا ريب ان وصف الاوليين أكمل واختلف فى هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس الذى لا يقصر فى فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس وفيه نظر لا يخفى

وقالت طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب وقالت طائفة نوعان ولم تزد والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والابيض والاحمر وذلك لان اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم (الرابع) انه قال «متكئين على فرش بطائنها من إستبرق» وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها وفى الآخريين قال «متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان» وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الاولين (الخامس) انه قال وجنى الجنتين دان أى قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤا ولم يذكر ذلك فى الأخريين (السادس) انه قال: «فيهن قاصرات الطرف» أى قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال فى الأخريين «حور مقصورات فى الخيام ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها (السابع) أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان فى صفاء اللون واشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك فى التى بعدها (الثامن) أنه قال سبحانه وتعالى فى الجنتين الاولين: «هل جزاء الاحسان إلا الاحسان» وهذا يقتضى ان أصحابهما من أهل الاحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم باحسان كامل (التاسع) انه بدأ بوصف الجنتين الاوليين وجعلهما جزاء لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتى المقربين ثم ذكر جنتى أصحاب اليمين (العاشر) أنه قال «ومن دونهما جنتان» والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهرى فان قيل فكيف انقسمت هذه الجنان الاربع على من خاف مقام ربه قيل لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولاصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما . فان قيل فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثانى بوجهين (أحدهما) من جهة النقل و(الثانى) من جهة المعنى. فأما الذى من جهة النقل فان أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هما بستانان فى رياض الجنة» وأما الذى

من جهة المعنى فان احدى الجنتين جزاء أداء الاوامر. والثانية جزاء اجتناب المحارم «فان قيل» فكيف قال فى ذكر النساء «فيهن» فى الموضعين ولما ذكر غيرهن قال «فيهما» قيل لما ذكر الفرش قال بعدها فيهن خيرات حسان ثم أعاده فى الجنتين الأخريين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى والله أعلم

﴿ الباب الثالث والعشرون ﴾

(فى خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان)

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهى سيدة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ومن السموات العليا ومن البلاد مكة ومن الاشهر الحرم ومن الليالى ليلة القدر، ومن الايام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الاوقات أوقات الصلاة إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى «يخلق ما يشاء ويختار» وقال الطبرانى فى معجمه حدثنا مطلب بن شعيب الازدى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنى الليث. قال الطبرانى فى معجمه وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الانصارى عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل الله تعالى فى آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله فى الساعة الاولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى مسكنه الذى يسكن فيه، ولا يكون معه فيها أحد إلا الانبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم تره عين أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرنى فأغفر له؟ ألا سائل يسألنى فأعطيه؟ ألا داع يدعونى فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر» قال تعالى: «وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً» فيشهده الله تعالى وملائكته. قال الحسن بن سفيان حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال حدثنى خالى عبد الرحمن بن عبد الحميد ابن سالم حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبى هند عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر» وقد ذكر الدارمى والنجار وغيرهما من حديث

أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن – متكلم فيه – عن عون بن عبد الله بن الحارث ابن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله ثلاثة أشياء بيده ؛ خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مد من خمر ولا الديوث؛ قالوا يارسول الله قد عرفنا مد من الخمر فما الديوث؟ قال الذي يقر السوء في أهله» قلت المحفوظ أنه موقوف قال الدارمي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران حدثنا مجاهد قال قال عبد الله بن عمر: «خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام؛ ثم قال لسائر الخلق كن فكان» وحدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: «ان الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث ؛ خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده» حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال : « لم يخلق الله بيده غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده. ثم قال لها تكلمي ؛ قالت قد أفلح المؤمنون» وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا يعقوب القمي حدثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال: «خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيباً لاوليائي. ازدادي حسنا لاوليائي» وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال: «ان الله تعالى غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح في كل سحر فينظر الله اليها فتقول قد أفلح المؤمنون» وذكر البيهقي من حديث البغوي حدثنا يونس بن عبيد الله البصري حدثنا عدى ابن الفضل عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة. وغرس غرسها بيده وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون؛ فقال طوبى لك منزل الملوك» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن أبي المثنى البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا بشير بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها

نطقى قالت قد أفلح المؤمنون. فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التى غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً واظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره وبالله التوفيق ؛ فهذه الجنة فى الجنان كآدم فى نوع الحيوان . وقد روى مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟!! فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب، فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر» ومصداقه من كتاب الله «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين»

الباب الرابع والعشرون

(فى ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم)

قال تعالى : «وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم» والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤتمن على الشىء الذى قد استحفظه . وروى مسلم فى صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» وقد تقدم حديث أبى هريرة المتفق عليه «من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أى فل هلم . قال أبو بكر يارسول الله ذاك الذى لا توى(١) عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنى لأرجو أن تكون منهم» وفى لفظ «هل يدعى أحد من تلك الابواب كلها؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم» لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الايمان .

---

(١) بفتح التاء لا ضياع ولا خسارة

وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الابواب كلها سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحصل ذلك لاحد من الناس ليسعى فى العمل الذى ينال به ذلك نخبره بحصوله وبشره بانه من أهله . وكأنه قال هل تكمل لاحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس. قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا وسمى خازن النار ملكا وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه

الباب الخامس والعشرون

(فى ذكر أول من يقرع باب الجنة)

وقد تقدم حديث أنس ورواه الطبرانى بزيادة فيه قال« فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لاحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك»وذلك أن قيامه اليه صلى الله عليه وسلم خاصة اظهاراً لمزيته ورتبته ولا يقوم فى خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته وهو كالملك عليهم وقد أقامه الله فى خدمة عبده ورسوله حتى مشى اليه وفتح له الباب . وقد روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:«أنا أول من يفتح باب الجنة الا أن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت؟فتقول أنا امرأة قعدت على يتامى»وفى الترمذى من حديث ابن عباس قال : « جلس ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً ان لله من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا؛وقال آخر ماذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليما ؛وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر : آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : « سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك؛وموسى نجى الله وهو كذلك؛ وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ؛وآدم اصطفاه الله وهو كذلك؛ألا وأنا حبيب الله ولا فخر؛ وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر.وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولافخر. وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر؛وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر»وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا

خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر، يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون» رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة

﴿الباب السادس والعشرون﴾

(في ذكر أول الامم دخولا الجنة)

وفي الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال: «رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن السابقون الاولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم» أي لم يسبقونا إلا بهذا القدر فمعنى بيد معنى سوى وغير والا ونحوها. وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون الاولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه» وفي الصحيحين من حديث طاوس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نحن الآخرون الاولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم» وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي» قال الدارقطني غريب عن الزهري ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث ولا رواه الا عمرو بن أبي سلمة عن زهير. فهذه الامة أسبق الامم خروجا من الارض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم، ومحرمة على الامم حتى تدخلها أمته، وأما أول الامة دخولا فقال أبو داود في سننه حدثنا

هناد بن السري ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جعدة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» وقوله «وددت أني كنت معك» حرصاً منه على زيادة اليقين وان يصير الخبر عياناً كما قال ابراهيم الخليل «رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه حدثنا اسماعيل بن عمر الطلحي أنبأنا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة» فهو حديث منكر جداً قال الامام احمد: داود بن عطاء ليس بشيء، وقال البخاري منكر الحديث

﴿الباب السابع والعشرون﴾

(في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم)

في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الالوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا» وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء» وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن

ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء» وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عرض على أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار ؛ فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله من ماله ، وفقير فخور» وروى الامام احمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه واللفظ له من حديث أبى عشانة المعافرى انه سمع عبد الله ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هل تدرون أول من يدخل الجنة؟ قالوا الله ورسوله أعلم ؛ قال فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء ؛ تقول الملائكة ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ؛ فيقول عبادى لا يشركون بى شيئا تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته فى صدره لم يستطع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ولما ذكر الله تعالى أصناف بنى آدم سعيدهم وشقيهم قسم سعيدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال «والسابقون السابقون» ؛ واختلف فى تقريرها على ثلاثة أقوال (أحدها) انه من باب التوكيد اللفظى ويكون الخبر قوله «أولئك المقربون» (والثانى) أن يكون السابقون الاول مبتدأ والثانى خبر له على حد قولك زيد زيد أى زيد الذى سمعت به هو زيد كما قال * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * وكقول الآخر * إذ الناس ناس والزمان زمان * قال ابن عطية وهذا قول سيبويه و(الثالث) أن يكون الاول غير الثانى ويكون المعنى السابقون فى الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الايمان هم السابقون إلى الجنان وهذا أظهر والله أعلم «فان قيل» فما تقول فى الحديث الذى رواه الامام أحمد والترمذى وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال : «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك أمامى ، ودخلت البارحة فسمعت

خشخشتك أمامي: فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب ، فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من أمة محمد ، قلت أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر ابن الخطاب فقال بلال يارسول الله ماأذنت قط إلا وصليت ركعتين، وماأصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله على ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك» قيل نتلقاه بالقبول والتصديق ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجنة وأما تقدم بلال بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة فلأن بلالا كان يدعو الى الله أولا بالاذان فيتقدم أذانه بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم وقد روى فى حديث «أن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالاذان» فتقدمه بين يديه صلى الله عليه وسلم كرامة لرسوله واظهاراً لشرفه وفضله لاسبقاً من بلال له بل هذا السبق من جنس سبقه الى الوضوء ودخول المسجد ونحوه والله أعلم .

﴿ الباب الثامن والعشرون ﴾
(فى سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة)

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام» وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ورجال اسناده احتج بهم مسلم فى صحيحه . وروى الترمذى من حديث ابن عباس الدورى عن المقبرى عن سعيد بن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمى عن جابر بن عبدالله عن النبى ﷺ انه قال : « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً» وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة باربعين خريفاً » وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم: «التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا فى الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ماشاء الله أن يحبس ، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال أى أخى ماذا حبسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك، فيقول

أى أخى انى حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً،ماوصلت اليك حتى سال منى العرق مالو ورده الف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه» وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى وعلى بن عبد الله الرازى قالا حدثنا على بن مهران العطار حدثنا عبد الملك بن أبى كريمة عن سفيان الثورى عن محمد بن زيد عن أبى حازم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :«ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم؛ وذلك خمسمائة عام» وذكر الحديث بطوله والذى فى الصحيح ان سبقهم لهم بأربعين خريفا . فأما أن يكون هو المحفوظ . وإما أن يكون كلاهما محفوظا وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم من يسبق بأربعين ؛ ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب أحوالهم والله أعلم ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لايلزم من سبقهم لهم فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ؛ بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره فى الدخول ؛ والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفا وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ؛ والغنى اذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب اليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ولم يكن له تلك الاعمال ولاسيما اذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها والله لايضيع أجر من أحسن عملا . فالمزية مزيتان مزية سبق ومزية رفعة ؛ وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة؛ويعدمهما آخر ؛ ويحصل لآخر السبق دون الرفعة ، ولآخر الرفعة دون السبق ؛ وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لاحدهما وعدمه؛ وبالله التوفيق

﴿الباب التاسع والعشرون﴾

(فى ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم)

قال تعالى:«وسارعوا الى مغفرة من ربكم . وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين،والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله،ولم يصروا على مافعلوا وهم

يعملون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ؛ ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للاحسان فى حالة العسر واليسر والشدة والرخاء فان من الناس من يبذل فى حال اليسر والرخاء ولا يبذل فى حال العسر والشدة ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو . ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم فى ذنوبهم وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الاصرار فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه . وقال تعالى :« والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » فأخبر تعالى انه أعدها للمهاجرين والانصار وأتباعهم باحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها . وقال تعالى :« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم» فوصفهم باقامة حقه باطنا وظاهرا وبأداء حق عباده . وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (لما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا انى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يابن الخطاب اذهب فناد فى الناس إنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون » قال فخرجت فناديت إنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون) وللبخارى معناه . وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا ينادى فى الناس :« انه لايدخل الجنة الانفس مسلمة » وفى بعض طرقه مؤمنة ؛ وفى الحديث قصة . وفى صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته :« ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى من يومى هذا . كل مال نحلته عبدا حلال ؛ وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم ؛ وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا ؛ وإن الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم

وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : انما بعثتك لابتليك وأبتلي بك .
وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان . وإن الله أمرني أن أحرق
قريشا فقلت رب اذا يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة . قال استخرجهم كما أخرجوك
وأغزهم نغزك . وأنفق فسينفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن
أطاعك من عصاك ، قال وأهل الجنة ثلاثة . ذو سلطان مقسط متصدق موفق ،
ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم . وعفيف متعفف ذو عيال .
وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يبغون فيكم أهلا
ولا مالا ، والخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق إلا خانه . ورجل لا يصبح ولا يمسى
الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخل ، أو الكذب والشنظير الفحاش
وان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على
أحد » وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال سمعت النبى صلى الله عليه
وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره
ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » . وقال الامام أحمد حدثنا على بن
اسحق قال أنبأنا عبد الله أنبأنا موسى بن على بن رباح قال سمعت أبى يحدث
عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أهل النار
كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع ، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » . وذكر
خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة . النبى فى الجنة
والصديق فى الجنة . والشهيد فى الجنة . والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره
الا لله فى الجنة . ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود التى اذا غضب أو غضبت
جاءت حتى تضع يدها فى يد زوجها ثم تقول لا أذوق غمضا حتى ترضى » أخرج النسائى
من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقى الحديث على شرطه ، وروى الامام
أحمد فى مسنده باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال : « ان أهل النار كل جعظرى جواظ متكبر جماع مناع
وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون » وقال ابن ماجه فى سننه حدثنا محمد بن يحيى
وزيد بن أخرم قالا أنبأنا مسلم بن ابراهيم حدثنا أبو هلال الراسبي حدثنا عقبة بن
أبى ثبيت الراسبي عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « ان

أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع . وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع » وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: « مر بجنازة فأثنى عليها خير فقال نبى الله وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقال وجبت وجبت وجبت . فقال عمر فداك أبى وأمي: مر بجنازة فأثنى عليها خير فقال وجبت وجبت وجبت ؛ ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقلت وجبت وجبت وجبت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ؛ ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار ، وأنتم شهداء الله فى الارض» وفى الحديث الآخر «يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار قالوا كيف يارسول الله؟ قال بالثناء الحسن والثناء السيىء» وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى فى قوله « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه

الباب الثلاثون

(فى أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم)

فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فكبرنا ، ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فكبرنا ؛ ثم قال انى لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون فى الكفار إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض» هذا لفظ مسلم ؛ وعند البخارى : «وكشعرة سوداء فى ثور أبيض» بغير الف . وعن بريدة بن الحصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفا» رواه الامام أحمد والترمذى واسناده على شرط الصحيح ؛ ورواه الطبرانى فى معجمه من حديث عبد الله بن عباس وفى اسناده خالد بن يزيد البجلى وقد تكلم فيه ورواه أيضا من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنتم وربع الجنة لكم . ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال كيف أنتم وثلثها . قالوا ذاك أكثر ، قال كيف أنتم والشطر لكم؟ قالوا ذاك أكثر . فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفا» قال الطبراني لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن الا الحرث بن خضيرة تفرد به عبد الواحد بن زياد . وقال عبدالله بن أحمد حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبى عمرو . عن أبيه عن أبى هريرة قال: «لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة» قال الطبرانى تفرد برفعه ابن المبارك عن الثورى . وقال خثيمة بن سليمان القرشى حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكار الصيرفى حدثنا حماد بن عيسى حدثنا سفيان الثورى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا» وهذه الاحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها ولاتنافى بينها وبين حديث الشطر لانه صلى الله عليه وسلم رجا أولا ان يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاد عليه سدساً آخر . وقد روى أحمد فى مسنده من حديث أبى الزبير أنه سمع جابرا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة، قال فكبرنا، ثم قال فارجو أن تكونوا الشطر» واسناده على شرط مسلم

﴿الباب الحادى والثلاثون﴾

(فى أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم فى النار)

ثبت فى الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: «أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على أضوإ كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، ومافى الجنة عزب فان كن من نساء الدنيا فالنساء فى الدنيا أكثر من الرجال وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن فى الدنيا أكثر . والظاهر انهن من الحور العين لما رواه الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين . عن

أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » فان قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه « شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا اقامة ، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة ، قال فجعلت المرأة تلقى خاتمها ، وخرصها والشيء كذلك . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا فجمع ما هناك ، قال ان منكن فى الجنة ليسير . فقالت امرأة يارسول الله لم ؟ قال انكن تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير » وفى الحديث الآخر « ان أقل ساكنى الجنة النساء » قيل هذا يدل على انهن انما كن فى الجنة أكثر بالحور العين التى خلقن فى الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار : أما كونهن أكثر أهل النار فلما روى البخارى فى صحيحه من حديث عمران بن حصين قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » وروى الامام أحمد باسناد صحيح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » وفى المسند أيضا من حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر اهلها الاغنياء والنساء » وفى الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامعشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فانى رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار ؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن ، قالت يارسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل

بشهادة رجل؛ فهذا نقصان العقل ، وتمكث الايام لا تصلى وتفطر فهذا نقصان
الدين » وإنما كونهن أقل أهل الجنة ففى أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله
« أنه كانت له امرأتان فجاء من عند احداهما فقالت الاخرى جئت من
عند فلانة. فقال جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : ان أقل ساكنى الجنة النساء » « فان
قيل » فما تصنعون بالحديث الذى رواه أبو يعلى الموصلى حدثنا عمرو بن
الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع اسماعيل بن
رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طائفة من أصحابه فذكر
حديثا طويلا وفيه « فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله
تعالى وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله فى الدنيا »
وذكر الحديث قيل هذا قطعة من حديث الصور الطويل ولا يعرف الا من
حديث اسماعيل بن رافع وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطنى وغيره
متروك الحديث وقال ابن عدى أحاديثه كلها مما فيه نظر . وأما البخارى فقال
فيه ما حكاه الترمذى عنه قال سمعت محمدا يقول فيه هو ثقة مقارب الحديث
« قلت » ولكن إذا روى مثل هذا مما يخالف الاحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى
روايته وأيضاً فالرجل الذى روى عنه القرظى لايدرى من هو . وقد روى عنه
أحمد فى مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال « كنا مع عمرو بن العاص
فى حج أو عمرة حتى اذا كنا بمر الظهران فاذا امرأة فى هودجها قال فمال فدخل
الشعب فدخلنا معه فقال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان
فاذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من النساء الا مثل هذا الغراب فى هذه
الغربان » والأعصم من الغربان الذى فى جناحه ريشة بيضاء قال الجوهرى ويقال
هذا كقولهم : الابلق العقوق وبيض الانوق : لكل شىء يعز وجوده . وفى النهاية
الغراب الاعصم هو الأبيض الجناحين وقيل الابيض الرجل أراد قلة من يدخل
الجنة من النساء لان هذا الوصف فى الغربان قليل عزيز . وفى حديث آخر
« المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم . قيل وما الغراب الأعصم يارسول الله ؟ قال

الذى إحدى رجليه بيضاء» وفى حديث آخر «عائشة فى النساء كالغراب الاعصم فى الغربان»

الباب الثانى والثلاثون

(فيمن يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر أوصافهم)

ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون الفا تضىء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر: فقام عكاشة بن محصن الاسدى يرفع نمرة عليه. فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم؛ فقام رجل من الانصار فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة» وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليدخلن الجنة من أمتى سبعون الفا بغير حساب أو سبعمائة الف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» فهذه هى الزمرة الاولى وهم يدخلونها بغير حساب والدليل عليه ما ثبت فى الصحيحين والسياق لمسلم حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأنا خصيف بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن جبير فقال: «أيكم الذى رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟ قلت أنا؛ ثم قلت أما انى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت؛ قال فما صنعت؟ قلت استرقيت. قال فما حملك على ذلك؟ قلت حديث حدثناه الشعبى. قال وما حدثكم الشعبى؟ قلت حدثنا عن بريدة ابن الحصيب الاسلمى أنه قال: لا رقية الا من عين أو حمة فقال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع؛ ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهط؛ والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه أحد؛ ورفع الى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الأفق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج

عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم . ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال : سبقك بها عكاشة » وليس عند البخارى لا يرقون قال شيخنا وهو الصواب وهذه اللفظة وقعت مقحمة فى الحديث وهى غلط من بعض الرواة فان النبى صلى الله عليه وسلم جعل الوصف الذى يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والطيرة نوع من الشرك ويتوكلون على الله وحده لا على غيره وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما فى الحديث « الطيرة شرك » قال ابن مسعود : وما منا الا من تطير ، ولكن الله يذهبه بالتوكل ؛ فالتوكل ينافى التطير وأما رقية العين فهى احسان من الراقى قد رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وأذن فى الرقى وقال لا بأس بها مالم يكن فيها شرك واستأذنوه فيها فقال من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه ، وهذا يدل على أنها نفع واحسان وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله فالراقى محسن والمسترقى سائل راج نفع الغير والتوكل ينافى ذلك « فان قيل » فعائشة قد رقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل قد رقاه « قيل » أجل ولكن هو لم يسترق وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل ولا يرقيهم راق وانما قال لا يطلبون من أحد أن يرقيهم ، وفى امتناعه صلى الله عليه وسلم أن يدعو للرجل الثانى سد لباب الطلب فانه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله والله أعلم وفى صحيح مسلم من حديث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب . قيل ومن هم ؟ قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » وفى صحيحه أيضا من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر حديثا طويلا وفيه فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم فى السماء ثم كذلك » [illegible] الحديث وقال احمد بن منيع فى مسنده حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا [illegible]

عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرضت على الامم بالموسم فرأيت ثمنى أمتى ثم رأيتهم فأعجبنى كثرتهم . وهيئتهم قد ملؤا السهل والجبل فقال أرضيت يا محمد؟ فقلت نعم فقال ان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب . وهم الذين لا يسترقون . ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم فقام رجل آخر فقال سبقك بها عكاشة» واسناده على شرط مسلم

— الباب الثالث والثلاثون —

(فى ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة)

قال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من امتى سبعين ألفا بغير حساب مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات من حثيات ربى » قلت واسماعيل بن عياش انما يخاف من تدليسه وضعفه فأما تدليسه فقد قال الطبرانى حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقى والحسين بن اسحاق التسترى قالا حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا اسماعيل بن عياش قال أخبرنى محمد بن زياد الألهانى قال سمعت أبا أمامة فذكره ، وأما ضعفه فانما هو فى غير حديث الشاميين وهذا من روايته عن الشاميين ، وأيضا فقد جاء من غير طريقه . قال أبو بكر ابن أبى عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبى اليمان الهوزنى عن أبى أمامة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب قال يزيد بن الاخنس والله ما أولئك فى أمتك يارسول الله إلا مثل الذباب الأصهب فى الذباب ، قال رسول الله ﷺ فأن الله وعدنى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا وزادنى ثلاث حثيات » قال أبو عبد الله المقدسى أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن ابراهيم الشامى شيخ البخارى ومن فوقه إلى أبى أمامة من رجال الصحيح الا الهوزنى . وما علمت فيه جرحا قال الطبرانى حدثنا أحمد بن خليد حدثنا

أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عامر بن يزيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفا، ثم يحثى ربي تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات فكبر عمر وقال ان السبعين الاول يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلني الله في احدى الحثيات الاواخر» قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد لاأعلم لهذا الاسناد علة قال الطبراني وحدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام بن زيد بن سلام انه سمع أبا سلام يقول حدثني عبد الله بن عامر بن قيس الكندي ان أبا سعيد الانماري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ويشفع لكل ألف سبعين ألفا ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه، قال ابن قيس فقلت لابي سعيد أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم باذني ووعاه قلبي، قال أبو سعيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي، ويوفي الله عز وجل بقيته من أعرابنا» قال الطبراني لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الانماري الا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية ابن سلام وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع باسناده وفيه قال أبو سعيد «فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يستوعب ان شاء الله مهاجري أمتي» قال الطبراني حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسي ومحمد بن يحيى بن منده الاصبهاني قالا أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان الله وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة فقال عمير يارسول الله زدنا فقال هكذا بيده، فقال عمير يارسول الله زدنا فقال عمر حسبك ياعمير، فقال مالنا ولك يا ابن الخطاب وما عليك أن يدخلنا الله الجنة، فقال عمر ان الله عز وجل ان شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر» قال

محمد بن عبد الواحد لا أعرف لعمير حديثا غيره . وفي الحلية من حديث سليمان ابن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي الجنة مئة ألف فقال أبو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال يا رسول الله زدنا فقال عمر إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر» رواه عنه أبو ابراهيم بن الهيثم البلدي وفيه ضعف تفرد به . أبو هلال الراسبي بصري واسمه محمد بن سليمان وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف. قال أبو بكر زدنا يا رسول الله قال وهكذا وجمع بين يديه قال زدنا يا رسول الله قال وهكذا . فقال عمر حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا!! فقال عمر إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحد: فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر» تفرد به عبد الرازق وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا قالوا زدنا يا رسول الله فقال وهكذا وحثى بيده. قالوا يا نبي الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا»: قال محمد بن عبد الواحد لا أعلمه روي عن أنس بهذا الطريق وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال صالح ؛ وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا في قبضته الاولى سبحانه يوم القبضتين . «فان قيل» فكيف كانوا اولا قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور «قيل» الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم وقد روي أنهم كانوا كالذر وأما يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقة وأكمل أجساما ؛ فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين والله أعلم

الباب الرابع والثلاثون

(في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها)

قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا ثنا زهير حدثنا سعد الطائي حدثنا أبو مدلة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول قلنا يا رسول

الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة. وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والاولاد، قال لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم. ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لهم، قال قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال لبنة ذهب ولبنة فضة. وملاطها (١) المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين» وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا ييأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه. قيل يارسول الله كيف بناؤها؟ قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة. وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران» هكذا جاء في هذه الاحاديث أن ترابها الزعفران وكذلك روى عن يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك» وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس بن مالك قال: «كان أبو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ (٢) اللؤلؤ وإذا ترابها المسك» وهو قطعة من حديث المعراج وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق» ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة ان ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال: «درمكة بيضاء مسك خالص» وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد قد غلب أصحابك اليوم قال وبأي شيء غلبوا؟ قال سألهم اليهود كم عدد خزنة النار

---

(١) ملاطها طينها (٢) الجنابذ جمع جنبذة وهي القبة

فقالوا لا ندرى حتى نسأل نبينا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا؟!! ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة. على باعداء الله فانى سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة فلما أن جاؤه قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه كلتيهما هكذا وهكذا وقبض واحدة أى تسعة عشر. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تربة الجنة؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا خبزة يا أبا القاسم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم الخبزة من الدرمكة» فهذه ثلاث صفات فى تربتها لا تعارض بينها فذهبت طائفة من السلف الى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران. قال أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن أبى عبيد عن أبيه عن الاعمش عن مالك بن الحارث قال قال معتب بن سمى: الجنة ترابها المسك والزعفران. ويحتمل معنيين آخرين (أحدهما) أن يكون التراب من زعفران فاذا عجن بالماء صار مسكا والطين يسمى ترابا ويدل على هذا قوله فى اللفظ الآخر ملاطها المسك والملاط الطين ويدل عليه أن فى حديث العلاء بن زياد «ترابها الزعفران وطينها المسك» فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيبا فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكا (المعنى الثانى) أن يكون زعفرانا باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة. وهذا من أحسن شيء يكون. البهجة والاشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك. وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافى الذى يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد بهذا: أرض الجنة من فضة وترابها المسك فاللون فى البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك وقد ذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى بكر بن أبى شيبة عن عمر بن عطاء بن زرارة عن سالم ابن المغيث عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل. فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا فتقول لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد اعجابا» وقال ابن أبى شيبة حدثنا معاوية ابن هشام حدثنا على بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال «قيل يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها

مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران » وقال أبو الشيخ حدثنا الوليد بن أبان حدثنا أسيد ابن عاصم حدثنا الحوضى حدثنا عدى بن الفضل حدثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ: « ان الله بنى جنات عدن بيده، بناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك الاذفر، وترابها الزعفران وحصباءها اللؤلؤ، ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون: فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك » وقال أبو الشيخ حدثنا عمرو بن الحسين حدثنا أبو علاثة حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قالت ليلة أسرى بى ياجبريل انهم سيسألونى عن الجنة: قال فأخبرهم أنها من درة بيضاء وأن أرضها عقيان » والعقيان الذهب فان كان ابن علاثة حفظه فهى أرض الجنتين الذهبيتين فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما والله أعلم

الباب الخامس والثلاثون

(فى ذكر نورها وبياضها)

قال أحمد بن منصور الرمادى أنبأنا كثير بن هشام حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدام عن حبيب بن الشهيد عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « خلق الله الجنة بيضاء، وأحب الزى إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخالطها بيضاء، فجاءته امرأة فقالت يارسول الله انى اتخذت غنما سودا فلا أراها تنمو قال عفرى » وقوله « عفرى » أى بيضى وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه: « ان الله خلق الجنة بيضاء وان أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم » وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عليكم بالبياض فان الله خلق الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم » وروينا من طريق البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سعيد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفى عن خاله الزميل بن السماك أنه

سمع أباه يحدث أنه لقى عبد الله بن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال «يا ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة: قلت فما نورها؟ قال ما رأيت الساعة التى تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها الا انه ليس فيها شمس ولا زمهرير» وذكر الحديث وسيأتى إن شاء الله تعالى وفى حديث لقيط بن عامر الطويل الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وقال « وتحتبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحداً: قال قلت يارسول الله فبم نبصر؟ قال مثل بصرك فى ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الارض وواجهته الجبال » وفى سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المغافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا هل مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها: هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد: ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة: ومقام فى أبد فى دار سليمة: وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية، قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها. قال قولوا إن شاء الله قال القوم ان شاء الله »

﴿ الباب السادس والثلاثون ﴾

(فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها)

قال الله تعالى: « لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية » فاخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وانه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالى بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر اليها عياناً ومبنية صفة للغرف الاولى والثانية أى لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها وقال تعالى: « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا » والغرفة جنس كالجنة وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الاقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله الغرفة والتحية والسلام فى مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم . وقال تعالى: « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » وقال تعالى: « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ، ومساكن طيبة فى جنات عدن » وقال تعالى

عن امرأة فرعون أنها قالت «رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة» وروى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابى فقال يا رسول الله لمن هى؟ قال لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام. وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرحمن بن اسحاق. وقال الطبرانى حدثنا عبدان ابن أحمد حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام قال حدثنى أبو سلام حدثنى أبو معانق الاشعرى حدثنى أبو مالك الاشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» وقال ابن وهب حدثنا حيى عن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، قال أبو مالك الاشعرى لمن هى يا رسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام» قال محمد بن عبد الواحد وهو عندى اسناد حسن وذكر أبى مالك فيه يدل على صحته لان أبا مالك قد رواه واسناده أيضا حسن وقد تقدم حديث أبى سعيد المتفق على صحته: «إن أهل الجنة ليتراأون أهل الغرف كما تراأون الكوكب الغابر من الافق» وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتا فى الجنة» وقوله فى حديث أبى موسى: «يقول الله عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد» وفى الصحيحين من حديث عبد الله ابن أبى أوفى وأبى هريرة وعائشة «أن جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم هذه خديجة اقرئها السلام من ربها وامره أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» والقصب ههنا قصب اللؤلؤ المجوف، وقد روى ابن أبى الدنيا من حديث يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن عكرمة عن أبى هريرة

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ان فى الجنة لقصراً من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن أعده الله عز وجل لخليله ابراهيم» وفى الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لشاب من قريش فظننت أنى أنا هو، فقلت ومن هو قالوا لعمر بن الخطاب» وهو فيهما من حديث جابر ولفظه «فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب» وقد تقدم وقال ابن أبى الدنيا حدثنا شجاع بن الاشرس قال سمعت عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال قلت لجبريل لمن هذا القصر؟ قال لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا فقلت لأى قريش؟ قال لعمر بن الخطاب» وهذا ان كان محفوظاً فبياضه نوره واشراقه وضياؤه والله أعلم. وقال الحسن قصر من ذهب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته. وقال الاعمش عن مالك بن الحرث عن مغيث بن سمى قال: ان فى الجنة قصوراً من ذهب وقصوراً من فضة وقصوراً من لؤلؤ وقصوراً من ياقوت وقصوراً من زبرجد. وقال الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها. وروى البيهقى من حديث حفص بن عمر حدثنا عمرو بن قيس الملائى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن فى الجنة لغرفا فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها، قيل لمن هى يارسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام، قال وما طيب الكلام؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فانها تأتى يوم القيامه ولها مقدمات ومعقبات، قيل وما وصال الصيام؟ قال من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه، قيل وما اطعام الطعام؟ قال من قات عياله وأطعمهم، قيل وما افشاء السلام؟ قال مصافحة أخيك وتحيته، قيل وما الصلاة والناس نيام؟ قال صلاة العشاء الآخرة» قال حفص بن عمر هذا مجهول لم يروه عنه غير على بن حرب فيما أعلم قلت هذا يلقب بالكفر بفتح الكاف وسكون الفاء وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام وعلى ابن حرب وهما ثقتان ولكن ضعفه ابن عدى وابن حبان وحديثه هذا له شواهد

والله أعلم وفى فوائد ابن السماك حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال سمعت محمد بن واسع يذكر عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أحدثكم بغرف الجنة؟ قال قلنا بلى يارسول الله بأبينا أنت وأمنا. قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. قال قلنا يارسول الله لمن هذه الغرف؟ قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام. قال قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام. ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام. ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام ومن صلى صلاة العشاء الآخرة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام. اليهود والنصارى والمجوس» وهذا الإسناد وان كان لا يحتج به وحده فاذا انضم اليه ما تقدم استفاد قوة مع انه قد روى بإسنادين آخرين

— الباب السابع والثلاثون —

(فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وان لم يروها قبل ذلك)

قال تعالى : (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) قال مجاهد يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً وقال ابن عباس فى رواية أبي صالح «هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم». وقال محمد بن كعب يعرفونها كما تعرفون بيوتكم فى الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة. هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرفها لهم أى بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال وقال مقاتل ابن حيان: بلغنا ان الملك الموكل بحفظ بنى آدم يمشى فى الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله فى الجنة فاذا دخل الى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه . وقال سلمة بن كهيل طرقها لهم ومعنى هذا انه طرقها لهم حتى يهتدوا اليها وقال الحسن وصف الله الجنة فى الدنيا لهم فاذا دخلوها عرفوها بصفتها وعلى هذا القول فالتعريف وقع

فى الدنيا ويكون المعنى يدخلهم الجنة التى عرفها لهم وعلى القول الاول يكون التعريف واقعا فى الآخرة هذا كله اذا قيل انه من التعريف وفيها قول آخر انه من العرف وهو الرائحة الطيبة وهذا اختيار الزجاج أى طيبها ومنه طعام معرف أى مطيب وقيل هو من العرف وهو التتابع أى تابع لهم طيباتها وملاذها والقول هو الاول وانه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعداه إلى غيره . وفى صحيح البخارى من حديث قتادة عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال: «اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، والذى نفسى بيده ان أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا» وفى مسند آخر من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا باعرف بازواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بازواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة»

الباب الثامن والثلاثون

(فى كيفية دخولهم الجنة ومايستقبلون عند دخولها)

قد تقدم قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) وقال تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال ابن أبى الدنيا حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلي حدثنا يحيى بن سليم الطائفى حدثنا اسماعيل بن عبد الله المكى حدثنا أبو عبد الله انه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحارث عن على أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال قلت يارسول الله ماالوفد إلا ركب قال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فاذا شربوا من إحداهما جرت فى وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضؤا من الاخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفيحة فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتستخفها

العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب فلولا ان الله عز وجل عرفه نفسه لخر له
ساجداً مما يرى من النور والبهاء . فيقول أنا قيمك الذى وكلت بامرك . فيتبعه
فيقفو أثره فيأتى زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول
أنت حبى وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبدا، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً
والخالدة فلا أظعن أبداً، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبنى على
جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر، ما منها طريقة
تشاكل صاحبتها، فيأتى الاريكة فاذا عليها سرير على السرير سبعون فراشا عليها سبعون
زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضى جماعهن فى مقدار
ليلة ، تجرى من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر ، وأنهار
من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره
الرجال باقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية ، فاذا
اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى
الالوان شاؤا ثم تطير فتذهب ، فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انشعب الغصن اليهم
فيأكلون من أى الثمار شاؤا ان شاء قائما وان شاء متكئا، وذلك قوله عز وجل
(وجنى الجنتين دان) وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ» هذا حديث غريب وفى اسناده ضعف
وفى رفعه نظر والمعروف أنه موقوف على على قال ابن أبى الدنيا حدثنا، محمد بن عمر بن
سليمان حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد فى هذه
الآية (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال: «أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم
ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد
فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة» وقال على بن الجعد فى الجعديات أنبأنا
زهير بن معاوية عن أبى اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن على قال: «يساق الذين
اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده
شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى احداهما كأنما أمروا بها
فشربوا منها فأذهبت مافى بطونهم من أذى وقذى وبأس ثم عمدوا إلى الأخرى
فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تغير ابشارهم أو تغبر بعدها أبداً
ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين . قال ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان

أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته، فيقولون ابشر بما أعد الله لك من الكرامة كذا قال ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى يدعى به فى الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو ذا بأثرى فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها فاذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر واصفر واحمر ومن كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فاذا مثل البرق فلولا أن الله قدره له لألم أن يذهب ببصره ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة فنظروا الى تلك النعمة ثم اتكؤا وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبداً، وتصحون فلا تمرضون أبداً» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال «ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة وألبس لباسهم وحلى حليهم وأرى أزواجه وخدمه ويأخذه سوار فرح لو كان ينبغى أن يموت لمات من سوار فرحه، فيقال له أرأيت سوار فرحتك هذه فانها قائمة لك أبداً» قال ابن المبارك وأخبرنا راشد بن سعد أنبأنا زهرة بن معبد القرشى عن أبى عبد الرحمن الجيلى قال: «ان العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون الف خادم كأنهم اللؤلؤ» قال ابن المبارك وأنبأنا يحيى بن أيوب حدثنى عبيد الله بن زحر عن محمد بن أبى أيوب المخزومى عن أبى عبد الرحمن المعافرى قال: «إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه» وقال أبو نعيم أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال: «إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به فى سككها فيقول له أنظر ما ترى قال أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة وأكثر أنيس فيقول له الملك فأن هذا أجمع لك حتى إذا رفع اليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون نحن لك ثم يقول امش فيقول ماذا ترى فيقول أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام وأكثر أنيس قال فان هذا أجمع لك فاذا رفع اليهم استقبلوه فقالوا نحن لك نحن لك» وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليدخلن الجنة من

أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم؛ وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»

(الباب التاسع والثلاثون)

(في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم.)

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك، قال فذهب فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله، قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن» متفق على صحته. وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون وعفان بن مسلم قالا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع» قيل تفرد به حماد عن علي بن زيد. وفي جامع الترمذي من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين» قال هذا حديث حسن غريب. وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال حدثنا عمر عن الاوزاعي عن هرون بن رئاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ثم يذهب بهم الى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم» وقال الترمذي حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو ابن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار» فان كان هذا محفوظاً لم يناقض ما قبله فان العرب اذا قدرت بعدد له نيف فان لهم طريقين تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه وهذا معروف في كلامهم وخطاب

غيرهم من الامم . وقال ابن أبى الدنيا حدثنا القاسم بن هشام حدثنا صفوان ابن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلانى حدثنا الاوزاعى عن هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون» وقال ابن وهب حدثنا معاوية ابن صالح عن عبد الوهاب بن بخت عن أبى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ان أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعا وعلى ذلك قطعت سررهم» وقد تقدم ان أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر وان الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب فى السماء اضاءة . وأما الاخلاق فقد قال تعالى: «ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين» فأخبر عن تلاقى قلوبهم وتلاقى وجوههم وفى الصحيحين «أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء» والرواية على خلق بفتح الخاء وسكون اللام والاخلاق كما تكون جمعا للخلق بالضم فهى جمع للخلق بالفتح والمراد تساويهم فى الطول والعرض والسن وان تفاوتوا فى الحسن والجمال ولهذا فسره بقوله على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء. وأما أخلاقهم وقلوبهم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة: «أول زمرة تلج الجنة» الحديث وقد تقدم وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بانهن أتراب أى فى سن واحدة ليس فيهن العجائز والشواب وفى هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى فانه أبلغ وأكمل فى استيفاء اللذات لانه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الامرين يكون كمال اللذة وقوتها بحيث يصل فى اليوم الواحد الى مائة عذراء كما سيأتى ان شاء الله تعالى ولا يخفى التناسب الذى بين هذا الطول والعرض فانه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة يصير طولا مع دقة أو غلظا مع قصر وكلاهما غير مناسب والله أعلم

﴿الباب الاربعون﴾

(فى ذكر أعلى أهل الجنة منزلة

وأدناهم أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه)

قال تعالى: « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم

درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات» قال مجاهد وغيره منهم من كلم الله موسى ورفع بعضهم درجات هو محمد صلى الله عليه وسلم وفى حديث الاسراء المتفق على صحته أنه صلى الله عليه وسلم لما جاوز موسى قال رب لم أظن أن ترفع على أحدا ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاوز سدرة المنتهى . وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة» وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم: «ان موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت رب، قال رب فأعلاهم منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» وقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد أنبأنا شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر غير مرفوع قال ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفا ورواه عبد الله الاشجعى عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه «قلت» ورواه الطبرانى فى معجمه من حديث أبى معاوية عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا «إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه» الحديث . ورواه أبو نعيم عن اسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال اسرائيل لا أعلم ثويرا الا رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال

الإمام أحمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشهب الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له لثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة ولا أعلمه قال الا من ذهب فى كل صحفة لون ليس فى الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وعن الاشربة بثلثمائة إناء فى كل إناء لون ليس فى الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وانه ليقول يارب لو أذنت لى لاطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى شيء؛ وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الارض» قلت سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائى وشهر بن حوشب ضعفه مشهور والحديث منكر يخالف الاحاديث الصحيحة فان طول ستين ذراعا لايحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الارض والذى فى الصحيحين فى أول زمرة تلج الجنة لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين فكيف يكون لادناهم اثنتان وسبعون من الحور العين وأقل ساكنى الجنة نساء الدنيا فكيف يكون لادنى أهل الجنة جماعة منهن وأيضاً فان الجنتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين فكيف يكون أدناهم فى الذهبيتين قال الدولابى شهر بن حوشب لايشبه حديثه حديث الناس وقال ابن عون ان حوشب شهراً تركوه وقال النسائى وابن عدى ليس بالقوى وقال أبو حاتم لايحتج به وتركه شعبة ويحيى بن سعيد وهذان من أعلم الناس بالحديث ورواته وعلله وان كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه فلاريب أنه إذا انفرد بما يخالف مارواه الثقات لم يقبل والله أعلم

﴿ الباب الحادى والاربعون ﴾

(فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها)

روى مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان قال: «كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها. فقال لم تدفعنى؟ فقلت ألا تقول يارسول الله. فقال اليهودى انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسمى محمداً الذى سمانى به أهلى؛ فقال اليهودى جئت أسألك؛ فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم أينفعك بشيء ان حدثتك؟ فقال اسمع بأذنى فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال سل؟ فقال اليهودى أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظلمة دون الجسر، قال فمن أول الناس اجازة يوم القيامة؟ قال فقراء المهاجرين، قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على أثرها؟ قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها، قال فما شرابهم؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا، قال صدقت، قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الارض الانبى أو رجل أو رجلان، قال أينفعك إن حدثتك؟ قال أسمعك بأذنى، قال جئت أسألك عن الولد؟ قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فاذ اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا باذن الله تعالى، وإن علا منى المرأة منى الرجل آنثا باذن الله تعالى، قال اليهودى لقد صدقت وانك لنبى، ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه ومالى علم بشيء منه حتى أتانى الله عز وجل به» وفى صحيح البخارى عن أنس قال: «سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو فى أرض يخترف(١) فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الانبى فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال أخبرنى بهن جبريل آنفا، قال جبريل؟ قال نعم، قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية (قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت، قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يارسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى فجاءت اليهود فقال أى رجل عبد الله فيكم؟ فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ فقالوا أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه، فقال هذا الذى كنت أخاف يارسول

---

(١) يخترف يجتنى الثمر من المخرف وهو حائط النخل.

الله » وفى الصحيحين من حديث عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبى صلى الله عليه وسلم: «تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر لاهل الجنة فاتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم الا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال بلى ، قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبى ﷺ فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبرك بادامهم؟ قال بلى : قال ادامهم بالأدم والنون ، قالوا وما هذا؟ قال ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفا» وقال عبد الله بن المبارك حدثنا ابن لهيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب ان أبا الخير أخبره أن أبا العوام أخبره أنه سمع كعبا يقول : « ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة ادخلوها ان لكل ضيف جزورا وانى أجزركم اليوم فيأتى بثور وحوت فيجزر لاهل الجنة »

الباب الثانى والاربعون

(فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق)

قال الطبرانى حدثنا موسى بن حازم الاصبهانى حدثنا محمد بن بكير الحضرمى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن الحسن بن عمرو عن مجاهد عن جنادة بن أبى أمية عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخارى فى الصحيح عن قيس بن حفص عن عبد الواحد بن زياد عن الحسن ابن عمرو الفقيمى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة. وقال « ليوجد من مسيرة أربعين عاما » وقال الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا معدى ابن سليمان هو البصرى عن ابن عجلان عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « الا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » قال وفى الباب عن أبى بكرة وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح قال محمد بن عبد الواحد واسناده عندى على شرط الصحيح « قلت » وقد رواه الطبرانى من حديث عيسى بن يونس عن عوف الاعرابى عن محمد بن

سيرين عن أبي هريرة يرفعه «من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وان ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام» وقال الطبراني حدثنا اسحق بن ابراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أو غيره عن أبي بكرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام» وهذه الالفاظ لا تعارض بينها بوجه وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس قال: «لم يشهد عمى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً قال فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه فان أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها ؛ قال فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له اين؟ فقال واها لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية. فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه. ونزلت هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه» وريح الجنة نوعان ريح يوجد في الدنيا تشمه الارواح أحيانا لا تدركه العباد وريح يدرك بحاسة الشم للابدان كما تشم روائح الازهار وغيرها وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ؛ وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الاول والله أعلم. وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن معمر حدثنا محمد بن أحمد المؤذن حدثنا عبد الواحد بن غياث أنبأنا الربيع بن بدر حدثنا هرون بن رياب عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام» وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد ابن علي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم» وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان

ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وقد أشهد الله سبحانه عباده فى هذه الدار آثارا من آثار الجنة وأنموذجا منها من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة والنعيم والسرور وقرة العين ؛ وقد روى أبو نعيم من حديث الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل للجنة طيبى لأهلك فتزداد طيباً فذلك البرد الذى يجده الناس بالسحر من ذلك كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة قال تعالى فى هذه النار نحن جعلناها تذكرة» وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها والله المستعان

(الباب الثالث والاربعون)

(فى الأذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها)

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم: «قال ينادى مناد ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً وذلك قول الله عز وجل (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) قال عثمان بن أبى شيبة حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حمزة الزيات عن أبى اسحق عن الاغر عن أبى هريرة وأبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم «(ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً واخلدوا فلا تموتوا أبدا وانعموا فلا تبأسوا أبدا» وفى صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون الى الله فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب اليهم من النظر اليه» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا أبو بكر الالهانى أخبرنى أبو تميم الهجيمى قال سمعت أبا موسى الاشعرى يخطب على منبر البصرة يقول: «ان الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل

أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والانهار والازواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا ماوعدنا قالوا ذلك ثلاث مرات فينظرون فلا يفتقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي شيء ان الله يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله» وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك ؛ فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؛ فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك ؛ قالوا ربنا واى شيء أفضل من ذلك ؛ قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا» ومن تراجم البخارى عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة؛ وسيأتى فى هذا أحاديث نذكرها فى باب معقود لذلك ان شاء الله . وفى الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول ياأهل الجنة لاموت وياأهل النار لاموت كل خالد فيماهو فيه» وهذا الاذان وان كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل اليهم ملكا فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة كما يؤذن مؤذن الجمعة اليها وذلك فى مقدار يوم الجمعة كما سيأتى مبينا فى باب زيارتهم الرب عز وجل والله أعلم

الباب الرابع والاربعون

(فى أشجار الجنة وبساتينها وظلالها)

قال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة) وقال تعالى (ذواتا أفنان) وهو جمع فنن وهو الغصن وقال (فيهما فاكهة ونخل ورمان) والمخضود الذى قد خضد شوكه أى نزع وقطع فلا شوك فيه هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبى الاحوص وقسامة بن زهير وجماعة واحتج هؤلاء بحجتين (احداهما) ان الخضد فى اللغة القطع وكل رطب قضبته فقد خضدته؛ وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود؛ ومنه الخضد

على مثال التمر وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب . والخضاد شجر رخو لاشوك فيه (الحجة الثانية) قال ابن أبى داود حدثنا محمد بن مصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا ثور ابن يزيد حدثنى حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمى قال : «كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال يارسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكا منها يعنى الطلح : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لايشبه لون آخر» (الملبود) الذى قد اجتمع شعره بعضه على بعض وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال : «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم : أقبل اعرابى يوماً فقال يارسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماهى ؟ قال السدر فأن له شوكا مؤذياً : قال أليس الله يقول فى سدر مخضود ؟ ! خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة » وقالت طائفة المخضود هو الموقر حملا وأنكر عليهم هذا القول وقالوا لا يعرف فى اللغة الخضد بمعنى الحمل ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أو قرت بالحمل والحديثان المذكوران يجمعان القولين وكذلك قول من قال المخضود الذى لايعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه فسره بلازم المعنى وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة وفردا من أفراده تارة ، ومثالا من أمثلته فيحكيها الجاعون للغث والسمين أقوالا مختلفة ولا اختلاف بينها

(فصل)

وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا إنه شجرة الموز قال مجاهد أعجبهم

طلح وج وحسنه فقيل لهم «وطلح منضود» وهـذا قول على بن أبى طالب وابن عباس وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى . وقالت طائفة أخرى بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادى الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك وقال ابن قتيبة هو الذى نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز وقال مسروق ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها وأنهارها تجرى من غير أخدود وقال الليث الطلح شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم العضاه شوكا وأصلبه عوداً واجوده صمغاً . قال أبو اسحاق يجوز أن يعنى به شجر أم غيلان لان له نورا طيب الرائحة جداً فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على مافى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على سائر ما فى الدنيا فانه ليس فى الجنة مما فى الدنيا الا الأسامى، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز انما أراد التمثيل به لحسن نضده والا فالطلح فى اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادى والله أعلم وفى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها فاقرؤا ان شئتم وظل ممدود» وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها» قال أبو حازم فحدثنا به النعمان بن أبى عياش الزرقى فقال حدثنى أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام لايقطعها» وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدى حدثنا شعبة عن أبى الضحاك سمعت أباهريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو مائة سنة، هى شجرة جنة الخلد» وقال وكيع حدثنا اسماعيل بن أبى خالد عن زياد مولي بنى مخزوم عن الزهرى عن أبى هريرة رضى الله عنه: « ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام اقرؤا ان شئتم وظل ممدود، فبلغ ذلك كعبا فقال صدق، والذى أنزل التوراة علي لسان موسي والفرقان علي لسان محمد صلي الله عليه وسلم لو أن رجلا ركب

جذعة أو جذعاً ثم دار باصل تلك الشجرة مائة عام مابلغها حتى يسقط هرما
ان الله غرسها بيده ونفخ فيها وإن أصلها من وراء سور الجنة: مافى الجنة نهر
الا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة» وقال ابن أبى الدنيا حدثنا ابراهيم
عن سعيد الجوهرى حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة
ابن وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال: «الظل الممدود شجرة فى الجنة على
ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها فيخرج اليها
أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون فى ظلها قال فيشتهى بعضهم ويذكر لهو
الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا»
وفى جامع الترمذى من حديث أبى حامد عن أبى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «مافى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب» قال هذا حديث
حسن . وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله
أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
اقرؤا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)
وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا ان شئتم (وظل
ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا ومافيها اقرؤا ان شئتم (فمن زحزح
عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)» رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذى والنسائى
وابن ماجه وصدره فى الصحيحين . وفى صحيح البخارى من حديث أنس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب
فى ظلها مائة عام لا يقطعها وان شئتم فاقرؤا وظل ممدود وماء مسكوب» وقال
ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن
أبى سعيد الخدرى قال: «قال رجل يارسول الله ماطوبى؟ قال شجرة فى الجنة مسيرة
مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» وقد رواه عنه حرملة بزيادة وقال
أخبرنى ابن وهب أخبرنى عمرو أن دراجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبى
سعيد الخدرى «ان رجلا قال يارسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال طوبى
لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى: فقال
رجل يارسول الله وما طوبى؟ قال شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل
الجنة تخرج من أكمامها» (قلت) وأول هذا الحديث فى المسند ولفظه «طوبى لمن
رآنى وآمن بى وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات» وقال ابن المبارك

حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم» وقال الامام أحمد بن حدثنا على بحر حدثنا هشام ابن يوسف حدثنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: «جاء أعرابى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الاعرابى فيها فاكهة؟ قال نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، فذكر شيئاً لا أدرى ماهو؟ فقال اى شجر أرضنا تشبهه؟ قال ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتيت الشام؟ قال لا قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها. قال ماعظم أصلها؟ قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ماأحاطت باصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما، قال فيها عنب؟ قال نعم قال فما عظم العنقود؟ قال مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر، قال فما عظم الحبة؟ قال هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيما؟ قال نعم. قال فسلخ اهابه فأعطاه امك وقال لها اتخذى لنا منه دلوا؟ قال نعم، قال الاعرابى فان تلك الحبة لتشبعنى أنا وأهل بيتى؟ قال نعم وعامة عشيرتك» قال أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير عن محمد وابن اسحاق عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر سدرة المنتهى فقال يسير فى ظل الفنن منها الراكب مائة سنة، أو قال يستظل فى الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال» ورواه الترمذى وقال شك يحيى وهو حديث حسن غريب. وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال «أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائما لم يؤذه ومن أكل جالسا لم يؤذه ومن أكل مضطجعا لم يؤذه وذللت قطوفها تذليلا» وقال أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبى ظبيان عن جرير بن عبد الله قال: «نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه قال

فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فأظله قال فانطلق فأظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال ياجرير تواضع لله فان من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة ياجرير هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت لا أدرى: قال ظلم الناس بينهم ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال ياجرير إذا طلبت مثل هـذا فى الجنة لم تجده ؛ قلت ياعبد الله فاين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر »

﴿الباب الخامس والاربعون﴾

(فى ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها)

قال تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة) وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل أى شبيهه ونظيره لاعينه؛ فهل المراد هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة؟ قيل فيه قولان ففى تفسير السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذى رزقنا من قبل أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة فلما نظروا اليها قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا قال مجاهد ماأشبهه به؛ وقال ابن زيد هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا ، وأتوا به متشابها يعرفونه ؛ وقال آخرون هذا الذى رزقنا من قبل من ثمار الجنة؛ من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضا فى اللون والطعم . واحتج أصحاب هذا القول بحجج (إحداها) أن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها البعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا ولشدة المشابهة قالوا هذا هو (الحجة الثانية) ماحكاه ابن جرير عنهم قال ومن علة قائلى هذا القول ان ثمار الجنة كلما نزع منها شىء عاد مكانه آخر مثله كما كان حدثنا ابن بشار حدثنا بن مهدى حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن أبى عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى (الحجة الثالثة) قوله وأتوا به متشابها وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم هذا الذى رزقنا من قبل (الحجة الرابعة) ان من المعلوم انه ليس كل مافى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولارأوها ورجحت

طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوه قال ابن جرير والذى يحقق صحة قول القائلين ان معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا ان الله جل ثناؤه قال (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) يقولون هذا الذى رزقنا من قبل ولم يخصص ان ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض فاذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم ان ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة فلا شك أن ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذى لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة فاذا كان لا شك ان ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه فمعلوم انه محال ان يقولوا لاول رزق رزقوه من ثمار الجنة هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة وكيف يجوز ان يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذى رزقنا من قبل الا ان ينسبهم ذو غية وضلال الى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع ان يكون ذلك من قيلهم الاول رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب دلالة على أن ذلك فى حال من أحوالهم دون حال فقد تبين ان معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا . قلت أصحاب القول الاول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الاول لدلالة العقل والسياق عليه وليس هذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات (أحدها) ان كثيرا من ثمار الجنة وهى التى لا نظير لها فى الدنيا لا يقال فيها ذلك (الثانى) ان كثيرا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى الجنة (الثالث) انه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا هذا الذى رزقنا فى الدنيا ويستمرون على هذا الكلام دائما إلى غير نهاية والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعتنى بهم من نعيمهم ولذتهم وانما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من الطيب ومعناه انه يشبه بعضه بعضا ليس أوله خيرا من آخره ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك بل أوله مثل آخره ، وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضا فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة الى الكذب بوجه . والذى يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه والله

أعلم . وأما قوله عز وجل: « وأتوا به متشابها» قال الحسن خيار كله لا رذل ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل وقال قتادة : خيار لا رذل فيه فأن ثمار الدنيا ينتقى منها ويرذل منها وكذلك قال ابن جريج وجماعة؛ وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل . وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متشابها فى اللون والمرأى وليس يشبه الطعم قال مجاهد متشابها لونه مختلفا طعمه وكذا قال الربيع بن أنس وقال يحيى بن أبى كثير «عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون هذا الذى جئتمونا به آنفا؛ فيقول لهم الخدم كلوا فان اللون واحد والطعم مختلف؛ فهو قوله عز وجل كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها» وقالت طائفة وناس معنى الآية أن يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة أفضل واطيب قال ابن وهب قال عبد الرحمن ابن زيد يعرفون اسماءه كما كانوا فى الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا فى الجنة هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها يعرفونه وليس هو مثله فى الطعم واختار ابن جرير هذا القول قال ودليلنا على فساد قول من قال ان معنى الآية هذا الذى رزقنا من قبل أى فى الجنة وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله وأتوا به متشابها ان الله سبحانه وتعالى اخبر عن المعنى الذى من اجله قال القوم هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها «قلت» وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال: «جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب» وقال تعالى «يدعون فيها بكل فاكهة آمنين» وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها وقال تعالى «وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة» وقال تعالى «وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة» اى لا تكون فى وقت دون وقت ولا تمنع ممن أرادها : «وقال فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية» والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف؛ والقطف بالفتح الفعل أى ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء قال البراء بن عازب يتناول الثمرة وهو نائم وقال تعالى : «ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا» قال ابن عباس اذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد وقال غيره قريب اليهم مذللة كيف شاؤا

فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين فيكون كقوله قطوفها دانية ومعنى تذليل القطف تسهيل تناوله؛ وأهل المدينة يقولون ذلل النخل اى سو عروقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها؛ وفى نصب دانية وجهان (أحدهما) انه على الحال عطفا على قوله متكئين و(الثانى) انه صفة الجنة وقال تعالى: «فيهما من كل فاكهة زوجان» وفى الجنتين الاخريين «فيهما فاكهة ونخل ورمان» وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما كما نص على حدائق النخل والاعناب فى سورة النباء اذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها وقد قال تعالى: «ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم» وقال الطبرانى حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا على بن المدينى حدثنا ريحان بن سعيد عن عبادة بن منصور عن أيوب عن أبى قلابة عن اسماعيل عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنى عقبة بن مكرم العمى حدثنا ربعى بن ابراهيم بن علية حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهبط الله آدم من الجنة عليه السلام وعلمه صنعة كل شىء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير انها تغير وتلك لا تغير» وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال. وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته» وفى لفظ «فتناولت منها قطفا فقصرت عنه يدى» وقال أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: «بينما نحن فى صلاة الظهر اذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمنا ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب يارسول الله صنعت اليوم فى صلاتك شيئا ما كنت تصنعه؟ قال انه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والارض لا ينقصونه» وقال ابن المبارك أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد ليس فيه عجم» وقال سعيد بن منصور حدثنا شريك عن أبى اسحاق عن البراء بن

عازب قال: «ان أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أي حال شاؤا » وقال البزار في مسنده حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى قال حدثني كريب انه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا مشمر للجنة فان الجنة لاخطر لها، هي ورب الكعبة نور تتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام ابدا في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية، قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها، قال قولوا ان شاء الله قال القوم ان شاء الله» قال البزار وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا أسامة ولا نعلم له طريقاً عن أسامة الا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافري الا هذا الرجل محمد بن مهاجر وفي حديث لقيط بن صبرة الذي رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وغيره « قلت يارسول الله على ما يطلع أهل الجنة؟ قال على انهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير من مثله معه، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة» قال الحسن وأبو العالية هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه

الباب السادس والاربعون

(في زرع الجنة)

قال تعالى : « وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين » وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث يوما وعنده رجل من أهل البادية : « أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له أولست فيما اشتهيت؟ فقال بلى ولكني أحب ان ازرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله عز وجل دونك يا ابن آدم فانه لايشبعك شيء، فقال الاعرابي يارسول الله لا نجد هذا الا قرشيا أو أنصاريا فانهم اصحاب زرع فاما نحن فلسنا باصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم» رواه البخاري في كتاب التوحيد في باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه في غيره أيضاً وهذا يدل على أن في

الجنة زرعاً وذلك البذر منه وهذا أحسن أن تكون الارض معمورة بالشجر والزرع فان قيل فكيف استأذن هذا الرجل ربه فى الزرع فاخبره أنه فى غنية عنه قيل لعله استأذنه فى زرع يباشره ويزرعه بيده وقد كان فى غنية عنه وقد كفى مؤونته ولا أعلم ذكر الزرع فى الجنة الا فى هذا الحديث والله أعلم . وروى ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال « بينما رجل فى الجنة فقال فى نفسه لو أن الله يأذن لى لزرعت ؛ فلا يعلم الا والملائكة على أبوابه فيقولون سلام عليكم يقول لك ربك تمنيت فى نفسك شيئا فقد علمته ؛ وقد بعث الله معنا البذر فيقول ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه كل يا ابن آدم فان ابن آدم لايشبع » والله أعلم

الباب السابع والاربعون

(فى ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذى تجرى عليه)

وقد تكرر فى القرآن فى عدة مواضع قوله تعالى « جنات تجرى من تحتها الانهار » وفى موضع « تجرى تحتها الانهار » وفى موضع « تجرى من تحتهم الانهار » وهذا يدل على أمور (أحدها) وجود الانهار فيها حقيقة (الثانى) أنها جارية لا واقفة (الثالث) أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود فى أنهار الدنيا وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بامرهم وتصريفهم لها كيف شاؤا وكأن الذى حملهم على ذلك انه لما سمعوا أن أنهارها تجرى فى غير اخدود فهى جارية على وجه الارض حملوا قوله تجرى من تحتها الانهار على أنها تجرى بامرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم فان أنهار الجنة وان جرت فى غير أخدود فهى تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الاشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت ارضها وقد أخبر سبحانه عن جريان الانهار تحت الناس فى الدنيا فقال « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم » فهذا على ما هو المعهود المتعارف وكذلك ما حكاه من قول فرعون « وهذه الانهار تجرى من تحتى » وقال تعالى « فيهما عينان نضاختان » قال ابن أبى شيبة حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد قال « نضاختان بالماء والفواكه » وحدثنا ابن يمان عن أبى إسحاق عن أبان عن أنس قال : نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضح المطر على دور أهل الدنيا ، وحدثنا

عبد الله بن ادريس عن أبيه عن أبي اسحاق عن البراء قال اللتان تجريان أفضل من النضاختين . وقال تعالى : «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه . وأنهار من خمر لذة للشاربين . وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم» فذكر سبحانه هذه الاجناس الاربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه . وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصا . وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها . وآفة العسل عدم تصفيته . وهذا من آيات الرب تعالى أن تجرى أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا باجرائها ويجريها في غير أخدود وينفى عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفى عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والانزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب لشرابها ذلك الا باللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصدع الرأس وهي كريهة المذاق وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والاخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخزى والندامة والفضيحة وتلحق شاربها بانقص نوع الانسان وهم المجانين وتسلبه أحسن الاسماء والسمات وتكسوه أقبح الاسماء والصفات وتسهل قتل النفس وافشاء السر الذي في افشائه مضرته أو هلاكه ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياما له ولم يلزمه مؤنته وتهتك الاستار وتظهر الاسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم وتخرج من القلب تعظيم المحارم ومدمنها كعابد وثن ، وكم أهاجت من حرب وافقرت من غنى . وأذلت من عزيز . ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة . وفسخت مودة . ونسجت عداوة . وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه . وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت في وجه شاربها بابا من الخير وفتحت له بابا من الشر . وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية وكم أورثت من خزية ، وجرت على شاربها من محنة ، وجرت عليه من سفلة فهي جماع الاثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم . ولو لم يكن من رذائلها الا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة» لكفى . وآفات الخمر أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة فان قيل فقد وصف

سبحانه الانهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجارى لا يأسن فما فائدة قوله غير آسن قيل الماء الجارى وان كان لا يأسن فانه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال. وتأمل اجتماع هذه الانهار الاربعة التى هى أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم. وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم. وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم

﴿فصل﴾

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة الى أقصى درجاتها كما روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن؟ ومنه تفجر أنهار الجنة» وروى الترمذى نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ولفظ حديث عبادة «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة. ومنها الانهار الاربعة والعرش فوقها فان سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى» وفى المعجم للطبرانى من حديث الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة» وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن قتادة قال أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رفعت الى سدرة المنتهى فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر. وورقها مثل آذان الفيلة. يخرج من ساقها نهران ظاهران. ونهران باطنان. فقلت ياجبريل ماهذا؟ قال أما النهران الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» وفى صحيحه أيضا من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا ياجبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك. قال فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك أذفر». وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «الكوثر نهر فى الجنة وعدنيه ربى عز وجل» وقال محمد بن عبد الله الانصارى حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فاذا بنهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ. فضربت

يدى الى ما يجرى فيه من الماء فاذا أنا بمسك أذفر. فقلت لمن هذا يا جبريل؟ فقال هذا الكوثر الذى أعطاك الله عزوجل» قال الترمذى حدثنا هناد حدثنا محمد ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت؛ تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل؛ وأبيض من الثلج» قال هذا حديث حسن صحيح وقال أبو نعيم الفضل حدثنا أبو جعفر هو الرازي حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد (انا أعطيناك الكوثر) قال الخير الكثير) وقال أنس بن مالك: نهر فى الجنة وقالت عائشة هو نهر فى الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه فى أذنيه الاسمع خرير ذلك النهر؛ وهذا معناه والله أعلم أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل أصبعيه فى أذنيه؛ وفى جامع الترمذى من حديث الحريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الانهار بعد» قال هذ حديث حسن صحيح وقال الحاكم حدثنا الاصم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن سمرة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا؛ ومن سره أن يكسيه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا» وذكر الاعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: «إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك» وهذا موقوف صحيح وذكر ابن مردويه فى مسنده حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحرث بن عبيد حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه الانهار تشخب من جنة عدن فى جوبة ثم تصدع بعد أنهارا». وقال ابن أبى الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيدة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الحريرى عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: «أظنكم تظنون أن أنهار الجنة اخدود فى الارض؟ لا والله انها لسائحة على وجه الارض احدى حافتيها اللؤلؤ والاخرى الياقوت؛ وطينها

المسك الاذفر ، قال قلت ماالأذفر ؟ قال الذى لا خلط له» ورواه ابن مردويه فى تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا مهدى ابن حكيم حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجريرى عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره هكذا رواه مرفوعا وقال أبو خيثمة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (انا أعطيناك الكوثر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« أعطيت الكوثر فاذا هو يجرى ولم يشق شقا، واذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدى الى تربته فاذا مسك أذفر واذا حصباؤه اللؤلؤ » وذكر سفيان الثورى عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن مسروق فى قوله تعالى:« وماء مسكوب» قال أنهار تجرى فى غير أخدود قال«ونخل طلعها هضيم» قال من أصلها الى فروعها أو كلمة نحوها . وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » وقال عثمان بن سعيد الدارمى حدثنا سعيد بن سابق حدثنا مسلمة بن على عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:« أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل صلى الله عليه وسلم فاستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم، فذلك قوله (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون) فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فرفع ذلك كله الى السماء، فذلك قوله تعالى(وانا على ذهاب به لقادرون) فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد حرم أهلها خيرى الدنيا والآخرة» ورواه أحمد بن عدى فى ترجمة مسلمة هذا مع أحاديث غيره وقال عامة أحاديثه غير محفوظة وبالجملة فهو من الضعفاء قال البخارى منكر الحديث وقال النسائى متروك وقال أبو حاتم لا تشتغل به . وقال عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أبى أيوب

عن عقيل بن خالد عن الزهرى أن ابن عباس قال: « إن فى الجنة نهرا يقال له البيدج عليه قباب من ياقوت تحته جوار يقول أهل الجنة انطلقوا بنا الى البيدج فيتصفحون تلك الجوارى فاذا أعجب رجلا منهم جارية مس معصمها فتتبعه »

﴿ فصل ﴾

وأما العيون فقد قال تعالى: « ان المتقين فى جنات وعيون » وقال تعالى: « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » قال بعض السلف معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم، وقد اختلف فى قوله يشرب بها فقال الكوفيون الباء بمعنى من أى يشرب منها وقال آخرون بل الفعل مضمن ومعنى يشرب بها أى يروى بها فلما ضمنه معناه عداه تعديته وهذا أصح وألطف وأبلغ، وقالت طائفة الباء للظرفية والعين اسم للمكان كما تقول كنا بمكان كذا وكذا ونظير هذا التضمين قوله تعالى: « ومن يرد فيه بالحاد بظلم » ضمن معنى يهم فعدى تعديته وقال تعالى: « ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عيناً فيها تسمى سلسبيلا » فاخبر سبحانه عن العين التى يشرب بها المقربون صرفا أن شراب الابرار يمزج منها لان أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فاخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: « ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون » فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور فى أول السورة والزنجبيل فى آخرها، فان فى الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفى الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء احدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر وما ألطف موقع ذكر الكافور فى أول السورة والزنجبيل فى آخرها فان شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله، والظاهر ان الكأس الثانية غير الاولى وانهما نوعان لذيذان من الشراب (أحدهما) مزج بكافور و (الثاني) مزج بزنجبيل

وأيضاً فانه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده فى مقابلة ماوصفهم به من حرارة الخوف والايثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التى نبه على وفائهم بأضعفها وهو ماأوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء باعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم ولهذا قال «وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً» فان فى الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون فى جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة ؛ وجمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا جال بواطنهم كما جملوا فى الدنيا ظواهرهم بشرائع الاسلام وبواطنهم بحقائق الايمان؛ونظيره قوله فى آخر السورة «عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة»فهذه زينة الظاهر ثم قال «وسقاهم ربهم شراباً طهورا» فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص ونظيره قوله تعالى لابيهم آدم عليه السلام: «إن لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى» فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعرى وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضحى ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباسا يوارى سوآتهم ويزين ظواهرهم ولباساً آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهو لباس التقوى وأخبر أنه خير اللباسين وقريب من هذا اخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة؛وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى؛ وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف «فذلكن الذى لمتننى فيه» فأرتهن حسنه وجماله ثم قالت «ولقد راودته عن نفسه فاستعصم» فاخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة وهذا كثير فى القرآن لمتأمله

الباب الثامن والاربعون

(فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه)

قال تعالى: «ان المتقين فى ظلال وعيون. وفواكه مما يشتهون. كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون» وقال تعالى: «فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه؛ انى ظننت أنى ملاق حسابيه؛ فهو فى عيشة راضية، فى جنة عالية قطوفها دانية؛ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية» وقال تعالى: «وتلك

الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون،لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون»وقال تعالى:« مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها» وقال تعالى :«وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون، يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم»وقال تعالى:«يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك،وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » وفى صحيح مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ،طعامهم ذلك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس»ورواه أيضا من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه«قالوا فمابال الطعام؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد»وفى المسند وسنن النسائى باسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الاعمش عن ثمامة ابن عقبة عن زيد بن ارقم قال:«جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟قال نعم والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب والجماع والشهوة،قال فان الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى قال تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه» ورواه الحاكم فى صحيحه ولفظه «أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟-ويقول لاصحابه ان أقر لى بهذا خصمته -فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى،والذى نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل فى المطعم والمشرب والشهوة والجماع فقال له اليهودى فان الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك،فاذا البطن قد ضمر»وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله ابن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم:«انك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا»وقد تقدم حديث أنس فى قصة عبد الله ابن سلام فى أول طعام يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره وحديث أبي سعيد الخدرى «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلا لاهل الجنة » وقال الحاكم أنبأنا الاصم حدثنا ابراهيم بن منقذ حدثنا ادريس

ابن يحيى حدثنى الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان فى الجنة طيرا أمثال البخاتى فقال أبو بكر انها لناعمة يارسول الله؛ قال أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها ياأبا بكر» قال الحاكم وأنبأنا الأصم حدثنا يحيى بن أبى طالب أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء أنبأنا سعيد عن قتادة فى قوله تعالى: «ولحم طير مما يشتهون» قال ذكر لنا ان أبا بكر» قال «يارسول الله انى لأرى طير الجنة ناعمة كما ان أهلها ناعمون؛ قال من يأكلها أنعم منها وانها أمثال البخاتى وانى لأحتسب على الله أن تأكل منها ياأبا بكر وبهذا الاسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبدالله بن عمرو فى قوله تعالى: «يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب» قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس فى الاخرى » وقال الدراوردى حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول فى الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو نهر أعطانيه ربى أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال عمر بن الخطاب انها يارسول الله لناعمة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها أنعم منها» تابعه ابرهيم بن سعيد عن ابن أخى ابن شهاب وقال فقال أبو بكر بدل عمر . وقال عثمان بن سعيد الدارمى حدثنا عبد الله ابن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى «وكأس من معين» يقول الخمر لافيها غول يقول ليس فيها صداع وفى قوله تعالى «ولا هم عنها ينزفون» يقول لاتذهب عقولهم وقوله تعالى «وكأساً دهاقا» يقول ممتلئة وقوله «رحيق مختوم» يقول الخمر ختم بالمسك وقال علقمة عن ابن مسعود: (ختامه مسك) قال خلطه وليس بخاتم ثم يختم قلت يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ليس من الخاتم وقال زيد بن معاوية سألت علقمة عن قوله تعالى « ختامه مسك» فقرأتها (خاتمه مسك) فقال لى ليست خاتمه ولكن اقرأه (ختامه مسك) قال علقمة ختامه خلطه ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطيب ان خلطه من مسك لكذا وكذا ؛ وذكر سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق الرحيق الخمر المختوم يجدون

ماقبتها طعم المسك وبهذا الاسناد عن مسروق عن عبدالله فى قوله تعالى «ومزاجه من تسنيم» قال تمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وكذلك قال ابن عباس يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لمن دونهم وقال مجاهد ختامه مسك يقول طينة وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير ولفظ الآية أوضح منه وكأنه والله أعلم يريد ما يبقى فى أسفل الاناء من الدردى وذكر الحاكم من حديث آدم حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبى الدرداء فى قوله (ختامه مسك) قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها . قال آدم وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال «التسنيم» اسم العين التى يمزج بها الخمر . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (وكأساً دهاقا) قال هى المتتابعة الممتلئة قال وربما سمعت العباس يقول اسقنا وادهق لنا وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: «ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً» وعلى قوله «ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا» فقالت فرقة سلسبيلا جملة مركبة من فعل وفاعل وسبيلا منصوب على المفعول أى سل سبيلا اليها وليس هذا بشىء وانما السلسبيل كلمة مفردة وهى اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ولقد شفى قتادة ومجاهد فى اشتقاق اللفظة فقال قتادة سلسة فهم يصرفونها حيث شاؤا وهذا من الاشتقاق الاكبر، وقال مجاهد سلسة السيل حديدة الجرية، وقال أبو العالية والمقاتلان: تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم وهذا من سلاستها وحدة جريتها ، وقال آخرون معناها طيبة الطعم والمذاق وقال أبو اسحاق سلسبيل صفة لما كان فى غاية السلاسة فسميت العين بذلك وقال ابن الأنبارى الصواب فى سلسبيل انه صفة للماء وليس باسم للعين واحتج على ذلك بحجتين (احداهما) أن سلسبيلا مصروف ولو كان اسما للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية (الثانية) أن ابن عباس قال معناه أنها تنسل فى حلوقهم انسلالا، «قلت» ولا حجة له فى واحدة منهما ، أما الصرف فلاقتضاء رؤس الآى له كنظائره ، وأما قول ابن عباس فانما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلالة والسهولة . فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الاشربة من

الماء واللبن والخمر وليس فى الدنيا مما فى الآخرة الا الاسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت مالا يعلمه البشر، فأن قيل فأين يشوى اللحم وليس فى الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ«كن» وأجاب آخرون بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتى به اليهم والصواب أنه يشوى فى الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لانضاجه واصلاحه كما قدر هناك أسبابا لانضاج الثمر والطعام على أنه لايمتنع أن يكون فيها نار تصلح لاتفسد شيئاً وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مجامرهم الالوة» و(المجامر) جمع مجمر وهو البخور الذى يتبخر باحراقه و(الالوة) العود المطرى فاخبر أنهم يتجمرون به أى يتبخرون باحراقه لتسطع لهم رائحتـه وقد أخبر سبحانه أن فى الجنة ظلالاً والظلال لا بد أن تفىء مما يقابلها فقال: «هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون» وقال: «ان المتقين فى ظلال وعيون» وقال: «وندخلهم ظلا ظليلا» فالاطعمة والحلوى والتجمر تستدعى أسبابا تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شىء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسبابا تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذى يفيض من جلودهم، فهذا سبب اخراجه وذاك سبب انضاجه، وكذلك جعل فى أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحا وجشاء، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها فرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للاسباب والحكم ما يخلقه فى الدنيا والآخرة، والاسباب مظهر أفعاله وحكمته ولـكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الاسباب المعهودة المألوفة وربما حمله ذلك على الانكار والـكفر وذلك محض الجهل والظلم والا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لاتقصر قدرته فى هـذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته وليس هذا باهون عليه من ذلك ولعل النشأة الاولى التى أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التى وعدنا بها إذا تأملها اللبيب ولعل اخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من اخراجها من بين تربة الجنـة ومائها وهوائها، ولعل اخراج هذه الاشربة التي هى غذاء

ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قيء ذباب أعجب من اجرائها أنهاراً في الجنة باسباب أخر ؛ ولعل اخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من انشائها هناك من أسباب أخر ؛ ولعل اخراج الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من اخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وانشيء منها ، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والارض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود ، وبالجملة فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه وعلى توحده بالربوبية والالهية ، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار تجد هذه أدل شيء على تلك ؛ شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد فبعدا لقوم لا يؤمنون

﴿الباب التاسع والاربعون﴾

(في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها)

قال تعالى : « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب » فالصحاف جمع صحفة قال الكلبي بقصاع من ذهب وقال الليث الصحفة قصعة مسلنطحة عريضة ؛ الجمع صحاف ؛ قال الاعشى

والمكاكيك والصحاف من الفضـ ـة والضامرات تحت الرجال

وأما الاكواب فجمع كوب ؛ قال الفراء الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له وأنشد لعدى

متكئا تصفق أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب

وقال أبو عبيد الاكواب الاباريق التي لا خراطيم لها قال أبو اسحاق واحدها كوب وهو اناء مستدير لا عروة له ؛ وقال ابن عباس هي الاباريق التي ليست لها آذان ؛ وقال مقاتل هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عرى ؛ وقال البخاري في صحيحه الاكواب الاباريق التي لها خراطيم وقال تعالى « يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين » الاباريق هي الاكواب التي لها خراطيم فان لم يكن لها خراطيم ولا عرى فهي أكواب . وإبريق إفعيل من البريق وهو الصفاء فهو الذي يبرق لونه من صفائه ثم سمي كل ما كان على

شكله ابريقا وان لم يكن صافيا، وأباريق الجنة من الفضة فى صفاء القوارير يرى من ظاهرها مافى باطنها والعرب تسمى السيف ابريقا لبريق لونه، ومنه قول ابن أحمر

تعلقت ابريقا وعلقت جفنه   ليهلك حيا ذا زهاء وجامل

وفى نوادر اللحيانى امرأة ابريق اذا كانت براقة، وقال تعالى «يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديرا» فالقوارير هى الزجاج فاخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافته وهذا من أحسن الاشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال (قوارير من فضة) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال ابن قتيبة كل ما فى الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما فى الدنيا من صنعة العباد كما قال ابن عباس ليس فى الدنيا شيء مما فى الجنة إلا الاسماء والاكواب فى الدنيا قد تكون من فضة وتكون من قوارير فاعلمنا الله أن هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة وهذا كقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) أى لهن ألوان المرجان فى صفاء الياقوت. وهذا مردود عليه فان الآية صريحة انها من فضة، و«من» ههنا لبيان الجنس كما تقول خاتم من فضة ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة بل جنسه ومادته الفضة ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهى قوارير وهو الزجاج وليس فى ذلك إشكال لما ذكرناه. وقوله (قدروها تقديرا) التقدير جعل الشيء بقدر مخصوص فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه وهذا أبلغ فى لذة الشارب فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقى هذا قول جماعة من المفسرين، قال الفراء قدروا الكأس على قدر رى أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ريه وهو ألذ الشراب. وقال الزجاج جعلوا الاناء على قدر مايحتاجون اليه ويريدونه. وقال أبو عبيد يكون التقدير الذين يسقون قدروها ثم يسقون يعنى أن الضمير فى قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرى فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة

كما تقدم، وقالت طائفة الضمير يعود على الشاربين أى قدروا فى أنفسهم شيئا فجاءهم الامر بحسب ما قدروه وأرادوه؛ وقول الجمهور أحسن وأبلغ وهو مستلزم لهذا القول والله أعلم * وأما الكأس فقال أبو عبيدة هو الاناء بما فيه وقال أبو اسحاق الكاس الاناء اذا كان فيه خمر ويقع الكاس لكل اناء مع شرابه والمفسرون فسروا الكأس بالخمر وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل؟ حتى قال الضحاك كل كأس فى القرآن فانما عنى به الخمر وهذا نظر منهم الى المعنى والمقصود فان المقصود مافى الكأس لا الاناء نفسه. وأيضا فان من الاسماء ما يكون اسما للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس فان النهر اسم الماء ولمحله معا ولكل منهما على انفراده وكذلك الكأس والقرية ولهذا يجىء لفظ القرية مرادا به الساكن فقط والمسكن فقط والامران معاً وقد أخرجا فى الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما؛ وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن» وفيهما أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر؛ والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة؛ لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعا فى السماء» وفى الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة» وقال أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا ثوبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال قال أنس: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه اذا لم يكن يعرفه فاذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يارسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت فاذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثنى عشر رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم الى نهر

البيدخ أو البيدح فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فاتو بصحفة من ذهب فيها بسر فا كلوا من ذلك البسر ما شاؤا فما يقلبونها من وجه الا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، فجاء البشير من تلك السرية فقال أصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فقال قصى رؤياك فقصتها وجعلت تقول جيء بفلان وفلان كما قال» رواه الامام أحمد فى مسنده بنحوه واسناده على شرط مسلم

﴿ الباب الخمسون ﴾

(فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم)

قال تعالى: «إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين» وقال تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب، ويلبسون ثيابا خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك» قال جماعة من المفسرين السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وقالت طائفة ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق وقال الزجاج هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الاخضر وألين اللباس الحرير فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به وقال تعالى: «ولباسهم فيها حرير» وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها وهى أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة» متفق على صحته من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وقد اختلف فى المراد بهذا الحديث فقالت طائفة من السلف والخلف انه لا يلبس الحرير فى الجنة ويلبس غيره من الملابس قالوا وأما قوله تعالى (ولباسهم فيها حرير) فمن العام المخصوص وقال الجمهور وهذا من الوعيد الذى له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التى تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف عنه لمانع وقد دل النص والاجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضا الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين وشفاعة من يأذن الله فى الشفاعة فيه وشفاعة أرحم الراحمين الى نفسه، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة . وقال تعالى: «وجزاهم بما

صبروا جنة وحريرا» وقال: «عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق» وتأمل ما دلت عليه لفظة «عاليهم» من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزا يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذى يلبس فوق الثياب للزينة والجمال . وقد اختلف القراء السبعة فى نصب «عاليهم» ورفعه على قراءتين واختلف النحاة فى وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين واختلف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والاستبرق أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم وعلى السادات هذه الثياب وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع فالصواب أنه منصوب على الظرف فان عاليا لما كان بمعنى فوق أجرى مجراه ؛ قال أبو على وهذا الوجه أبين وهو أن عاليا صفة فجعل ظرفا كما كان قوله (والركب أسفل منكم) كذلك وكما قالوا هو ناحية من الدار ؛ وأما من رفع عاليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ولا يمنع من هذا افراد عال وجمع الثياب لان فاعلا قد يراد به الكثرة كما قال

ألا ان جيرانى العشية رائح دعتهم دواع من هوى ومناوح

وقال تعالى: «مستكبرين به سامراً تهجرون» ومن رفع خضر أجراه صفة للثياب وهو الاقيس من وجوه . (أحدها) المطابقة بينهما فى الجمع . (الثانى) موافقته لقوله تعالى «ويلبسون ثيابا خضرا» (الثالث) تخلصه من وصف المفرد بالجمع ومن جر أجراه صفة للسندس على ارادة الجنس كما يقال أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض ؛ وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع ايضا وهو أن العرب تجىء بالجمع الذى هو فى لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: «الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا» وكقوله «كأنهم أعجاز نخل منقعر» فاذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فافراد صفة الواحد وان كان فى معنى الجمع أولى . وفى استبرق قراءتان الرفع عطفا على ثياب والجر عطفا على سندس وتأمل كيف جمع لهم بين نوعى الزينة الظاهرة من اللباس والحلى كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريبا فجمل البواطن بالشراب الطهور ؛ والسواعد بالاساور ؛ والابدان بثياب الحرير . وقال تعالى ؛ «ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من

ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير» واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه فمن نصبه ففيه وجهان أحدهما أنه عطف على موضع قوله من أساور والثاني أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الاول أي ويحلون لؤلؤا ومن جره فهو عطف على الذهب ثم يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ، ويحتمل أن تكون الاساور مركبة من الامرين معا الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد. قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن رزق حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: «ان لله عز وجل ملكا منذ يوم خلق يصوغ حلي أهل الجنة الى أن تقوم الساعة لو أن قلبا من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة» حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري. حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: «الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء» حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم» وقال ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة قال ان أبا امامة حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال: «مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب مرد مكحلون» وقد أخرجا في الصحيحين والسياق لمسلم عن أبي حازم قال: «كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ ابطه فقلت يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال يا بني فروخ أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول. تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد واطالته والصحيح أنه لا يستحب وهو قول أهل المدينة وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الاطالة فان الحلية انما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف. وأما قوله (فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

بين ذلك غير واحد من الحفاظ . وفى مسند الامام أحمد فى هذا الحديث قال نعيم فلا أدرى قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل، من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة من عنده، وكان شيخنا يقول هذه اللفظة لا يمكن ان تكون من كلام رسول الله ﷺ فان الغرة لا تكون فى اليد لا تكون الا فى الوجه واطالته غير ممكنة اذ تدخل فى الرأس فلا تسمى تلك غرة . وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» . وقوله لا تبلى ثيابه الظاهر ان المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى، ويحتمل ان يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد كما انها لا ينقطع أكلها فى جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر والله أعلم . قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا محمد بن أبي الوضاح حدثنا العلاء ابن عبد الله بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبد الله بن عمر قال: «جاء اعرابى حرمى فقال يارسول الله اخبرنا عن الهجرة؟ اليك اينما كنت، ام لقوم خاصة، أم إلى أرض معلومة اذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيرا ثم قال اين السائل؟ فقال هاهو ذا يارسول الله، قال الهجرة ان تهجر الفواحش ماظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم انت مهاجر وان مت بالحضر، فقام آخر فقال يارسول الله اخبرنى عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقا أم تنسج نسجا، قال فضحك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تضحكون من جاهل يسأل عالما!! ، فاسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال اين السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال هاهو ذا يارسول الله، قال لا بل يشقق عنها ثمر الجنة» ثلاث مرات. وقال الطبرانى فى معجمه حدثنا احمد بن يحيى الحلوانى والحسن بن على الفسوى قالا حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل ابن مرزوق عن ابى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب درى فى السماء لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها، كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء» وهذا الاسناد على شرط

الصحيح . وقال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخزرجي بن عثمان السعدي حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، قال قلت يارسول الله وما النصيف؟ قال الخمار» وقال ابن وهب اخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الرجل ليتكىء في الجنة سبعين سنة قبل ان يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها اصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت؟ فتقول انا المزيد، وانه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وان عليها التيجان، وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» وروى الترمذي ذكر التيجان وان أدنى لؤلؤة عن سويد ابن نصر عن رشدين بن سعد عن عمرويه . وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد ابن ادريس الحنظلي حدثنا أبو عتبة حدثنا اسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلام الاسود قال سمعت أبا امامة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة الا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء أبيض وان شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر، وإن شاء اسود، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن» قال ابن أبي الدنيا وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي عن خالد الزميل انه سمع أباه قال: «قلت لابن عباس ما حلل الجنة؟ قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فاذا أراد ولي الله كسوة انحدرت اليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة الوانا بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت» قال وحدثنا عبد الله بن أبي خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني دراج أبو السمح ان ابا الهيثم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له يارسول الله «طوبى لمن رآك وآمن بك فقال طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني، فقال له رجل وما طوبى؟ قال شجرة في

بِنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» قال وحدثني يعقوب ابن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبي المهزم قال قال أبو هريرة «دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل باصبعيه وأشار بالسبابة والابهام — سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان» قال وحدثنا حمزة ابن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيد قال قال كعب: «لو ان ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر اليه وما حملته أبصارهم» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال ذكر لنا ان الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هى أرق من شقيقكم هذا يرى مخ ساقها من وراء اللحم » وفى الصحيحين عن أنس بن مالك قال :« أهدى أكيدر دومة إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها فقال لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا » وفى الصحيحين أيضا من حديث البراء قال :« أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد ابن معاذ فى الجنة أحسن من هذا » ولا يخفى ما فى ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا فانه كان فى الانصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه فى الله لومة لائم ، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ، ووافق حكمه الذى حكم به حكم الله فوق سبع سمواته ، ونعاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم موته ، فحق له ان تكون مناديله التى يمسح بها يديه فى الجنة أحسن من حلل الملوك

(فصل)

(ومن ملابسهم التيجان على رؤسهم)

ذكر البيهقى من حديث يعقوب بن حميد ابن كاسب أنبأنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن اسماعيل بن رافع عن سعيد المقبرى وزيد بن أسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه ، خلطه الله بلحمه ودمه ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له

حجيجاً، فقال يارب كل عامل يعمل فى الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا الا فلانا كان يقوم فى آناء الليل وأطراف النهار فيحل حلالى ويحرم حرامى يقول يارب، فأعطه، فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول هل رضيت؟ فيقول يارب أرغب له فى أفضل من هذا، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله ثم يقول له هل رضيت؟ فيقول نعم يارب» وذكر الامام أحمد فى المسند من حديث أبى بريدة عن أبيه يرفعه «تعلموا سورة البقرة فأن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان، وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفنى؟ فيقول له ما أعرفك، فيقول له القرآن أنا الذى أظمأتك فى الهواجر واسهرت ليلك، وان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان بم كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها فهو فى صعود مادام يقرأ هذاً كان أو ترتيلا» (البطلة) السحرة (والغياية) ما أظل الانسان فوقه. وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم «تلا قوله عز وجل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب) فقال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب»

﴿ فصل ﴾

وأما الفرش فقد قال تعالى: «متكئين على فرش بطائنها من استبرق» وقال تعالى: «وفرش مرفوعة» فوصف الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق وهذا يدل على أمرين (أحدهما) أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لان بطائنها للارض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة: قال سفيان الثورى عن أبى اسحاق عن أبى هبيرة ابن مريم عن عبد الله فى قوله بطائنها من استبرق قال هذه البطائن قد خبرتم بها فكيف بالظهائر؟ (الثانى) يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين

البطانة والظهارة وقد روى فى سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمراد ارتفاع محلها كما رواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم (فى قوله «وفرش مرفوعة» قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام) قال الترمذى حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قيل ومعناه إن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها قلت رشدين بن سعد عنده مناكير قال الدار قطنى ليس بالقوى وقال أحمد لا يبالى عمن روى وليس به بأس فى الرقاق وقال أرجو أنه صالح الحديث وقال يحيى بن معين ليس بشىء وقال أبو زرعة ضعيف وقال الجوزجانى: عنده مناكير ولا ريب أنه كان سيىء الحفظ فلا يعتمد على ما ينفرد به وقد قال ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فى قوله «وفرش مرفوعة» قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض) وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ فالله أعلم وقال الطبرانى حدثنا المقدام بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن كعب (فى قوله عز وجل « وفرش مرفوعة» قال مسيرة أربعين سنة) قال الطبرانى حدثنا ابراهيم بن نائلة حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلى حدثنا اسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرش المرفوعة قال لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف» وفى رفع هذا الحديث نظر فقد قال ابن أبى الدنيا حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا معاذ ابن هشام قال وجدت فى كتاب أبى عن القاسم عن أبى أمامة (فى قوله عز وجل «وفرش مرفوعة» قال لو ان أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً)

(فصل)

وأما البسط والزرابى فقد قال تعالى: «متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان» وقال تعالى: «فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة» وذكر هشام عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال (الرفرف) رياض الجنة و(العبقرى) عتاق الزرابى وذكر اسماعيل بن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله تعالى «متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان» قال هى

البسط قال وأهل المدينة يقولون هى البسط وأما النمارق فقال الواحدى هى الوسائد فى قول الجميع واحدها نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسرها وأنشد أبو عبيدة

اذا ما بساط اللهو مد وقربت　للذاته　أنماطه　ونمارقه

قال الكلبى وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض وقال مقاتل هو الوسائد مصفوفة على الطنافس وزرابى بمعنى البسط والطنافس واحدها زربية فى قول جميع أهل اللغة والتعبير ومبثوثة مبسوطة منشورة

(فصل)

وأما الرفرف فقال الليث ضرب من الثياب خضر تبسط الواحد رفرفة وقال أبو عبيدة الرفارف البسط وأنشد لابن مقبل

وانا لنزالون　تغشى　نعالنا　سواقط من أصناف ريط ورفرف

وقال أبو اسحاق قالوا الرفرف ههنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائد وقالوا الرفرف المحابس وقالوا فضول المحابس للفرش وقال المبرد هو فضول الثياب التى تتخذ الملوك فى الفرش وغيره قال الواحدى وكان الاقرب هذا لأن الغرب تسمى كسر الخباء والخرقة التى تخاط فى أسفل الخباء رفرفا ومنه الحديث فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم «فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة» قال ابن الاعرابى الرفرف ههنا طرف البساط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمي رفرفا «قلت» أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب فمنه الرفرف فى الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير اذا حرك جناحه حول الشيء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شيء فثنى وعطف فهو رفرف (وفى حديث ابن مسعود، فى قوله عز وجل: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» قال رأى رفرفا أخضر سد الافق) وهو فى الصحيحين

(فصل)

وأما العبقرى فقال أبو عبيدة كل شيء من البسط عبقرى قال ويرون أنها أرض توشى فيها، وقال الليث عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال كأنهم جن عبقر قال أبو عبيدة فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر عمر فلم أر

عبقريا يفرى فريه ، وانما أصل هذا فيما يقال إنه نسب الى عبقر وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلا منسوب الي شيء رفيع وأنشد لزهير

نخال عليها جبة عبقرية جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا

وقال أبو الحسن الواحدى وهذا القول هو الصحيح فى العبقرى وذلك ان العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته الى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد *جن البدا رواسيا أقدامها * وقال آخر يصف امرأة

جنية ولها جن يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون فى الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان عبقر معروفا بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه اليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الاصل ، ثم صار العبقرى اسما ونعتا لكل ما بولغ فى صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فانه نسب الجن الى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله فى صفة عمر عبقريا وروى سلمة عن الفراء قال العبقرى السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشى لما نسب اليها غير الموشى وانما ينسب اليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب اليها كل ما بولغ فى وصفه قال ابن عباس وعبقري يريد البسط والطنافس وقال الكلبي هى الطنافس المجملة وقال قتادة هى عتاق الزرابى وقال مجاهد الديباج الغليظ وعبقرى جمع واحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابى بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سمكها ولينها ، وبث الزرابى دال على كثرتها وأنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ؛ وصف المسانذ يدل على أنها مهيأة للاستناد اليها دائما ليست مخبأة تصف فى وقت دون وقت والله أعلم

« الباب الحادى والخمسون »

(فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم)

قال تعالى: «حور مقصورات فى الخيام» وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان: «للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى

بعضهم بعضا» وفى لفظ لهما «فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن» وفى لفظ آخر لهما أيضا «الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون» وللبخارى وحده فى لفظ «طولها ثلاثون ميلا» وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل هى خيام فى البساتين وعلى شواطىء الانهار وقال ابن أبى الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان قال: «ينشأ خلق الحور العين انشأ، فأذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام» وقال بعضهم لما كن ابكارا وعادة البكر ان تكون مقصورة فى خدرها حتى يأخذها بعلها، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن فى خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائه فى الجنة وقال ابن أبى الدنيا حدثنا اسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون» حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت أبا الاحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود (فى قوله تعالى «حور مقصورات فى الخيام» قال در مجوف) وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمى عن قتادة عن خليد القصرى عن أبى الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها من درة» قال ابن المبارك وأخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب» وقال ابن أبى الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد «حور مقصورات فى الخيام قال فى خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة» حدثنى محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبى صالح عن ابن عباس حور مقصورات فى الخيام قال الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ، ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخا يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عزوجل، وذلك قوله «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب» والله أعلم وأما السرر فقال تعالى: «متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين» وقال تعالى: «ثلة من

الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين» وقال تعالى: «فيها سرر مرفوعة» فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض وأخبر أنها موضونة والوضن فى اللغة النضيد والنسج المضاعف يقال وضن فلان الحجر أو الآجر بعضه فوق بعض فهو موضون وقال الليث الوضن نسج السرير وأشباهه ويقال درع موضونة مقاربة النسج وقال رجل من العرب لامرأته ضنى متاع البيت أى قاربى بعضه من بعض قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع ومنه سمى الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها فى بعض وأنشدوا للاعشى

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحى عيرا فعيرا

قالوا موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد قال هشيم أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال مرمولة بالذهب وقال مجاهد موصولة بالذهب وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس موضونة مصفوفة فأخبر سبحانه أنها مرفوعة قال عطاء عن ابن عباس قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وأيلة وقال الكلبى طول السرير فى السماء مائة ذراع فاذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فاذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه

(فصل)

(وأما الارائك) فهى جمع أريكة قال مجاهد عن ابن عباس « متكئين فيها على الارائك» قال لا تكون أريكة حتى يكون السرير فى الحجلة فاذا كان سريرا بغير حجلة لا يكون أريكة وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ولا تكون أريكة الا والسرير فى الحجلة فاذا اجتمعا كانت أريكة وقال مجاهد هى الاسرة فى الحجال قال الليث الاريكة سرير حجلة فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك وقال أبو اسحاق الارائك الفرش فى الحجال قلت ها هنا ثلاثة أشياء (أحدها) السرير و(الثانية) الحجلة وهى البشخانة التى تعلق فوقه و(الثالث) الفراش الذى على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله وفى الصحاح الاريكة سرير متخذ مزين فى قبة أو بيت فاذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الارائك وفى

الحديث ان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان مثل زر الحجلة وهو الزر الذى يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها والله أعلم

﴿الباب الثانى والخمسون﴾

(فى ذكر خدمهم وغلمانهم)

قال تعالى: «يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين» وقال تعالى: «ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً» قال أبو عبيدة والفراء مخلدون لايهرمون ولا يتغيرون قال والعرب تقول للرجل اذا كبر ولم يشمط إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل هو مخلد، وقال آخرون مخلدون مقرطون مسورون أى فى آذانهم القرطة وفى أيديهم الاساور وهذا اختيار ابن الاعرابى قال مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهى القرطة، وروى عمرو عن أبيه خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهى القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد بن جبير مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين (احداها) ان الخلود عام لكل من دخل الجنة فلا بد أن تكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة (الحجة الثانية) قول الشاعر

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن روانك الكثبان

وقال الاولون الخلد هو البقاء قال ابن عباس غلمان لايموتون وقول ترجمان القرآن فى هذا كاف وهو قول مجاهد والكلبى ومقاتل قالوا لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون وجمعت طائفة بين القولين، وقالوا هم ولدان لايعرض لهم الكبر والهرم وفى آذانهم القراطة فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى ان كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقه وفى كونه منثورا فائدتان (احداهما) الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون فى خدمتهم وحوائجهم و(الثانى) ان اللؤلؤ إذا كان منثورا ولاسيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعا فى مكان واحد وقد اختلف فى هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم الله فى الجنة انشاء على قولين، فقال على بن أبى طالب والحسن البصرى هم أولاد المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم يكونون خدم أهل الجنة

وولدانهم اذ الجنة لاولاد فيها قال الحاكم أنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا ابراهيم ابن الحسين ثنا آدم ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن (فى قوله «ولدان مخلدون» قال لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع» ومن أصحاب هذا القول من قال هم أطفال المشركين فجعلهم الله خدما لاهل الجنة واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارى عن أبى حازم قال المدينى عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «سألت ربى اللاهين من ذرية البشر أن لايعذبهم فاعطانيهم فهم خدم أهل الجنة» يعنى الاطفال قال الدار قطنى ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الرقاشى عن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى ورواه فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن بن اسحاق عن الزهرى عن أنس وهذه الطرق ضعيفة فيزيد واه وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن اسحاق ضعيف قال ابن قتيبة واللاهون من لهيت عن الشىء اذا غفلت عنه وليس هو من لهوت وأصحاب القول الأول لايقولون ان هؤلاء أولاد ولدوا لأهل الجنة فيها وانما يقولون هم غلمان أنشأهم الله فى الجنة كما أنشأ الحور العين قالوا وأما ولدان أهل الدنيا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لما رواه ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة فى الجنة لايزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار» رواه الترمذى والاشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدماً لهم وغلمانا كما قال تعالى: «ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون» وهؤلاء غير أولادهم فان من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانا لهم وقد تقدم فى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم: «انا أول الناس خروجا اذا بعثوا وفيه يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون» والمكنون المستور المصون الذى لم تبتذله الايادى واذا تأملت لفظة الولدان ولفظة ويطوف عليهم واعتبرتها بقوله ويطوف عليهم غلمان لهم وضممت ذلك الى حديث أبى سعيد المذكور آنفا علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى فى الجنة خدما لاهلها والله أعلم

الباب الثالث والخمسون

(فى ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذى وصفهن الله تعالى به فى كتابه)

قال تعالى : « وبشر الذين آمنو وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنامن قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله اليك بهذه البشارة وقدر مابشرك به وضمنه لك على أسهل شىء عليك وأيسره وجمع سبحانه فى هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات وما فيها من الانهار والثمار ونعيم النفس بالازواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه ، والازواج جمع زوج والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الافصح وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله « اسكن أنت وزوجك الجنة » ومن العرب من يقول زوجة وهو نادر لايكادون يقولونه وأما المطهرة فان جرت صفة على الواحد فيجرى صفة على جمع التكسير اجراء له مجرى جماعة كقوله تعالى « مساكن طيبة » « وقرى ظاهرة » ونظائره ، والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فطهر مع ذلك باطنها من الاخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمح به الى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ قال عبدالله بن المبارك ثنا شعبة عن قتادة عن أبى نظرة عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « لهم فيها أزواج مطهرة » قال من الحيض والغائط والنخامة والبصاق » وقال عبدالله بن مسعود وعبد الله بن عباس مطهرة لايحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن ، وقال ابن عباس أيضا مطهرة من القذر والاذى ، وقال مجاهد لايبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن ، وقال قتادة مطهرة من الاثم والاذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم ، وقال عبد الرحمن بن زيد المطهرة التى لاتحيض وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام؟ قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما

عصت قال الله انى خلقتك مطهرة وسأدميك كما دميت هذه الشجرة. وقال تعالى : « ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم» فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والانهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتا والحور جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم الحوراء التى يحار فيها الطرف. وعين حسان الاعين. وقال مجاهد الحوراء التى يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين. واختلف فى اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس الحور فى كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة الحور البيض وقال مقاتل الحور البيض الوجوه وقال مجاهد الحور العين التى يحار فيهن الطرف باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه فى كبد احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور البياض والتحوير التبييض والصحيح ان الحور مأخوذ من الحور فى العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الامرين وفى الصحاح الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها امرأة حوراء بينة الحور وقال أبو عمرو الحور ان تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس فى بنى آدم حور وانما قيل للنساء حور العين لانهن شبهن بالظباء والبقر وقال الاصمعى ما أدرى ما الحور فى العين قلت خالف أبو عمرو وأهل اللغة فى اشتقاق اللفظة ورد الحور الى السواد والناس غيره انما ردوه الى البياض أو الى بياض فى سواد. والحور فى العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر عين حوراء اذا اشتد بياض أبيضها وسواد اسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد والعين جمع عيناء وهى العظيمة العين من النساء ورجل أعين اذا كان ضخم العين وامرأة عيناء

والجمع عين والصحيح ان العين اللاتى جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة. قال مقاتل العين حسان الاعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها فى طول؛ وضيق العين فى المرأة من العيوب وانما يستحب الضيق منها فى أربعة مواضع فمها وخرق أذنها وأنفها وماهنالك؛ ويستحب السعة منها فى أربعة مواضع وجهها وصدرها وكاهلها وهو مابين كتفيها؛ وجبهتها؛ ويستحسن البياض منها فى أربعة مواضع لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها ويستحب السواد منها فى أربعة مواضع عينها وحاجبها وهدبها وشعرها؛ ويستحب الطول منها فى أربعة قوامها وعنقها وشعرها وبنانها. ويستحب القصر منها فى أربعة وهى معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها؛ فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول مايكره الزوج وعن بذله؛ وتستحب الرقة منها فى أربعة خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها

﴿ فصل ﴾

وقوله تعالى: «وزوجناهم بحور عين» قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال والعرب لاتقول تزوجت بها وانما تقول تزوجتها قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ماقاله يونس وذلك قوله تعالى: «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها» ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها وقال ابن سلام تميم تقول تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائى أيضاً وقال الازهرى تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة وقوله تعالى: «وزوجناهم بحور عين» أى قرناهم وقال الفراء هى لغة فى ازدشنوءة قال الواحدى وقول أبى عبيدة فى هذا أحسن لانه جعله من التزويج الذى هو بمعنى جعل الشئ زوجا لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فردا فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر وإنما تمتنع الباء عند من يمنعها اذا كان بمعنى عقد التزويج «قلت» ولا يمتنع أن يراد الامران معا فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم * وقال تعالى (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) وصفهن سبحانه بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع

(أحدها) هذا والثانى قوله تعالى فى الصافات (وعندهم قاصرات الطرف عين) و(الثالث) قوله تعالى فى ص (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم وقيل قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أى ليس بطامح متعد قال آدم حدثنا ورقاء عن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله (قاصرات الطرف) قال يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ماهن متبرجات ولا متطلعات؛ وقال منصور عن مجاهد قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم؛ وفى تفسير سعيد عن قتادة قال وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وأما الاتراب فجمع ترب وهو لدة الانسان قال أبو عبيدة وأبو اسحاق اقران أسنانهن واحدة؛ قال ابن عباس وسائر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد أتراب أمثال قال أبو اسحاق هن فى غاية الشباب والحسن وسمى سن الانسان وقرنه تربه لانه مس تراب الارض معه فى وقت واحد والمعنى من الاخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فان فيهم الولدان وهم الخدم وقد اختلف فى مفسر الضمير فى قوله فيهن فقالت طائفة مفسره الجنتان وما حوتاه من القصور والغرف والخيام وقالت طائفة مفسره الفرش المذكورة فى قوله «متكئين على فرش بطائنها من استبرق» وفى بمعنى على؛ وقوله تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) قال أبو عبيدة لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أى ما مسه وقال يونس تقول العرب هذا جمل ما طمثه حبل قط أى مامسه وقال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية؛ والطمث هو الدم وفيه لغتان طمث يطمث ويطمث قال الليث طمثت الجارية اذا افترعتها والطامث فى لغتهم هى الحائض قال أبو الهيثم يقال للمرأة طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض وطمثت على فعلت تطمث اذا حاضت أول ما تحيض فهى طامث. وقال فى قول الفرزدق

خرجن إلى لم يطمثن قبلى ❊ وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسسن قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه ألفاظهم وهم مختلفون فى هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى انشئن فى الجنة من حورها وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر ابكاراً كما وصفن قال الشعبى نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ انشئن خلقاً وقال مقاتل لانهن خلقن فى الجنة؛ وقال عطاء عن ابن عباس هن الآدميات اللاتى متن ابكاراً وقال الكلبى لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى انشئن فيه انس ولا جان قلت ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وانما هن من الحور العين؛ وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الأنس ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك قال أبو اسحق وفى هذه الآية دليل على ان الجن يغشى كما أن الأنس يغشى ويدل على انهن الحور اللاتى خلقن فى الجنة انه سبحانه جعلهن مما أعده الله فى الجنة لاهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ويدل عليه أيضا الآية التى بعدها وهى قوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام) ثم قال (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) قال الامام أحمد والحور العين لايمتن عند النفخة للصور لانهن خلقن للبقاء وفى الآية دليل لما ذهب اليه الجمهور ان مؤمن الجن فى الجنة كما ان كافرهم فى النار وبوب عليه البخارى فى صحيحه فقال باب ثواب الجن وعقابهم؛ ونص عليه غير واحد من السلف قال ضمرة بن حبيب وقد سئل هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن؛ وقال مجاهد فى هذه الآية اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه والضمير فى قوله (قبلهم) للمعنيين بقوله متكئين وهم أزواج هؤلاء النسوة وقوله (كأنهن الياقوت والمرجان) قال الحسن وعامة المفسرين أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان شبههن فى صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد الله ان المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بان الله يقول (كأنهن الياقوت والمرجان ألا وان الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر

(فصل)

وقال تعالى فى وصفهن (حور مقصورات فى الخيام) المقصورات المحبوسات

قال أبو عبيدة خدرن فى الخيام وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لايرون غيرهم وهم فى الخيام؛ وهذا معنى قول من قال قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم وذكره الفراء «قلت» وهذا معنى (قاصرات الطرف) لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله فى الخيام على هذا القول صفة لحور أى هن فى الخيام وليس معمولا لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا بان يكن محبوسات فى الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين؛ وأصحاب القول الاول يجيبون عن هذا بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أجمل فى الوصف ولا يلزم من ذلك انهن لايفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لايمنعن أن يخرجن فى سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه؛ فوصفهن اللازم لهن القصر فى البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها. وأما مجاهد فقال مقصورات قلوبهن على أزواجهن فى خيام اللؤلؤ وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان لكلا النوعين فانهما صفتا كمال فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الازواج وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال

﴿فصل﴾

وقال تعالى (فيهن خيرات حسان) فالخيرات جمع خيرة وهى مخففة من خيرة كسيدة ولينة وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم؛ حسان الوجوه قال وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها فى كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لامرحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات»

(فصل)

وقال تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين) أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر لان الفرش دلت عليهن إذ هى محالهن

وقيل الفرش فى قوله (وفرش مرفوعة) كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والازر وغيرها ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال المراد رفعة القدر وقد تقدم تفسير النبى صلى الله عليه وسلم للفرش وارتفاعها . فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء لانها محلهن غالبا قال قتادة وسعيد بن جبير خلقناهن خلقا جديدا وقال ابن عباس يريد نساء الآدميات وقال الكلبى ومقاتل يعنى نساء أهل الدنيا العجز الشمط يقول تعالى خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الاول فى الدنيا . ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع «هن عجائزكم العمش الرمض» رواه الثورى عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشى عنه ويؤيده ما رواه يحيى الحمانى حدثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «دخل عليها وعندها عجوز فقال من هذه ؟ فقالت احدى خالاتى قال أما إنه لا يدخل الجنة العجوز ؛ فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم (انا أنشأناهن انشاء) خلقا آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى ابراهيم خليل الله . ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم (انا أنشأناهن انشاء)» قال آدم بن أبى اياس حدثنا شيبان عن الزهرى عن جابر الجعفى عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله «إنا أنشأناهن انشاء» قال يعنى الثيب والابكار اللاتى كن فى الدنيا قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة العجز فبكت عجوز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز إنها يومئذ شابة إن الله عز وجل يقول (انا أنشأناهن انشاء)» وقال ابن أبى شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد ابن المسيب عن عائشة «أن النبى صلى الله عليه وسلم أتته عجوز من الانصار فقالت يا رسول الله أدع الله أن يدخلنى الجنة . فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم إن الجنة لا يدخلها عجوز ؛ فذهب نبى الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة . فقال صلى الله عليه وسلم إن ذلك كذلك إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا» وذكر مقاتل قولا آخر وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين التى ذكرهن . قيل انشأهن الله عز

وجل لاوليائه لم يقع عليهن ولادة» والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى فى الجنة انشاء ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه قد قال فى حق السابقين (يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب إلى قوله كامثال اللؤلؤ المكنون) فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم والظاهر أنهن مثل نساء من قبلهم خلقن فى الجنة (الثانى) أنه سبحانه قال (انا أنشأناهن انشاء) وهذا ظاهر أنه انشاء أول لا ثان لانه سبحانه حيث يريد الانشاء الثانى يقيده بذلك كقوله (وأن عليه النشأة الاخرى) وقوله (ولقد علمتم النشأة الاولى (الثالث) أن الخطاب بقوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) الى آخره للذكور والاناث والنشأة الثانية أيضا عامة للنوعين وقوله (انا انشأناهن انشاء) ظاهره اختصاصهن بهذا الانشاء وتأمل تأكيده بالمصدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين فى هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هى أحق به منهن فالانشاء واقع على الصنفين والله أعلم وقوله (عربا) جمع عروب وهن المتحببات الى أزواجهن قال ابن الاعرابى العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة اليه وقال ابو عبيدة العروب الحسنة التبعل «قلت» يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد هى العاشقة لزوجها وأنشد للبيد :

وفى الحدوج(١) عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر

وذكر المفسرون فى تفسير «العرب» أنهن العواشق المتحببات الغنجات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك من ألفاظهم وقال البخارى فى صحيحه عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة «والعرب» المتحببات الى أزواجهن هكذا ذكره فى كتاب بدء الخلق وقال فى كتاب التفسير فى سورة الواقعة عربا مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة قلت فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفى قوله (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) اعلام بكمال اللذة بهن فان لذة الرجل بالمرأة التى لم يطأها سواه

---

(١) الحدوج جمع حدج وهى مراكب النساء .

لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هى أيضا

﴿فصل﴾

وقال تعالى (إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا) فالكواعب جمع كاعب وهى الناهد قال قتادة ومجاهد والمفسرون قال الكلبي هن الفلكات اللواتى تكعب ثديهن وتفلكت وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب

﴿فصل﴾

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعنى سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الارض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضوأ كوكب درى فى السماء ولكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ومافى الجنة أعزب» وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب» وقال الطبرانى حدثنا بكر ابن سهل الدمياطى حدثنا عمرو بن هشام البيرونى حدثنا سليمان بن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: «قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قال حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر، قلت أخبرنى عن قوله عز وجل (كأنهم لؤلؤ مكنون) قال صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الاصداف الذي لم تمسه الأيدى، قلت يارسول الله اخبرني عن قوله عز وجل (فيهن خيرات حسان) قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه ، قلت يارسول الله أخبرني عن قوله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) قال رقتهن كرقة الجلد الذى رأيته فى داخل البيضة مما يلى القشر وهو الغرقىء قلت يارسول الله أخبرنى عن قوله عز وجل (عربا أترابا) قال هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات

متحببات اترابا على ميلاد واحد. قلت يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة قلت يا رسول الله وبم ذلك؟ قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله تعالى ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الالوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وامشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس ابدا . ونحن المقيمات فلا نظعن ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط ابدا : طوبى لمن كنا له وكان لنا. قلت يارسول الله المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال يا أم سلمة انها تخير فتختار احسنهم خلقا فتقول اى رب ان هذا كان أحسنهم معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه. يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» تفرد به سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاما ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال لايعرف الابهذا السند . وقال أبو يعلى الموصلى حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور وفيه «فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله قد شفعتك وأذنت لهم فى دخول الجنة» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والذى بعثنى بالحق ماأنتم فى الدنيا باعرف بازواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بازواجهم ومساكنهم. فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله عز وجل فى الدنيا يدخل على الاولى منهما فى غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس واستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر احدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت. كبده لها مرآة وكبدها له مرآة فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة الا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكى قبلها، فبينا هو كذلك اذ نودى إنا قد عرفنا انك لاتمل ولاتمل الا انه لامنى ولامنية الا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج

فتأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما فى الجنة شيء أحسن منك وما فى الجنة شيء أحب إلى منك» هذا قطعة من حديث الصور والذى تفرد به اسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذى وابن ماجه وضعفه احمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطنى وغيره متروك الحديث وقال ابن عدى عامة احاديثه فيها نظر وقال الترمذى ضعفه بعض أهل العلم وسمعت محمدا يعنى البخارى يقول هو ثقة مقارب الحديث وقال لى شيخنا أبو الحجاج الحافظ هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه اسماعيل أو غيره هذه السياقة وشرحه الوليد بن مسلم فى كتاب مفرد وما تضمنه معروف فى الاحاديث والله أعلم وقال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو ان دراجا حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء» رواه الترمذى ولكن دراج أبو السمح بالطريق قال أحمد احاديثه مناكير وقال النسائى منكر الحديث وقال أبو حاتم ضعيف وقال النسائى أيضا ليس بالقوى وساق له ابن عدى احاديث وقال عامتها لا يتابع عليها وقال الدارقطنى ضعيف وقال مرة متروك وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه وقال عثمان بن سعيد الدارمى عن على بن المدينى هو ثقة وقال ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى: «كأنهن الياقوت والمرجان» قال: «ينظر إلى وجهه فى خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك» وقال الفريابى انبأنا أبو أيوب سليمان ابن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يدخل الجنة الا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة الا ولها قبل شهى وله ذكر لا ينثنى» قلت خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقى وهاه ابن معين وقال أحمد ليس بشيء وقال النسائى غير ثقة وقال الدارقطنى ضعيف وذكر ابن عدى له هذا الحديث مما أنكره عليه وقال أبو نعيم حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن حمويه

حدثنا أحمد بن حفص حدثني أبي حدثني ابراهيم ابن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة قلنا يا رسول الله أوله قوة على ذلك قال انه ليعطى قوة مائة رجل» قلت أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير والحجاج هو ابن ارطاة وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الابار حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع وأنبأنا محمد ابن أحمد بن هشام بن حسان السنجري ببغداد حدثنا عبد الله بن عمرو بن ابان قالا حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: «قيل يارسول الله هل نصل الى نسائنا في الجنة؟ فقال إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء» قال الطبراني لم يروه عن هشام الا زائدة تفرد به الجعفي قال محمد بن عبد لواحد المقدسي ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمي عن ابن عباس قال: «قيل يارسول الله أنفضي الى نسائنا في الجنة كما نفضي اليهن في الدنيا؟ قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة الى مائة عذراء» وزيد هذا قال فيه ابن معين صالح وقال مرة لا شيء وقال مرة ضعيف يكتب حديثه وكذلك قال أبو حاتم وقال الدار قطني صالح وضعفه النسائي وقال السعدي متماسك قلت وحسبه رواية شعبة عنه

(فصل)

والاحاديث الصحيحة انما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك فان كانت هذه الاحاديث محفوظة فاما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان؛ وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يارسول الله أو يطيق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة» هذا حديث صحيح فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم؛ ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في

الصحيحين من حديث أبى عمران الجونى عن أبى بكر عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للعبد المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلا للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً

﴿الباب الرابع والخمسون﴾

(فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن)

فأما المادة التى خلق منها الحور العين فقد روى البيهقى من حديث الحارث بن خليفة حدثنا شعبة حدثنا اسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الحور العين خلقن من الزعفران» قال البيهقى وهذا منكر بهذا الاسناد ولا يصح عن ابن علية «قلت» ولكنه حديث فيه شعبة وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا على بن الحسن بن هارون الانصارى حدثنى الليث بن ابنة الليث عن أبى سليم قال حدثتنى عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبى سليم عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن أبى أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الحور العين من الزعفران» قال الطبرانى لا يروى إلا بهذا الاسناد تفرد به على بن الحسن بن هارون قلت وقد رواه اسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت سمعت زوجى ليث بن سليم يحدث عن مجاهد فذكره مرفوعا اليه وهو أشبه بالصواب، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله ولا يصح رفع الحديث وحسبه أن يصل الى ابن عباس وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن «إن لولى الله فى الجنة عروسا لم يلدها آدم ولا حواء ولكن خلقت من زعفران» وهذا مروى عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس ومن تابعيين وهما أبو سلمة ومجاهد وبكل حال فهى من المنشآت فى الجنة ليست مولودات بين الاباء والامهات والله أعلم وقد رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن زخر عن على بن زيد عن الهيثم عن أبى أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الاسناد لا يحتج به ورواه أبو نعيم حدثنا على بن محمد الطوسى حدثنا على بن سعيد حدثنا محمد بن اسماعيل الحسانى حدثنا منصور بن المهاجر حدثنا أبو منصور الابار عن انس يرفعه «لو أن حوراء بصقت فى سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من

الزعفران » وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التى هى من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذى هناك !!! فالله المستعان، وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى ابن يوسف بن الطباع حدثنا حاس بن محمد الكلابى حدثنا سفيان الثورى حدثنا مغيرة حدثنا ابراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يسطع نور فى الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها » وروى نعمة بن الوليد حدثنا مجبر بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: « ان من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئا الا امطروا » قال يقول كثير لئن أشهدنى الله ذلك لاقولن أمطرينا جوارى مزينات، وقد روى فى مادة خلقهن صفة أخرى قال ابن أبى الدنيا حدثنا خالد بن سعيد عن خداش حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهرى ان ابن عباس قال : « ان فى الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت. تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة انطلقوا بنا الى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الحوارى فاذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه » وقال الليث ابن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن الوليد بن عبدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لجبريل ياجبريل قف بى على الحور العين فأوقفه عليهن فقال من أنتن؟ فقلن نحن حوارى قوم كرام حلوا فلم يظعنوا، وشبوا فلم يهرموا، ونقوا فلم يدرنوا » وقال ابن المبارك أنبأنا يحيى عن أيوب عن عبد الله بن زخر عن خالد بن عمران عن ابن عباس قال: « كنا جلوسا مع كعب يوما فقال لو أن يدا من الحور دليت من السماء لاضاءت لها الارض كما تضىء الشمس لاهل الدنيا ثم قال انما قلت يدها فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله !! » وفى مسند الامام احمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا » وفى مراسيل عكرمة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « ان الحور العين لاكثر عددا منكن يدعون لازواجهن يقلن اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك ، وبلغه بعزتك ياأرحم الراحمين » ذكره ابن أبى الدنيا من حديث اسامة بن زيد عن عطاء عنه

وذكر الاوزاعى عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: « ان فى الجنة حوراء يقال لها اللعبة كل حور الجنان يعجبن بها يضربن بايديهن على كتفها ويقلن طوبى لك ياللعبة لو يعلم الطالبون لك لجدوا، بين عينيها مكتوب من كان يبتغى أن يكون له مثلى فليعمل برضاء ربى » وقال عطاء السلمى لمالك بن دينار: « يا أبا يحيى شوقنا قال ياعطاء ان فى الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها؛ فلم يزل عطاء كمدا من قول مالك » وقال أحمد بن أبى الحوارى حدثنى جعفر بن محمد قال لقى حكيم حكيما فقال أتشتاق إلى الحور العين؟ فقال لا. فقال فاشتق اليهن فان نور وجوههن من نور الله عز وجل؛ فغشى عليه؛ فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً » وقال ربيعة ابن كلثوم نظر الينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: « يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين؟ » وقال لى ابن أبى الحوارى حدثنى الحضرمى قال « نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر اليه يتقلب على فرشه إلى الصباح فقلت يا أبا حمزة مارقدت الليلة ؛ فقال انى لما اضطجعت تمثلت لى حوراء حتى كانى أحسست بجلدها وقد مس جلدى، فحدثت به أبا سليمان فقال هذا رجل كان مشتاقا » وقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول: « ينشأ خلق الحور العين انشاء فاذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام » وذكر ابن أبى الدنيا عن صالح المرى عن زيد الرقاشى قال: « بلغنى أن نورا سطع فى الجنة لم يبق موضع من الجنة الا دخل من ذلك النور فيه . فقيل ما هذا ؟ قال حوراء ضحكت فى وجه زوجها ؛ قال صالح فشهق رجل من ناحية المجلس فلم يزل يشهق حتى مات » وقال ابن ابى الدنيا حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زربى عن عبد الملك الجونى عن سعيد بن جبير قال سمعت ابن عباس يقول: « لو ان حوراء اخرجت كفها بين السماء والارض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة فى الشمس لاضوء لها، ولو اخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والارض » وقال ابن أبى الدنيا حدثنى الحسين ابن يحيى وكثير العنبرى حدثنا خزيمة أبو محمد بن سفيان الثورى قال: « سطع نور فى الجنة لم يبق موضع من الجنة الا دخل فيه من ذلك النور فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت فى وجه زوجها » ورواه الخطيب فى تاريخه من حديث عبد الله بن محمد الكرخي قال حدثنى عيسى بن يوسف الطباع

حدثني حاس بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سطع نور في الجنة فرفعوا أبصارهم فاذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها» وقال الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: «إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة الا وردت» وقال ابن المبارك حدثنا الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير «ان الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طال ما انتظرنا كم فنحن الراضيات فلا نسخط، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت وتقول أنت حبي وأنا حبك ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل»

— الباب الخامس والخمسون —

(في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك عن المذى والمنى والضعف وأنه لا يوجب غسلا)

قد تقدم حديث أبي هريرة «قيل يارسول الله أنفضى إلى نسائنا في الجنة؟ فقال ان الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء» وان اسناده صحيح وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته: «ان للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا له فيها أهلون يطوف عليهم» وحديث أنس: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء» وصححه الترمذي وروى الطبراني وعبد الله بن احمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال «يارسول الله على ما يطلع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن، وفاكهة لعمر الهك مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة «قلت» يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات؟ قال الصالحات للصالحين تلذذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلذذكم غير أن لا توالد» وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يارسول الله انطأ في الجنة؟ قال نعم والذي نفسي بيده دحما دحما فاذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا» وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الاحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً» قال الطبراني

لم يروه عن عاصم الا شريك تفرد به يعلى قال الطبرانى وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقى حدثنا عمرو بن أبى سلمة حدثنا صدقة عن هاشم ابن زيد عن سليم بن أبى يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل «هل يتناكح أهل الجنة؟ قال بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً» قال الطبرانى وحدثنا أحمد بن يحيى الحلوانى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ سئل «أيجامع أهل الجنة؟ قال دحاً دحاً ولكن لا منى ولا منية» وهاشم وخالد وان تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما وقوله (لا منى ولا منية) أى لا انزال ولا موت وقال أبو نعيم حدثنا أبو على محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرى حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة بن راشد عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل: «هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال نعم والذى بعثنى بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع» وقال الحسن بن سفيان فى مسنده حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبى العاتكة عن على بن زيد عن القاسم عن ابى أمامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل ينكح أهل الجنة؟ قال أى والذى بعثنى بالحق دحما دحما وأشار بيده ولكن لا منى ولا منية» وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة فى قوله تعالى (ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) قال فى افتضاض الابكار وقال عبد الله بن أحمد حدثنا أبو الربيع الزهرانى ومحمد بن حميد قالا حدثنا يعقوب ابن عبد الله حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود فى قوله (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) قال شغلهم افتضاض العذارى وقال الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرنى شعيب عن الاوزاعى فى قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) قال شغلهم افتضاض الابكار قال مقاتل شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم؛ وقال أبو الاحوص شغلوا بافتضاض الابكار عن السرر فى الحجال وقال سليمان التيمى عن أبى مجلز قلت لابن عباس عن قول الله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) ما شغلهم؟ قال افتضاض الابكار وقال ابن أبى الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمى عن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس (فى شغل فاكهون) قال فى افتضاض العذارى حدثنا اسحاق

ابن ابراهيم حدثنا يحيى بن ء ذعن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير «إن شهوته لتجرى فى جسده سبعين عاما يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون الى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه» وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه فى هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن أكل فى صحاف الذهب والفضة فى الدنيا لم يأكل فيها فى الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «انها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة» فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها فى هذه الدار حرمها هناك كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته فى الدنيا واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الامام أحمد عن جابر بن عبد الله «أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لاهله بدرهم فقال ماهذا؟! قال لحم اشتريته لاهلى بدرهم، فقال أو كلما اشتهى أحدكم شيئا اشتراه!! أما سمعت الله تعالى يقول (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)» وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا الحسن قال: «قدم وفد أهل البصرة مع أبى موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة وربما وافقناها مأدومة بالسمن وربما وافقناها مأدومة بالزيت وربما وافقناها مأدومة باللبن وربما وافقناها القلائد اليابسة قد دقت ثم أغلى بها وربما وافقناها اللحم العريض وهو قليل؛ فقال ذات يوم انى والله قد أرى تقذيركم وكراهيتكم لطعامى انى والله لو شئت لكنت من أطيبكم طعاما وأرقكم عيشا ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عير قوما بأمر فعلوه فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون؛ ومن استوفاها هنا حرمها هناك أو نقص كمالها فلا يجعل الله لذة من أوضع فى معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبدا» والله أعلم

الباب السادس والخمسون

(فى ذكر اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم لا)

قال الترمذى فى جامعه حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنى أبى عن عامر الاحول عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى»
قال هذا حديث حسن غريب وقد اختلف أهل العلم فى هذا فقال بعضهم فى
الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا روى عن طاووس ومجاهد وابراهيم النخعى
وقال محمد يعنى البخارى قال اسحاق بن ابراهيم فى حديث النبى صلى الله
عليه وسلم «إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ولكن
لا يشتهى» قال محمد وقد روى عن أبى ذر بن العقيلى عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال: «ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد» وأبو الصديق الناجى
اسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس انتهى كلام الترمذى «قلت» اسناد حديث
أبى سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جداً وتأويل
اسحاق فيه نظر فانه قال إذا اشتهى المؤمن الولد وإذا للمتحقق الوقوع ولو
أريد ما ذكره من المعنى لقال لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله فى ساعة
فان ما لا يكون أحق باداة لو كما ان المتحقق الوقوع أحق باداة إذا ، وقد قال
أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن اسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيرى
حدثنا سفيان الثورى عن أبان عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى
قال: «قيل يارسول الله أيولد لأهل الجنة فان الولد من تمام السرور؟ فقال نعم
والذى نفسى بيده وما هو الا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه
وشبابه» حدثنا أبو الحسن على بن ابراهيم بن أحمد الرازى بمكة حدثنا عبد
الرحمن بن محمد بن ادريس حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا يحيى بن حفص
الاسدى قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدى عن
أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان
الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهى فيكون حمله وفصاله وشبابه فى ساعة واحدة»
وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار عامر الاحول وقال عمرو بن على عاصم الاحول
وقال الحاكم أنبأنا الاصم حدثنا محمد بن عيسى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا
سلام الطويل عن زيد العمى عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى
يرفعه «إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الولد فى الجنة فيكون حمله وفصاله
وشبابه فى ساعة واحدة» قال البيهقى وهذا اسناد ضعيف بمرة وأما حديث أبى
رزين الذى أشار اليه البخارى فهو حديثه الطويل ونحن نسوقه بطوله نجمل
به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ماينادى على صحته قال عبد الله

ابن الامام أحمد فى مسند أبيه كتب إلى ابراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة عن مصعب بن زبير الزبيرى كتبت اليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ماكتبت به اليك فحدث به عنى حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى حدثنى عبد الرحمن بن عاس المسمعي الانصارى من بنى عمرو بن عوف عن دلهم بن الاسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر قال دلهم وحدثنيه أبو الاسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطا خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك ابن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الناس خطيبا فقال: «ألا أيها الناس انى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم الا فهل من امرىء بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ الا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال الا انى مسئول. الاهل بلغت: الا اسمعوا تعيشوا: الا اجلسوا ألا اجلسوا قال فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى اذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت يارسول الله ماعندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم انى أبتغى سقطه: فقال ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لايعلمهن الا الله: وأشار بيده قلت وماهى؟ قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه: وعلم ما فى غد ما أنت طاعم غدا ولا تعلمونه: وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غيركم الى قريب: قال لقيط قلت لن نعدم من رب يضحك خيرا: وعلم يوم الساعة. قلت يارسول الله علمنا مما تعلم الناس وماتعلم فانا من قبيل لايصدقون تصديقنا احد من مذحج التى تربو علينا وخثعم التى توالينا وعشيرتنا التى نحن منها: قال تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون مالبثتم ثم تبعث الصائحة لعمر الهك لاتدع على ظهرها شيئاً الا مات والملائكة الذين مع ربك عز وجل فأصبح ربك يطوف فى الارضين وخلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء تهضب (١) من عند العرش فلعمر الهك ماتدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه فيستوى جالسا فيقول ربك مهيم لما كان فيه يقول يارب أمتنى اليوم ولعهده بالحياة عشية تحسبه

---

(١) تهضب أي تمطر: والهضب المطر

حديثا بأهله فقلت يارسول الله كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ فقال أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله الارض أشرفت عليها وهى مدرة بالية فقلت لاتحيا أبدا ثم ارسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك الا أياما حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة (١) ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الارض فيخرجون من الاضواء ومن مصارعهم فتنظرون اليه وينظر اليكم قال قلت يارسول الله فكيف ونحن ملء الارض وهو شخص واحد ينظر الينا وننظر اليه قال أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة لاتضارون فى رؤيتهما ولعمر الهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما قلت يارسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه قال تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لاتخفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها فلعمر إلهك مايخطىء وجه أحد منكم منها قطرة فاما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتخطم وجهه بمثل الحمم الاسود ألا ثم ينصرف نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصرف على أثره الصالحون فيسلكون جسرا من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول حس فيقول ربك أوإنه فيطلعون على حوض الرسول صلى الله عليه وسلم على اظماء والله ناهلة قط رأيتها فلعمر ربك مايبسط واحد منكم يده الا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والاذى وتحبس الشمس والقمر فلاترون منهما واحداً قال قلت يارسول الله فبم نبصر؟ قال بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الارض ثم واجهته الجبال قال قلت يارسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها الا أن يعفو، قال قلت يارسول الله ما الجنة ما النار؟ قال لعمر الهك ان للنار سبعة أبواب مامنهن بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما وإن للجنة ثمانية أبواب مامنهن

---

(١) فى النهاية هكذا رواه بعضهم شربة بالباء أراد ان الأرض اخضرت بالنبات فكأنها حنظلة واحدة.

بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما قل قلت يارسول الله فعلا ماتطلع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس مابها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر الهك مماتعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة، قلت يارسول الله ولنا فيها أزواج أومنهن صالحات قال الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم فى الدنيا، ويلذذن بكم غير أن لا توالد قال لقيط فقلت أقصى مانحن بالغون ومنتهون اليه فلم يجبه النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله علا ما أبايعك فبسط النبى ﷺ يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان لاتشرك بالله الهاً غيره؛ قال قلت وان لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض النبي صلى الله عليه وسلم يده وبسط أصابعه وظن أنى مشترط شيئا لا يعطينيه . قال قلت نحل منهما حيث شئنا ولا يجنى على أمرىء الانفسه فبسط يده وقال ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك قال فانصرفنا وقال هاانذين هاإن ذين لعمر الهك ان حدثت الاأنهما من اتقى الناس فى الاولى والآخرة ؛ فقال له كعب بن الجدارية أخو بنى بكر بن كلاب من هم يارسول الله؟ قال بنو المنتفق أهل ذلك ؛ قال فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت يارسول الله هل لاحد مما مضى من خير فى جاهليتهم؟ قال قال رجل من عرض قريش والله ان أباك المنتفق لفى النار ؛ قال فلكأنه قد وقع جزء من جلدى ووجهى ولحمى مما قال لابى على رؤس الناس فهممت أن أقول وأبوك يارسول الله، ثم اذا الاخرى أجمل فقلت يارسول الله وأهلك؟ قال وأهلى لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامرى أو قرشى من مشرك فقل ارسلنى اليك محمد صلى الله عليه وسلم فابشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك فى النار ؛ قال قلت يارسول الله مافعل الله بهم ذلك ؛ وقد كانوا على عمل لايحسنون الا اياه وكانوا يحسبونهم مصلحين قل ذلك بأن الله عز وجل بعث فى آخر كل سبع أمم نبيا فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن اطاع نبيه كان من المهتدين » هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف الا من حديث ابى القاسم بن عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى ثم من رواية ابراهيم ابن حمزة الزبيرى المدنى عنه وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما فى حديث احتج بهما الامام محمد بن اسمعيل البخارى وروى عنهما فى مواضع من كتابه رواه أئمة الحديث فى كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن

الامام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي العاصم وأبوالقاسم الطبراني وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الاصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم قال الحافظ أبو عبد الله بن منده روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصنعاني وعبد الله ابن أحمد بن حنبل وغيرهما وقرأوه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم في اسناده؛ وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول وقال أبو الخير بن حمدان هذا حديث كبير ثابت مشهور وسألت شيخنا أبا الحجاج المزي عنه فقال عليه جلالة النبوة وقال نفاة الايلاد هذا حديث صريح في انتفاء الولادة وقوله اذا اشتهى معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به؛ واذا وان كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الاعم من المحقق وغيره قالوا وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه (أحدها) حديث أبي رزين (الثاني) قوله تعالى: «ولهم فيها أزواج مطهرة» وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفاس والأذى قال سفيان أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد وقال أبو معاوية حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال من الولد والحيض والغائط والبول (الثالث) قوله غير أنه لا مني ولا منية وقد تقدم. والولد إنما يخلق من ماء الرجل فاذا لم يكن هناك مني ولا مذى ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد (الرابع) انه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبقى في الجنة فضل فينشيء الله لها خلقا يسكنهم اياها ولو كان في الجنة ايلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم (الخامس) ان الله سبحانه جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني فلو كانت النساء يحبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والانزال (السادس) ان الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا لانه قدر الموت وأخرجهم الى هذه الدار قرنا بعد قرن وجعل لهم أمدا ينتهون اليه فلولا التناسل لبطل النوع الانساني ولهذا الملائكة لا تتناسل فانهم لا يموتون كما تموت الانس والجن فاذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون الى تناسل يحفظ النوع الانساني اذ هو منشأ للبقاء والدوام فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار

(السابع) أنه سبحانه وتعالى قال (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان
ألحقنا بهم ذرياتهم) فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم
بهم في الدنيا ولو كان ينشأ لهم في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم
الذين كانوا في الدنيا لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل
الدنيا (الثامن) إنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ثم تنقطع
وكلاهما مما لا سبيل الى القول به لاستلزام الاول اجتماع أشخاص لا تتناهى
واستلزام الثاني انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ولا يمكن أن يقال
بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل اذ لا موت هناك (التاسع)
أن الجنة لا ينمو فيها الانسان كما ينمو في الدنيا فلا ولدان أهلها ينمون
ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء
أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون. فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة
حتى يصير رجلا ومعلوم ان من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين
من غير نمو يوضحه (الوجه العاشر) أن الله سبحانه وتعالى ينشىء أهل الجنة
نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون
ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الاحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر
الذي جعلوا عليه لازم لهم أبداً والله أعلم فهذا ما في المسألة؛ فاما قول بعضهم إن
القدرة صالحة والكل ممكن وقول آخرين ان الجنة دار المكلفين التي يستحقونها
بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة وهي في كتب الناس وبالله التوفيق قال
الحاكم قال الأستاذ أبو سهل أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعني حديث
الولادة في الجنة وقد روي فيه غير اسناد وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال يكون ذلك على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول (وفيها
ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن
من شهواته المصفى المقرب المسلط على لذاته قرة عين وثمرة فؤاد من الذين
[illegible] مطهرة «فرقيل» في الحديث أنهن لا يحضن ولا ينفسن
[illegible] الولادة؟ قلت الحيض سبب الولادة الممتدة مدة بالحمل على الكثرة
[illegible] ان جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على
[illegible] من التعب والنصب وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه

وهذه خمرة الدنيا المحرمة المستولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لاهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لايجوز أن يكون على مثاله الولد !! انتهى كلامه «قات» النافون للولادة فى الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن لحديث أبى رزين «غير ان لاتوالد» وقد حكينا من قول عطاء وغيره انهن مطهرات من الحيض والولد وقد حكى الترمذى عن أهل العلم من السلف والخلف فى ذلك قولين وحكى قول أبى اسحاق بانكاره وقال أبو امامة فى حديثه «غير أن لامنى ولامنية ؛ والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لايموت من فيها فيقوم نسله مقامه» وحديث أبى سعيد الخدرى هذا أجود أسانيده اسناد الترمذى وقد حكم بغرابته وانه لايعرف الا من حديث أبى الصديق الناجى وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه اذا اشتهى الولد ؛ وتارة انه ليشتهى الولد ؛ وتارة ان الرجل من أهل الجنة ليولد له ؛ فالله أعلم فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاله فهو الحق الذى لاشك فيه وهذه الالفاظ لاتنافى بينها ولا تناقض وحديث أبى رزين غير أن لاتوالد اذ ذاك نفى للتوالد المعهود فى الدنيا ولا ينفى ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه فى ساعة واحدة فهذا ماانتهى اليه علمنا القاصر فى هذه المسألة وقد أتينا فيها بما لعلك لاتجده فى غير هذا الكتاب والله أعلم

﴿ الباب السابع والخمسون ﴾

(فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين ومافيه من الطرب واللذة)

قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون) قال محمد بن جرير حدثنى محمد بن موسى الحرشى قال حدثنا عامر بن نساف قال سألت يحيى بن أبى كثير عن قوله عز وجل (فهم فى روضة يحبرون) قال الحبرة اللذة والسماع : حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير فى قوله يحبرون قال السماع فى الجنة ولايخالف هذا قول ابن عباس يكرمون وقال مجاهد وقتادة ينعمون فلذة الاذن بالسماع من الحبرة والنعيم وقال الترمذى حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان فى الجنة

تجتمعن الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ؛ ونحن الناعمات فلا نبأس ؛ ونحن الراضيات فلا نسخط . طوبى لمن كان لنا وكنا له » وفى الباب عن أبي هريرة وأبى سعيد وأنس وحديث على حديث غريب قلت وفى الباب عن ابن أبى أوفى وأبى أمامة وعبد الله بن عمر أيضاً فأما حديث أبى هريرة فقال جعفر الفريابى حدثنا سعد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبى عبد الرحمن عن زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : « ان فى الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون فى الجنة لذة مثلها ، فقلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء ؟ قال ان شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل » هكذا رواه موقوفا وروى أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث مسلمة ابن على عن زيد بن واقد عن رجل عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه » (وأما حديث أنس) فقال أبو نعيم انبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن عون بن الخطاب عن عبد الله بن رافع عن أبى الاسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الحور العين لغنين فى الجنة يقلن نحن الحور الحسان خلقن لازواج كرام » ورواه ابن أبى الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبى ذئب عن أبى عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره (وأما حديث ابن أبى أوفى) فقال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا موسى بن هارون حدثنا حامد بن يحيى البلخى حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا لوليد بن أبى ثور حدثنى سعد الطائى عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبى أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن فى كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبيد ؛ ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » (وأما حديث أبى أمامة) فقال جعفر

الفريابى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزامير الشيطان» (وأما حديث ابن عمر) فقال الطبرانى حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى بن الفرات المصرى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير عن زيد ابن أسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط؛ إن مما يغنين به نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام؛ ينظرون بقرة أعين؛ وان مما يغنين به نحن الخالدات فلا نمتنه؛ نحن الآمنات فلا نخفنه؛ نحن المقيمات فلا نظعنه» قال الطبرانى لم يروه عن زيد بن أسلم الا محمد تفرد به ابن أبى مريم وقال ابن وهب حدثنى سعيد ابن أبى أيوب قال وقال رجل من قريش لابن شهاب هل فى الجنة سماع فانه حبب الى السماع؟ فقال أى والذى نفس ابن شهاب بيده ان فى الجنة لشجرا حمله اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت فاذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً فاجبن الحوارى فلاندرى أصوات الحوارى أحسن أم أصوات الشجر» قال ابن وهب وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد ان الحور العين يغنين أزواجهن فيقلن نحن الخيرات الحسان أزواج شباب كرام؛ ونحن الخالدات فلا نموت؛ ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن؛ فى صدر احداهن مكتوب أنت حبى وأنا حبك انتهت نفسى عندك لم تر عيناى مثلك؟ وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعى حدثنا يحيى بن أبى كثير «ان الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط؛ والمقيمات فلا نظعن والخالدات فلا نموت؛ بأحسن [illegible]
وتقول أنت حبى وأنا حبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل

(فصل)

(ولهم سماع أعلى من هذا)

قال ابن أبى الدنيا حدثنى دهثم بن الفضل القرشى حدثنا

الاوزاعى : «قال بلغنى أنه ليس من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ فى السماع فما يبقى ملك فى السموات الا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عز وجل وعزتى لو يعلم العباد قدر عظمتى ماعبدوا غيرى» وحدثنى داود بن عمر الضبى حدثنا عبد الله ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدى وتحميدى» وقال ابن أبى الدنيا حدثنى محمد بن الحسن حدثنى عبد الله بن أبى بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار فى قوله عز وجل (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع فى الجنة ثم نودى ياداود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى دار الدنيا قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البنانى وحجاج الاسود عن شهر بن حوشب قال : «ان الله جل ثناؤه يقول للملائكة ان عبادى كانوا يحبون الصوت الحسن فى الدنيا فيدعونه من أجلى فاسمعوا عبادى فيأخذوا باصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط» وقال عبد الله بن الامام أحمد فى كتاب الزهد لأبيه حدثنى على بن مسلم الطوسى حدثنى سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار «فى قوله عز وجل (وانه له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقيم الله سبحانه داود عند ساق العرش فيقول ياداود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول الهى كيف أمجدك وقد سلبتنيه فى دار الدنيا؟ قال فيقول الله عز وجل فانى أرده عليك قال فيرده عليه فيزداد صوته قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة» وقال ابن أبى الدنيا حدثنا مسلم بن إبراهيم الحرانى حدثنا مسكين بن بكير عن الاوزاعى عن عبيدة بن أبى لبابة قال: «ان فى الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ فيبعث الله ريحا فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها» حدثنا أبو بكر بن يزيد وابراهيم بن سعيد قالا حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن زهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: «فى الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب فى ظلها مائة عام فيتحدثون فى ظلها فيشتهى بعضهم فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك

الشجرة بكل لهوكان فى الدنيا» حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا على بن عاصم حدثنى سعيد بن سعيد الحارثى قال حدثت «أن فى الجنة آجاما من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ فاذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتا حسنا بعث الله على تلك الآجام ريحا فتأتيهم بكل صوت يشتهونه »

(فصل)

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه فاذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك وسيمر بك أيها السنى من الاحاديث الصحاح والحسان فى ذلك ماهو من أحب سماع لك فى الدنيا وألذ لأذنك واقر لعينك اذ ليس فى الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئا أحب اليهم من ذلك وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة قال :« إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذى هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد فلم تقر أعينهم بشىء ولم يسمعوا شيأ قط أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد »

﴿ الباب الثامن والخمسون ﴾

(فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم)

قال الترمذى حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن على حدثنا المسعودى عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه «أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل فى الجنة من خيل؟ قال ان أدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك فى الجنة حيث شئت ؛ قال وسأله رجل فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل؟ قال فلم يقل ما قال لصاحبه قال ان أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك» حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه

بمعناه وهذا أصح من حديث المسعودى حدثنا محمد بن اسماعيل بن سمرة الاحمسى حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب قال : «أتى النبى صلى الله عليه وسلم أعرابى فقال يارسول الله انى أحب الخيل افى الجنة خيل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت» قال الترمذى هذا حديث اسناده ليس بالقوى ولانعرفه من حديث أبى أيوب الا من هذا الوجه وأبو سورة هو ابن أخى أبى أيوب يضعف فى الحديث ضعفه ابن معين جداً وسمعت محمد بن اسماعيل يقول أبو سورة هذا منكر الحديث يروى مناكير عن أبى أيوب لايتابع عليه «قلت» أما حديث علقمة بن مرثد فقد اضطرب فيه علقمة فمرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه ومرة يقول عن عبدالرحمن ابن سابط عن عمير بن ساعدة قال: «كنت أحب الخيل فقلت هل فى الجنة خيل يارسول الله» ومرة يقول قال رجل من الانصار يقال له عمير بن ساعدة يارسول الله ، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبى صلى الله عليه وسلم والترمذى جعل هذا أصح من حديث المسعودى لان سفيان أحفظ منه وأثبت وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبى صالح عن أبى هريرة «ان اعرابيا قال يارسول الله أفى الجنة ابل؟ قال يا اعرابى إن يدخلك الله الجنة رأيت فيها ما تشتهى نفسك وتلذ عينك» ورواه أيضا من حديث علقمة عن يحيى بن اسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الجنة فقال «والفردوس أعلاها سموا وأوسعها منه محلا ومنها تفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة ، فقام اليه رجل فقال يارسول الله انى رجل حبب إلي الخيل فهل فى الجنة خيل؟ قال أى والذى نفسى بيده ان فى الجنة لخيلا وإبلا هفافة تزف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاؤا ، فقام اليه رجل فقال يارسول الله انى حبب إلى الابل» وذكر الحديث وأما حديث أبى سورة فلا يعرف الا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره وغير يحيى بن جابر الطائى وقد أخرج له أبو داود حديث «ستفتح عليكم الامصار وتجندون اجنادا» وأخرج له ابن ماجه عن أبى أيوب «رأيت النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فخلل لحيته» وحديثا آخر فى تفسير قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وأخرج له الترمذى حديث «خيل الجنة» فقط ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال : «ان أهل الجنة ليتزاورون

على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس فى الجنة من البهائم إلا الخيل والابل»
وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان
ابن معاوية عن أبى الحكم عن أبى خالد عن الحسن البصرى عن جابر بن
عبد الله عن النبى صلى الله عليه سلم قال: «اذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم
خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها ثم طارت
بهم فى الجنة فيتجلى لهم الجبار فاذا رأوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار
تعالى: ارفعوا رؤسكم فان هذا ليس يوم عمل انما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون
رؤسهم فيمطر الله عليهم طيبا فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله على تلك
الكثبان ريحا فتهيجها عليهم حتى انهم ليرجعون إلى أهليهم وانهم لشعث غبر»
وقال عبد الله بن المبارك حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: «فى
الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب»

(الباب التاسع والخمسون)

(فى زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا وتذاكرهم ما كان بينهم فى الدنيا)

قال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين
يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون ، قال هل أنتم
مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ، قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت
من المحضرين) فاخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون
ويسأل بعضهم بعضا عن أحوال كانت فى الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة
إلى أن قال قائل منهم انى كان لى قرين فى الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول
ما حكاه الله عنه يقول أئنك لمن المصدقين بانا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب
بها بعد أن مزقنا البلى وكنا ترابا وعظاما ثم يقول المؤمن لاخوانه فى الجنة هل
أنتم مطلعون فى النار لننظر منزلة قرينى هذا وما صار اليه، هذا أظهر الاقوال
وفيها قولان آخران (أحدها) أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث
بعضهم بعضا هل أنتم مطلعون رواه عطاء عن ابن عباس (والثانى) انه من قول
الله عز وجل لاهل الجنة يقول لهم هل أنتم مطلعون والصحيح القول الاول وأن
هذا قول المؤمن لاصحابه ومحادثيه والسياق كله والاخبار عنه وعن حال قرينه
قال كعب «بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا

اطلع من بعض تلك الكوى» (وقوله) فاطلع أى أشرف قال مقاتل لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون قالوا له أنت أعرف به منا فاطلع أنت فاشرف فرأى قرينه فى سواء الجحيم ولولا أن الله عرفه اياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير فعندها قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أى ان كدت لتهلكنى ولولا أن أنعم الله على بنعمته لكنت من المحضرين معك فى العذاب وقال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم) وقال الطبرانى حدثنا الحسن بن اسحاق حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبى امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ايتزاور أهل الجنة؟ قال يزور الاعلى الاسفل ولا يزور الاسفل الاعلى الا الذين يتحابون فى الله يأتون منها حيث شاؤا على النوق محتقبين الحشايا» (١) وقال الدورقى حدثنا أبو سلمة التبوذكى حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: «بلغنا أن أهل الجنة يزور الاعلى الاسفل ولا يزور الاسفل الاعلى» وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن اسحاق عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة وقال الطبرانى حدثنا محمد ابن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبى سورة عن أبى أيوب يرفعه «إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب» وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضا وبذلك تتم لذتهم وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبى صلى الله عليه وسلم وقد سأله «كيف أصبحت ياحارثة؟ قال أصبحت مؤمنا حقا؛ قال ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك؟ قال عزفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا؛ وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يعذبون فيها؛ فقال عبد نور الله قلبه» وقال ابن أبى الدنيا حدثنا عبد الله حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الاخوان بعضهم إلى بعض قال فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله

(١) أى جعلوا وراءهم الفرش.

فغفر لنا» قال وحدثنى حمزة بن العباس انبأنا عبدالله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا اسماعيل بن غياش قال حدثنى ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلى عن شفى بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من نعيم أهل الجنة انهم يتزاورون على المطايا والنجب وانهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون امطرى علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقهم وفى رؤوسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى فاذا المرأة تنادى بعض أولئك ياعبد الله أمالك فينا حاجة؟ فيقول ماأنت ومن أنت؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة أو ما علمت أن الله قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيقول بلى وربى فاعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة» حدثنى حمزة أنبأنى عبد الله بن عثمان أنبأنا بن المبارك أنبأنا رشدين ابن سعد قال حدثنى ابن أنعم أن أباهريرة قال «إن أهل الجنة ليتزاورن على العيس (١) الجون عليها رحال الميس (٢) تثير مناسمها (٣) غبار المسك، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا ومافيها» وذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى اليمان حدثنا اسماعيل بن غياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله) قال هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت أزمتها الدر الابيض برحال الذهب أعنتها السندس والاستبرق ونمارقها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون فى الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى الله بين خلقه يضحك الله اليهم واذا ضحك الله إلى عبد فى موطن فلا حساب عليه» قال ابن أبى الدنيا وحدثنا الفضل بن جعفر

---

(١) هى الابل البيض مع سواد يسير (٢) الميس شجر صلب تعمل منه أكوار الابل ورحالها (٣) أى اخفافها . ع

ابن حسن حدثنا أبى عن الحسن بن على عن على قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن فى الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد بصرها فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم درجة يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة؟ قال فيقال لهم كانوا يصلون فى الليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون »

(فصل)

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب ان شاء الله

الباب الستون

(فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لاهلها)

قال مسلم فى صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا: فيقولون والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » ورواه الامام أحمد فى مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال «فيها كثبان المسك فاذا خرجوا اليها هبت الريح» وقال ابن أبى عاصم فى كتاب السنة حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين عن الاوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب انه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة: «اسأل الله ان يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد أو فيها سوق؟ قال نعم؛ أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن أهل الجنة اذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت

ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور مايرون ان أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة وهل نرى ربنا عز وجل؟ قال نعم ، قال هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا لا ، قال فكذلك لاتمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى يقول يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قمت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول بلى أفلم تغفر لي ، فيقول بلى فبمغفرتى بلغت منزلتك هذه . قال فبينماهم على ذلك اذ غشيتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط ، قال ثم يقول ربنا تبارك وتعالى قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، قال فيأتون سوقا قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشترى ، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا ، قال فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه مايرى عليه من اللباس والهيئة فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك انه لاينبغى لاحد أن يحزن فيها قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبنا لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فتقول اناجالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا ان ننقلب بمثل ماانقلبنا » ورواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن اسماعيل عن هشام بن عمار رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس فى هذا الاسناد من ينظر فيه الاعبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الاوزاعى فلاننكر عليه تفرده عن الاوزاعى بما لم يرو غيره وقد قال الامام أحمد وأبو حاتم الرازى هو ثقة واما دحيم والنسائى فضعفاه ولا نعرف انه حدث عن غير الاوزاعى والترمذى قال فى هذا الحديث غريب لانعرفه الامن هذا الوجه « قلت » وقد رواه ابن أبى الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الاوزاعى قال ؟ نبئت ان سعيد بن المسيب لقى أبا هريرة فذكره وقال الترمذى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة لسوقا ما فيها شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها » قال هذا حديث غريب وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمى

عن أنس بن مالك قال: «يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كثبان المسك فاذا رجعوا إلى ازواجهم قالوا انا لنجد لكن ريحا ما كانت لكن؛ قال فيقلن لقد رجعتم بريح ما كانت لكم اذ خرجتم من عندنا» قال ابن المبارك وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: «ان فى الجنة سوقا كثبان مسك يخرجون اليها ويجتمعون اليها فيبعث الله ريحا فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم اذا رجعوا اليهم قد ازددتم حسنا بعدنا فيقولون لاهليهم قدازددتم أيضا بعدنا حسنا» وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمى المعروف بمطين حدثنا احمد بن محمد بن طريف البجلى حدثنا أبى حدثنا محمد بن كثير حدثنى جابر الجعفى عن أبى جعفر عن على بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يامعشر المسلمين ان فى الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشترى الا الصور من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها» والله اعلم

الباب الحادى والستون

(فى ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى)

قال الامام الشافعى رضى الله عنه فى مسنده حدثنا ابراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: «أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكتة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبى ﷺ ما هذه؟ قال الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى؛ ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد؛ قال النبي ﷺ ياجبريل وما يوم المزيد؟ قال ان ربك اتخذ فى الفردوس واديا افيح فيه كثب المسك فاذا كان يوم القيامة انزل الله تبارك وتعالى ماشاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين؛ وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله تعالى أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم؛ فيقولون؛ ربنا نسئلك رضوانك؛ فيقول قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيتم؛ ولدى مزيد؛ فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذى

استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة » ولهذا الحديث طرق سنشير اليها في باب المزيد ان شاء الله تعالى وروى ابو نعيم من حديث شيبان بن خيبر بن فرقد عن الحسن عن أبي برزة الاسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان أهل الجنة ليغدون في حلة ويروحون في أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا ؛ كذلك يغدون ويروحون الى زيارة ربهم عز وجل وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عز وجل» قال وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه مثله وذكر أبو نعيم أيضا من حديث أبي اسحاق عن الحارث عن علي قال: «اذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول لهم ان الله تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم يوضع مائدة الخلد قالوا يارسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق الا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجدا فيقال لهم استم في دار عمل انما أنتم في دار جزاء» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو موسى اسحاق بن ابراهيم الهروي حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي قال حدثني أبو الياس قال حدثني محمد ابن علي بن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حنيش حدثنا ابراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافى ابن عمران وكان من خيار الناس قال حدثني ادريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علي قال ادريس ثم لقيت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة فحدثني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو سخر الجواد الراكب أن يسير في ظلها لسار فيها مائة عام؛ ورقها برود خضر؛ وزهرها رياض صفر؛ وأفنانها سندس واستبرق؛ وثمرها حلل وصمغها زنجبيل وعسل؛ وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر، وترابها مسك وحشيشها زعفران . منيع والالنجوج يؤججان من غير وقود ويتفجر من أصلها نهرا السلسبيل والمعين والرحيق وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدث يجمعهم ؛ فبينما هم يوما يتحدثون في ظلها اذ جاءتهم الملائكة يقودون نجبا جبلت من الياقوت ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنا ، وبرها خز أحمر ، ومرعزى أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون الى مثلها

عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت منضدة باللؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الاحمر، ملبسة بالعبقرى والارجوان فأناخوا اليهم تلك النجائب ثم قالوا لهم ان ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا اليه وينظر اليكم وتحيونه ويحييكم ويكلمكم وتكلمونه ويزيدكم من سعته وفضله انه ذورحمة واسعة وفضل عظيم فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم انطلقوا صفا واحدا معتدلا لا يفوق منه شيء شيئا ولا يقرب أذن الناقة أذن صاحبتها ولا تركب ناقة بركت صاحبتها ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة ألا أتحفتهم بثمرها ورحلت لهم عن طريقهم، كراهية ان ينثلم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه، فلما دفعوا الى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فى عظمته العظيمة فقالوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاكرام، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى انى السلام ومنى السلام ولي حق الجلال والاكرام مرحبا بعبادى الذين حفظوا وصيتى وراعوا عهدى وخافونى بالغيب وكانوا منى على كل حال مشفقين قالوا وعزتك وجلالك وعلو مكانك ماقدرناك حق قدرك وما أدينا اليك كل حقك فأذن لنا بالسجود لك فقال لهم ربهم تبارك وتعالى انى قد وضعت عنكم مؤونة العبادة وارحت لكم أبدانكم فلطالما أتعبتم لى الابدان وأعنيتم لى الوجوه فالآن أفضيتم الى روحى ورحمتى وكرامتى فاسئلونى ما شئتم وتمنوا على أعطكم أمانيكم فانى لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتى وكرامتى وطولى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شانى، فلا يزالون فى الامانى والعطايا والمواهب حتى ان المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها فقال لهم ربهم عز وجل لقد قصرتم فى أمانيكم ورضيتم بدون مايحق لكم فقد أوجبت لكم ماسألتم وتمنيتم وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم » ولا يصح رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وحسبه ان يكون من كلام محمد بن على فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء فجعله من كلام النبى ﷺ وادريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عدى وقال الدارقطنى متروك وأما أبو الياس المتابع له فلا يدرى من هو و[illegible] بن يزيد الموصلى الراوى عنه فمجهول أيضا ومثل هذا لا يصح ر[illegible] أعلم وقال الضحاك فى قوله عز وجل (يوم نحشر المتقين الى الرحمن [illegible] النجائب [illegible]

﴿ الباب الثانى والستون ﴾

(فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة)

قد تقدم فى حديث سوق الجنة انه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط. وقال بقية بن الوليد حدثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئا إلا امطروا» وقال ابن أبى الدنيا حدثنى أزهر بن مروان حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيبانى عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفى اليمانى قال سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: «إنهم يغدون إلى الله سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة، كل انسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى أنت عليه فاذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى: اطعموا عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى فيطعموا ثم يقول أسقوهم قال فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة فيشربون منها ثم يقول عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا فكهوهم فتجىء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاؤا. ثم يقول عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا اكسوهم فتجىء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر وكل لون لم تنبت إلا الحلل فتنشر عليهم حللا وقمصا، ثم يقول عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر، ثم يقول عبادى وجيرانى وخلقى ووفدى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين لهم حتى ينظروا الى فاذا تجلى لهم فنظروا اليه نضرت وجوههم، ثم يقال لهم ارجعوا الى منازلكم فتقول لهم أزواجهم خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك ان الله جل ثناؤه تجلى لنا فنظرنا اليه فنضرت وجوهنا» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا اسماعيل بن عياش قال حدثنى ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلى عن شفى بن مانع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وانهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت. فيقولون امطرى علينا

فما يزال المطر عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية فتنسف كثبانا من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك فى نواصى خيولهم وفى مفارقها وفى رؤسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك فى تلك الجمام وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله فاذا المرأة تنادى بعض أولئك ياعبد الله أما لك فينا من حاجة؟ فيقول ما أنت ومن أنت؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة أو ما تعلم أن الله تعالى قال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فيقول بلى وربى فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم»

(فصل)

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سببا للرحمة والحياة فى هذه الدار ويجعله سبباً لحياة الخلق فى قبورهم حيث يمطر على الارض أربعين صباحاً مطرا متداركا من تحت العرش فينبتون تحت الارض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون فى الدنيا ويثير لهم سحاباً فى الجنة يمطرهم ما شاؤوا من طيب وغيره؛ وكذلك أهل النار ينشىء لهم سحابا يمطر عليهم عذابا إلى عذابهم كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحابا أمطر عليهم عذابا أهلكهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب

الباب الثالث والستون

(فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها)

قال تعالى (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد« ملكا كبيرا قال عظيما وقال استئذان الملائكة عليهم لاتدخل الملائكة عليهم إلا باذن وقال كعب فى قوله تعالى:«وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا» يرسل اليهم ربهم الملائكة فتأتى الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة»وقال بعضهم الخدم ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بأذن؛ وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا. وقال ابن أبى الحوارى سمعت أباسليمان يقول فى قوله عز وجل:«واذا رأيت

ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا» قال الملك الكبير أن رسول الله يأتيه بالتحفة واللطف فلا يصل اليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب استأذن على ولى الله فانى لست أصل اليه ؛ فيعلم ذلك الحاجب حاجبا آخر وحاجبا بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لايدخل عليه الا باذن وهو يدخل على ربه بلااذن. وقال ابن أبى الدنيا حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المرى حدثنا يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك يرفعه: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم» حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبى هلال الراسبى أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدى عن عبد الله بن معبد الزمانى عن أبى هريرة قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم الا ومعه طرفة ليست مع صاحبه» وحدثنى محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبى هلال حدثنا حميد بن هلال : «قال ما من رجل من أهل الجنة الا وله ألف خازن ليس منهم خازن الاعلى عمل ليس عليه صاحبه» وحدثنى هارون بن سفيان أنبأنا محمد ابن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: «ان العبد أول مايدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ» حدثنى هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبى هريرة قال: «ان أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنىء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه» وقال عبد الله ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب حدثنى عبد الله بن رجز عن محمد بن أبى أيوب المخزومى عن أبى عبد الرحمن المغافرى قال: «انه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لايرى طرفاها من غلمانه حتى اذا مر مشوا وراءه» وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا بقية بن الوليد حدثنى أرطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج قال جلست

إلى أبي أمامة فقال: «إن المؤمن يكون متكئا على أريكة اذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فاذا هو بالملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم إلى المؤمن أئذنوا له ويقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف» وقال ابن أبي الدنيا حدثنى محمد بن الحسن حدثنا قبيصة حدثنا سليمان العنبرى عن الضحاك بن مزاحم قال: «بينا ولى الله فى منزله إذ أتاه رسول من الله عز وجل فقال للآذن استأذن لرسول الله على ولى الله فيدخل الآذن فيقول له ياولى الله هذا رسول من الله يستأذن عليك قال ائذن له فيأذن له فيدخل على ولى الله فيضع ما بين يديه تحفة فيقول ياولى الله إن ربك يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تأكل من هذه، قال فيشبهه بطعام أكله أيضا فيقول انما كان هذا الآن فيقول ان ربك يأمرك أن تأكل منها فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة فى الجنة قال فذلك قوله تعالى (وأتوا به متشابها)» وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يجىء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت ربى فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت ربى فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت ربى» وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه (وقال البزار) فى مسنده حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الحريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال: «خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وغرسها بيده وقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوك» هكذا رواه وهيب عن الحريرى موقوفا ورواه عدى بن الفضل عن الحريرى فرفعه وقال البزار ولا نعلم أحدا رفعه الا عدى ابن الفضل بهذا الاسناد وعدى بن الفضل ليس بالحافظ وهو شيخ بصرى

قلت عدى ابن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم والحديث صحيح موقوف والله أعلم وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم وانما يلبسها الملوك

الباب الرابع والستون

(فى ان الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال وان موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها)

قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الاعين فى الجنة (وفى الصحيحين) من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر،مصداق ذلك فى كتاب الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) » وفى لفظ آخر فيهما « يقول الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما أطلعتكم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس الآية» وفى بعض طرق البخارى «قال أبو هريرة: اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وفى صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدى قال : «شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال فى آخر حديثه فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)» (وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب» وقد تقدم حديث أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم: «ألا مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام فى أبد فى دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة ومحلة عالية بهية) ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها الا انه لا يسأل بوجه الله غير ...

شرفاً. وفضلا كما فى سنن أبى داود من محمد حديث سليمان بن معاذ عن بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يسأل بوجه الله الا الجنة» وفى معجم الطبرانى من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون» وفى صحيح البخارى من حديث سهل ابن سعد قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها» (وقال الامام أحمد) حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض» وهذا الاسناد على شرط الصحيحين وقال الترمذى حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو ان اقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب» قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الاسناد الا من حديث ابن لهيعة وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبى حبيب وقال عن عمر بن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قلت وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعنى ابن الحارث ان سليمان بن حميد حدثه ان عامر بن سعد بن أبى وقاص قال سليمان لا أعلم الا أنه حدثنى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: «لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض» وفى الباب عن أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى وعبد الله ابن عمرو بن العاص « وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لاحبابه؛ وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه؛ ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره؛ وطهرها من كل عيب وآفة ونقص؛ فان سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وان سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وان سألت عن بلاطها فهو المسك الاذفر،

وان سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر . وان سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب . وان سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب . وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل . وان سألت عن ورقها فاحسن ما يكون من رقائق الحلل . وإن سألت عن أنهارها فانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ؛ وان سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور . وان سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير . وان سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الاعوام ؛ وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ؛ وان سألت عن تصفيق الرياح لاشجارها فانها تستفز بالطرب لمن يسمعها . وان سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وان سألت عن سعتها فادنى أهلها يسير فى ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام ؛ وان سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام . وان سألت عن علاليها وجواسقها فهى غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار . وان سألت عن ارتفاعها فانظر الى الكوكب الطالع أو الغارب فى الافق الذى لا تكاد تناله الابصار . وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ؛ وان سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة فى أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهى الاسرة عليها البشخانات وهى الحجال مزررة بازرار الذهب . فما لها من فروج ولا خلال . وان سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر . وان سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر * وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين . وأعلى منهما خطاب رب العالمين . وان سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤا من الجنان . وان سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤس ملابس التيجان * وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون . وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الاتراب

اللاتى جرى فى أعضائهن ماءالشباب فللورد والتفاح مالبسته الخدود. وللرمان ماتضمنته النهود. وللؤلؤ المنظوم ماحوته الثغور. وللرقه واللطافة مادارت عليه الخصور ، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت. إذاقابلت حبها فقل ماتشاء فى تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه فى صحن خدها كما يرى فى المرآة التى جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها . لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الارض والسماء ريحا، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسبيحا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولاغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم . ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها اشهى اليه من جميع أمانيها ، لا تزداد على طول الاحقاب الاحسنا وجمالا، ولا يزداد لها طول المدى الا محبة ووصالا، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الادناس، لايفنى شبابها . ولا تبلى ثيابها . ولا يخلق ثوب جمالها . ولا يمل طيب وصالها . قدقصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لاحد سواه. وقصر طرفه عليها فهى غاية أمنيته وهواه. ان نظر اليها سرته. وان أمرها بطاعته اطاعته . وان غاب عنها حفظته . فهو معها فى غاية الأمانى والأمان. هذا ولم يطمثها قبله انس ولا جان. كلما نظر اليها ملأت قلبه سرورا . وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوما ومنثورا . وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً * وان سألت عن السن فأتراب فى أعدل سن الشباب . وان سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر . وان سألت عن الحدق فأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حور. وان سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الاغصان . وان سألت عن النهود فهن الكواعب نهودهن كألطف الرمان . وان سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان * وان سالت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان * اللاتى جمع لهن بين الحسن والاحسان * فاعطين جمال الباطن والظاهر * فهن أفراح النفوس وقرة النواظر * وان سالت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الازواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج . فما ظنك

بامرأة إذا ضحكت فى وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة فى بروج فلكها. وإذا حاضرت زوجها فياحسن تلك المحاضرة * وان خاصرته فيالذة تلك المعانقة والمخاصرة

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هى حدثت ود المحدث انها لم توجز

وان غنت فيالذة الابصار والأسماع . وان آنست وأمتعت فياحبذا تلك المؤانسة والامتاع . وان قبلت فلا شىء أشهى اليه من ذلك التقبيل . وان نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل * هذا وان سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه . كما ترى الشمس فى الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه . وذلك موجود فى الصحاح والسنن والمسانيد . من رواية جرير وصهيب وأنس وأبى هريرة وأبى موسى وأبى سعيد . فاستمع يوم ينادى المنادى ياأهل الجنة ان ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته فيقولون سمعاً وطاعة. وينهضون إلى الزيارة مبادرين. فاذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادى الافيح الذى جعل لهم موعداً . وجمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحداً . أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنىء على كثبان المسك ما يرون ان أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم. نادى المنادى ياأهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا . ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك اذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فأذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال ياأهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك اليهم ويقول يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا

فارض عنا ، فيقول يا أهل الجنة انى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى. هذا يوم المزيد فاسألونى . فيجتمعون على كلمة واحدة أرناوجهك ننظر اليه. فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا ان الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا.ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى انه ليقول يافلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته فى الدنيا .فيقول يارب ألم تغفر لى؟فيقول بلى بمغفرتى بلغت منزلتك هذه فيالذة الاسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الابرار بالنظر إلى وجه الكريم فى الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة.«وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة،ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة »

فحى على جنات عدن فانها   منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى   نعود إلى أوطاننا ونسلم

الباب الخامس والستون

(فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكا اليهم)

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرا وأعلاها خطراً وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة والضلالة وهى الغاية التى شمر اليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون . وتسابق اليها المتسابقون . ولمثلها فليعمل العاملون.اذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم * وحرمانه والحجاب عنه لاهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم * اتفق عليها الأنبياء والمرسلون. وجميع الصحابة والتابعون . وأئمة الاسلام على تتابع القرون.وأنكرها أهل البدع المارقون . والجهمية المتهوكون والفرعونية المعطلون.والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون . والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون . ومن حبل الله منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون.وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون.وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون .أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين. وأعداء الرسول وحزبه وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به فى زمانه.وهو كليمه ونجيه وصفيه من

أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر اليه فقال له ربه تبارك وتعالى: « لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا» وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة (أحدها) أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه مالا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا لله العجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الاصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران. وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه؟!! (الوجه الثانى) أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لانكره عليه. ولهذا لما سأل ابراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه. ولما سأل عيسى بن مريم ربه انزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله. ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال « انى أعظك أن تكون من الجاهلين. قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفرلي وترحمنى أكن من الخاسرين » (الوجه الثالث) أنه أجابه بقوله لن ترانى ولم يقل لاترانى ولا انى لست بمرئى ولاتجوز رؤيتى والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لاتحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى (يوضحه الوجه الرابع) وهو قوله ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لايثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف (الوجه الخامس) ان الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع فى مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير ان يقول ان استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء (الوجه السادس) قوله سبحانه وتعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فانه اذا جاز ان يتجلى للجبل الذى هو جماد لاثواب له ولاعقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله واوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه

وتعالى موسى أن الجبل اذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار فالبشر أضعف (الوجه السابع) أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لايتم انكار الرؤية إلا بانكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين انكار الامرين فانكروا أن يكلم أحدا أو يراه أحد ولهذا سأله موسى النظر اليه لما أسمعه كلامه وعلم نبى الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه أن ما سأله لايقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه . وأما قوله تعالى «لن ترانى» فانما يدل على النفى فى المستقبل ولا يدل على دوام النفى ولو قيدت بالتابيد فكيف اذا أطلقت قال تعالى «ولن يتمنوه أبدا» مع قوله تعالى « ونادوا يامالك ليقض علينا ربك » .

(فصل)

الدليل الثانى قوله تعالى: «واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه» وقوله تعالى «تحيتهم يوم يلقونه سلام» وقوله تعالى «فمن كان يرجو لقاء ربه» وقوله تعالى «قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله» وأجمع أهل اللسان على ان اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على ان المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة بل والكفار أيضا كما فى الصحيحين من حديث التجلى يوم القيامة وسيمر بك عن قريب ان شاء الله تعالى (وفى هذه المسألة) ثلاثة أقوال لاهل السنة (أحدها) أن لايراه الا المؤمنون (والثانى) يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك (والثالث) يراه المنافقون دون الكفار . والاقوال الثلاثة فى مذهب أحمد وهى لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم فى تكليمه لهم ولشيخنا فى ذلك مصنف مفرد وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها وكذا قوله سبحانه وتعالى: «ياأيها الانسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه» ان عاد الضمير على العمل فهو رؤيته فى الكتاب مسطورا مثبتا . وان عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذى وعد به

الدليل الثالث قوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم كذلك فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن فالصحابة من بعده كما روى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال: «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار!! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه وهى الزيادة» وقال الحسن بن عرفة حدثنا مسلم بن سالم البلخى عن نوح بن أبى مريم عن ثابت عن أنس قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة والزيادة وهى النظر إلى وجه الله (وقال) محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله: قلت عطاء هذا هو الخراسانى وليس عطاء بن أبى رباح قال ابن جرير وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال سمعت زهيرا وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل» وقال أسد السنة: حدثنا قيس بن الربيع عن ابان عن أبى تميمة الهيجمى انه سمع أبا موسى يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يبعث الله عز وجل يوم القيامة مناديا ينادى يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله وعدكم الحسنى والحسنى الجنة

والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل» وقال ابن وهب أخبرني شبيب عن أبان عن ابن تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الاشعري يحدث عن رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة مناديا ينادي يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم ان الله وعدكم الحسنى وزيادة ؛ الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن»

(وأما الصحابة) فقال ابن جرير حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدى حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر الى وجه الله الكريم. وبهذا الاسناد عن أبي اسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه ربهم تعالى. وحدثنا على بن عيسى حدثنا شبابة حدثنا أبو بكر الهذلي قال سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث عن أبي موسى الاشعري قال: «اذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى الي أهل الجنة مناديا ينادي هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون نعم: فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن عز وجل. وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي أنبانا أبو تميمة قال سمعت أبا موسى الاشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول: ان الله يبعث يوم القيامة ملكا الى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والانهار والازواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي لكم شيء ان الله عز وجل يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى. (وفي تفسير) أسباط بن نصر عن اسماعيل السدى عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) قال أما الحسنى فالجنة وأما الزيادة فالنظر الى وجه الله وأما القتر فالسواد (وقال) عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد واسماعيل بن عبد الرحمن السدى والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو اسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر: الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، وقال غير واحد من السلف في الآية «ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة» بعد النظر اليه والاحاديث

عنهم بذلك صحيحة ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالي

﴿فصل﴾

(الدليل الرابع) قوله تعالى: «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» ووجه الاستدلال بها انه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعى نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبرانى وغيره عن المزنى قال سمعت الشافعى يقول فى قوله عز وجل: «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» فيها دليل على ان أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة (وقال الحاكم) حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن ادريس الشافعى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول فى قول الله عز وجل «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» فقال الشافعى لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على ان أولياءه يرونه فى الرضى قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى الله لما عبد الله عز وجل ورواه الطبرانى فى شرح السنة من طريق الأصم أيضا وقال أبو زرعة الرازى سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول سئل محمد بن عبد الله ابن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد ابن عبد الله ليس يراه الا المؤمنون قال محمد وسئل الشافعى عن الرؤية فقال يقول الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ففى هذا دليل على ان المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل

﴿فصل﴾

(الدليل الخامس) قوله عز وجل: «لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد» قال الطبرانى قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره

(فصل)

(الدليل السادس) قوله عز وجل: «لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار»

والاستدلال بهذا أعجب فانه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لى أنا ألتزم انه لايحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله الا وفى ذلك الدليل مايدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهى على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها . فان الله سبحانه انما ذكرها فى سياق التمدح ومعلوم أن المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وانما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم اذا تضمن أمرا وجوديا كتمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ونفى اللغوب والاعياء المتضمن كمال القدرة ونفى الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره . ونفى الاكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ؛ ونفى الشفاعة عنده بدون اذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه . ونفى الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه . ونفى النسيان وعزوب شىء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته . ونفى المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا فان المعدوم يشارك الموصوف فى ذلك العدم ولا يوصف الكامل بامر يشترك هو والمعدوم فيه . فلو كان المراد بقوله « لا تدركه الابصار » انه لا يرى بحال لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له فى ذلك فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الابصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فاذا المعنى انه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى فى قوله « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة » انه يعلم كل شىء وفى قوله « وما مسنا من لغوب » انه كامل القدرة وفى قوله « ولا يظلم ربك أحدا » انه كامل العدل وفى قوله (لا تاخذه سنة ولا نوم) انه كامل القيومية فقوله « لا تدركه الابصار » يدل على غاية عظمته وانه أكبر من كل شىء وانه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فان الادراك هو الاحاطة بالشىء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا » فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم (انا لمدركون) إنا لمرئيون فان موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى ادراكهم اياهم بقوله كلا وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذى فهمه الصحابة والائمة من

الآية قال ابن عباس: لا تدركه الابصار، لا تحيط به الابصار قال قتادة هو أعظم من أن تدركه الابصار وقال عطية ينظرون الى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذ كان غير جائز ان يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه (ونظير هذا) استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها والا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء انما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل؛ أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه؛ فقوله ليس كمثله شيء من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله لا تدركه الابصار من أدل شيء على انه يرى ولا يدرك وقوله (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه فانه لم يخلقهم في ذاته بل خلقهم خارجا عن ذاته؛ ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره؛ ويحيط بهم علماً وقدرة وارادة وسمعا وبصرا؛ فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا وتأمل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» فانه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به؛ وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه القريب في علوه، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير

(فصل)

(الدليل السابع) قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وانت إذا

أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحا أن الله سبحانه يرى عيانا بالابصار يوم القيامة، وان أبيت الا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلا فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض ان يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها الا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذى أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعدينه باداة إلى الصريحة فى نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على ان المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بالى خلاف حقيقته ؛ وموضوعه صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فان عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله (انظرونا نقتبس من نوركم) وان عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) وان عدى بالى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر؟!! قال يزيد بن هارون أنبأنا مبارك عن الحسن قال نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره ، فاسمع الآن أيها السنى تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وأئمة الاسلام لهذه الآية (قال ابن مردويه) فى تفسيره حدثنا ابراهيم عن محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد ابن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن ثوير بن أبى ناجية عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) قال من البهاء والحسن، إلى ربها ناظرة قال فى وجه الله عز وجل ؛ وقال أبو صالح عن ابن عباس إلى ربها ناظرة قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل ؛ وقال عكرمة وجوه يومئذ ناضرة قال من النعيم إلى ربها ناظرة قال تنظر إلى ربها نظرا، ثم حكى عن ابن عباس مثله وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث .

﴿ فصل ﴾

وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وجرير ابن عبد الله البجلى وصهيب بن سنان الرومى وعبد الله بن مسعود الهذلى وعلى بن أبى طالب وأبو موسى الاشعرى وعدى بن حاتم الطائى وأنس بن مالك الانصارى وبريدة بن الحصيب الاسلمى وأبو رزين العقيلى، وجابر بن عبد الله الانصارى، وأبو أمامة الباهلى، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان، وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبى بن كعب، وكعب ابن عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم غير مسمى * فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين

(فصل)

فاما حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم ابن اسحاق الطالقانى قال حدثنى النضر بن شميل المازنى قال حدثنى أبو نعامة قال حدثنى أبو هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوى عن حذيفة عن أبى بكر الصديق قال: «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس مكانه حتى صلى الاولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الاخيرة، ثم قام إلى أهله فقال الناس لابى بكر ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه؟ صنع اليوم شيأ لم يصنعه قط، قال فسأله فقال نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون فى صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يلجمهم فقالوا يا آدم انت أبو البشر وانت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك، قال لقد لقيت مثل الذى لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح (ان الله

اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) قال فينطلقون الى
نوح صلى الله عليه وسلم فيقولون اشفع لنا الى ربك فانت اصطفاك الله واستجاب
لك فى دعائك ولم يدع على الارض من الكافرين ديارا. فيقول ليس ذلكم عندى
انطلقوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان الله اتخذه خليلا فينطلقون الى ابراهيم
فيقول ليس ذلكم عندى انطلقوا الى موسى صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل
كلمه تكليما فيقول موسى صلى الله عليه وسلم ليس ذلك عندى، انطلقوا الى عيسى
ابن مريم صلى الله عليه وسلم فانه كان يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى فيقول
عيسى ليس ذلكم عندى؛ انطلقوا الى سيد ولد آدم انطلقوا الى محمد صلى الله عليه
وسلم فليشفع لكم الى ربكم عز وجل قال فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى
فيقول له الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل صلى الله عليه
وسلم فيخر ساجدا قدر جمعة ويقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع
واشفع تشفع؛ قال فيرفع رأسه فاذا نظر الى وجه ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى
فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع؛ واشفع تشفع؛ قال فيذهب ليقع
ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على
بشر قط؛ فيقول اى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولا فخر؛ وأول من تنشق الارض
عنه يوم القيامة ولا فخر؛ حتى إنه ليرد على الحوض اكثر مما بين صنعاء وأيلة؛ ثم
يقال ادعوا الصديقين فيشفعون؛ ثم يقال ادعوا الانبياء قال فيجىء النبى ومعه
العصابة؛ والنبى ومعه الخمسة والستة؛ والنبى وليس معه احد؛ ثم يقال ادعوا الشهداء
فيشفعون لمن أرادوا؛ قال فاذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول الله عز وجل انا
أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بي شيأ؛ قال فيدخلون الجنة، قال
ثم يقول الله عز وجل انظروا فى أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيرا قط قال
فيجدون فى النار رجلا فيقولون له هل عملت خيراً قط فيقول لا غير أنى كنت
أسامح الناس فى البيع فيقول الله عز وجل اسمحوا لعبدى بسماحته الى عبيدى
ثم يخرجون من النار رجلا يقول له هل عملت خيراً قط؟ فيقول لا، غير أنى أمرت
ولدى إذا مت فأحرقونى فى النار ثم اطحنونى حتى اذا كنت مثل الكحل فاذهبوا
فى الي البحر فأذرونى فى الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين ابدا فقال الله
عز وجل له لم فعلت ذلك ؟ قال من مخافتك؛ قال فيقول الله عز وجل انظر الى ملك

أعظم ملك فان لك مثله وعشرة أمثاله ؛ قال فيقول أتسخر بى وأنت الملك ، قال وذلك الذى ضحكت منه من الضحى »

(فصل)

وأما حديث أبى هريرة وأبى سعيد ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة «أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر؟؛ قالوا لا يارسول الله؟ قال هل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك؛ يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت؛ وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون: فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل فى صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم ؛ فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ؛ ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل؛ ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم؛ وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا نعم يارسول الله ؛ قال فأنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله عز وجل؛ تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله؛ ومنهم المجازى حتى ينجوا فاذا فرغ الله من القضاء بين العباد واراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيأ ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله؛ فيعرفونهم بأثر السجود ؛ وتأكل النار من ابن آدم الا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ؛ فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أى رب اصرف وجهى عن النار فانه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيدعو الله

ماشاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره، فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول اى رب قدمني الى باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي اعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!! فيقول اى رب فيدعو الله حتى يقول له فهل عسيت إن اعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ماشاء من عهود ومواثيق فيقدمه الى باب الجنة فاذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ماشاء الله أن يسكت ثم يقول اى رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد اعطيت عهودك ومواثيقك ان لا تسألني غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك؟! فيقول اى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فاذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة. فاذا دخلها قال الله له تمن فيسأل ربه ويتمنى حتى ان الله ليذكره فيقول تمن كذا وكذا حتى اذا انقطعت به الامانى قال الله عز وجل ذلك لك ومثله معه قال ابو سعيد وعشرة أمثاله معه، قال عطاء بن يزيد وابو سعيد الخدرى مع ابى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيأ حتى اذا حدث ابو هريرة قال ان الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه قال ابو سعيد وعشرة امثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ماحفظت الا قوله ذلك لك ومثله معه، قال ابو سعيد اشهد أنى حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله، قال ابو هريرة وذلك الرجل آخر اهل الجنة دخولا الجنة» وفي الصحيحين ايضا عن ابى سعيد الخدرى «أن ناسا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟ قالوا لا يارسول الله؟ قال ما تضارون فى رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة؟ إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والأنصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد فماذا

تبغون ؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون ؟ فيحشرون الى النار
كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم
ماكنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة
ولا ولد، فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار اليهم ألا تردون
فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق
الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى
صورة من التى رأوه فيها، قال فما تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ماكانت تعبد قالوا
يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم، فيقول انا ربكم
فيقولون نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد
أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن
ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا
يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن
يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها
أول مرة فيقول انا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل
الشفاعة قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب
وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين
وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم، ومخدوش مرسل،
ومكدوس فى نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذى نفسى بيده
ما من أحد منكم باشد مناشدة فى استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم
القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون
ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون
خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقى
فيها أحد ممن أمرتنا، فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار
من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن
أمرتنا أحداً، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول
ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً
كثيرا ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا قط، وكان أبو سعيد الخدرى يقول ان

لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم (ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل الا ترونها تكون إلى الحجر أوالى الشجر مايكون منها إلى الشمس اصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون ابيض فقالوا يارسول كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولاخير قدموه، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول لكم عندى أفضل من هذا، فيقولون ياربنا وأى شىء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبداً »

(فصل)

وأما حديث جرير بن عبد الله ففى الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عنه قال: «كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)» رواه عن اسماعيل بن أبى خالد عبد الله بن ادريس الازدى ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربى وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد وهشيم بن بشير وعلى بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو اسامة وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد ابن فضيل والطفاوى ويزيد بن هارون واسماعيل بن أبى خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن حى وورقاء بن عمرو وعمار بن زريق وأبو الأعز سعيد ابن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبى بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكرى وحسين بن واقد ومعمر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم ابن سفيان ومندل بن على وأخوه سنان بن على وعمر بن يزيد وعبد الغفار بن القاسم

ومحمد بن بشير الحريري ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلي بن القاسم الكندي وعبيد بن الاسود الهمداني وعبد الجبار بن العباس والمعلى بن هلال ويحيى بن زكريا ابن ابي زائدة والصباح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد بن حازم وابان بن ارقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفي وعثمان بن علي وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمي ومحمد بن يزيد الواسطي وعمرو بن هشام ومحمد بن مروان ويعلى بن الحارث المحاربي وشعيب بن راشد والحسن بن دينار وسلام ابن ابي مطيع وداود بن الزبرقان وحماد بن ابي حنيفة ويعقوب بن حبيب وحكام ابن سلم وابو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة النعمان بن ثابت وعمرو بن سمر الجعفي وعمرو بن عبد الغفار التيمي وسيف بن هارون البرجمي اخو سنان، وعابد بن حبيب ومالك بن سعير بن الخمس ويزيد بن عطاء مولى ابي عوانة وخالد بن يزيد العصري وعبد الله بن موسى وخالد بن عبد الله الطحان وابو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمر بن سليمان الرقي ومرجى ابن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وإبراهيم ابن طهمان وخارجة ابن مصعب وعبد الله بن عثمان شريك شعبة وعبد الله بن فروح وزيد بن ابي انيسة، وجوّده فقال: «فستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر» وابو شهاب الخياط وقال «ستروْن ربكم عيانا» وحارثة بن هرم وعاصم بن حكيم ومقاتل بن سليمان وابو جعفر الرازي والحسن بن ابي جعفر والوليد بن عمرو وأخوه عثمان بن عمرو وعبد السلام بن عبد الله بن قرة العنبري ويزيد بن عبد العزيز وعلي بن صالح بن حي وزفر بن الهذيل والقاسم بن معن؛ تابع اسماعيل بن أبي خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن ابي حازم عن جرير وكل هؤلاء شهدوا على اسماعيل بن أبي خالد وشهد اسماعيل بن أبي خالد على قيس ابن أبي حازم وشهد قيس بن أبي حازم على جرير بن عبد الله وشهد جرير بن عبد الله على رسول الله ﷺ فكانك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقوله ويبلغه لامته ولا شيء أقر لاعينهم منه ؛ وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وانه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها

والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون

(فصل)

وأما حديث صهيب فرواه مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيأ أزيدكم؟ يقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق

« فصل »

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبرانى حدثنا محمد بن نصر الازدى وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمى قالوا حدثنا اسماعيل بن عبيد بن أبى كريمة الحرانى حدثنا محمد بن سلمة الحرانى عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وينزل الله عز وجل فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى ثم ينادى مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ان يولى كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون فى الدنيا أليس ذلك عدلا من ربكم؟ قالوا بلى، قال فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون فى الدنيا قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الاوثان من الحجارة واشباه ما كانوا يعبدون قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير ويبقى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فيأتيهم الرب عز وجل فيقول مابالكم لاتنطلقون كما انطلق الناس؟ قال فيقولون ان لنا إلها ما رأيناه بعد، فيقول هل تعرفونه ان رأيتموه؟ فيقولون ان بيننا وبينه علامة اذا رأيناها عرفناه، قال فيقول ماهى؟ فيقولون يكشف عن ساقه

فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون، ثم يقول ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه يضىء مرة ويطفأ مرة فاذا أضاء قدم قدمه ومشى، واذا طفىء قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم كشد الرحل حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر ابهام قدمه يحبوا على وجهه ويديه ورجليه تجريد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطانى الله مالم يعط أحداً اذ نجانى منها بعد أن رأيتها قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود اليه ريح أهل الجنة والوانهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟! فيقول يارب اجعل بينى وبينها حجابا لا اسمع حسيسها قال فيدخل الجنة قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كانما الذى هو فيه اليه حلم ليدخله فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول فلعلك ان اعطيتكه تسأل غيره. فيقول لا وعزتك لا اسأل غيره، وأى منزل يكون أحسن منه؟! قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله عز وجل فلعلك ان أعطيتكه تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره وأى منزل يكون أحسن منه؟! قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كانما الذى هو فيه اليه حلم فيقول رب أعطنى ذلك المنزل فيقول الله جل جلاله فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ؛ قال لا وعزتك لا أسأل غيره وأى منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزله ثم يسكت فيقول الله عز وجل مالك لا تسأل؟ فيقول رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك . فيقول الله عز وجل

ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول أتستهزىء بى وأنت رب العزة فيضحك الرب عز وجل من قوله قال فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك فقال له رجل ياأبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان ضحكت فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه قال فيقول الرب عز وجل لا، ولكنى على ذلك قادر سل، فيقول ألحقنى بالناس فيقول الحق بالناس قال فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له ارفع رأسك مالك؟ فيقول رأيت ربى أو تراءى لى ربى فيقال له انما هو منزل من منازلك قال ثم يلقى فيها رجلا فيتهيأ للسجود فيقال له مه مالك؟ فيقول رأيت انك ملك من الملائكة فيقول له انما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على مثل ماأنا عليه، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال وهو فى درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا أعرض عنها اعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك فيقول لها والله لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا فتقول له والله وأنت لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا فيقال له أشرف قال فيشرف فيقال له ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره؛ قال فقال عمر ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلا فكيف أعلاهم؟ اقال كعب يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ان الله عز وجل جعل دارا فيها ماشاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب (فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ثم قال من كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد حتى ان الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير فى ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة الا دخلها من

ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون واهاً لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير فى ملكه فقال ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب والذى نفسى بيده ان لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل الا يخر لركبتيه حتى ان ابراهيم خليل الله يقول رب نفسى نفسى حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أنك لاتنجو »
هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون فى السنة كعبد الله بن أحمد والطبرانى والدار قطنى فى كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقرى قال حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام ابن حرب حدثنا الدالانى حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق أحمد بن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة

« فصل »

وأما حديث على بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن المصفى حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى فى كل جمعة وذكر ما يعطون قال ثم يقول الله تبارك وتعالى اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك وهو قوله تبارك وتعالى ولدينا مزيد »

« فصل »

وأما حديث أبي موسى ففى الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن »(وقال الامام أحمد) حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله الامم فى صعيد واحد يوم القيامة

فاذا بدا الله أن يصدع بين خلقه(١) مثل لكل قوم ماكانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم؟ فنقول نحن المسلمون، فيقول ماتنتظرون؟ فنقول ننتظر ربنا عز وجل، فيقول وهل تعرفونه ان رأيتموه؟ فنقول نعم إنه لاعدل له فيتجلى لنا ضاحكا فيقول ابشروا يامعشر المسلمين فانه ليس منكم أحد إلا جعلت فى النار يهوديا أونصرانيا مكانه» وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشي عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكا يوم القيامة» وذكر الدار قطنى من حديث ابان بن أبى عياش عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يبعث الله يوم القيامة منـاديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم ان الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل»

(فصل)

وأما حديث عدى بن حاتم ففى صحيح البخارى قال: «بينا أنا عند النبى ﷺ اذ أتى اليه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتى إليه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحداً إلا الله، قلت فيما بينى وبين نفسى فأين دعار طيىء الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز؟ قال كسرى بن هرمز ؛ ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك؟ فيقول بلى يارب فيقـول ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم . قال عدى بن حاتم سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن

(١) أى يفرق بينهم فيفصل أهل الجنة من أهل السعير

طالت بكم حياة لترون ماقال النبى صلى الله عليه وسلم »

﴿فصل﴾

وأما حديث أنس بن مالك ففى الصحيحين من حديث سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفى لفظ فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؟! فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؛ فيقول لست هناكم؛ فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل قال فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله تكليما وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبدا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر؛ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأستأذن على ربى فيؤذن لى فاذا أنا رأيته فأقع ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع؛ وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى فاشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة؛ ثم أعود فأقع ساجدا فيدعنى ما شاء الله ان يدعنى ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع؛ وسل تعط؛ واشفع تشفع. فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ؛ قال فلا أدرى فى الثالثة أوفى الرابعة قال فأقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود »(وذكر ابن خزيمة) عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال: « يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله ان يلقوه من الحبس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا. فذكر الحديث،

الى أن قال فينطلقون الى محمد صلى الله عليه وسلم فأقول أنا لها فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لى فأدخل وربى على عرشه فأخر ساجدا» (وذكر الحديث) وقال أبو عوانة وابن أبى عروبة وهمام وغيرهم عن أنس فى هذا الحديث فأستأذن على ربى فاذا رأيته وقعت ساجداً وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فآتى ربى وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجداً وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه فأستفتح فاذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجدا ورؤية النبى ﷺ لربه فى هذا المقام ثابتة عنه ثبوتا يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة وفى حديث أبى هريرة أنا أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة ولا فخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر: « وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لى فيستقبلنى وجه الجبار جل جلاله فأخر له ساجداً» (وقال الدار قطنى) حدثنا محمد بن ابراهيم النسائى العدل بمصر حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القاضى حدثنا أبو بكر ابراهيم بن محمد حدثنا الخليل عن عمر الاشج عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه الله عز وجل (حدثنا) أبو صالح عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الاصبهانى ومحمد بن جعفر بن أحمد الطبرى ومحمد بن على بن اسماعيل الايلى قالوا حدثنا عبد الله بن روح المدائنى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا ورقاء واسرائيل وشعبة وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا حدثنا ليث بن عثمان بن أبى حميد عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أتانى جبريل وفى كفه كالمرآة البيضاء يحملها، فيها كالنكتة السوداء فقلت ماهذه التى فى يدك ياجبريل. فقال هذه الجمعة، قلت وما الجمعة ؛ قال لكم فيها خير كثير ؛ قلت وما يكون لنا فيها؟ قال يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعا لك، قلت وما لنا فيها؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيأ هو له قسم، إلا أعطاه اياه، أو ليس له بقسم إلا ذخر له فى آخرته ماهو أعظم منه قلت ماهذه النكتة التى هى فيها؟ قال هى الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد قلت وماذاك ياجبريل؟ قال إن ربك اتخذ فى الجنة واديا فيه كثبان من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسى بكراسى من نور فيجىء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسى ويحف

الكراسى بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر ثم يجىء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى، فسلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم فى ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف الى غرفهم وهى لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها فليسوا إلى شىء بأحوج منهم الى يوم الجمعة ليزدادوا نظرا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة » هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول (وجمل به الشافعى مسنده) فرواه عن ابراهيم بن محمد قال حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الازهر عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكر بنحوه وقد تقدم لفظه ثم قال الشافعى أنبأنا ابراهيم قال حدثنى أبو عمران ابراهيم ابن الجعد عن أنس شبيها به وزاد فيه أشياء (ورواه محمد بن اسحاق) قال حدثنى ليث بن أبى سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه « ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم » وذكر باقى الحديث * ورواه عمرو ابن أبى قيس عن أبى ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبى اليقظان عن أنس وجوده وفيه « فاذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسى بمنابر من نور فيجىء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجىء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب قال ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون اليه فيقول أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى سلونى فيسألونه الرضى، قال رضاى أمر لكم دارى، وأنالكم كرامتى سلونى، فيسألونه الرضى قال فيشهدهم بالرضاء ثم يسألونه حتى تنتهى رغبتهم » وذكر الحديث. ورواه على بن حرب حدثنا اسحاق ابن سليمان حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن اخت سفيان الثورى عن ليث بن أبى سليم عن عثمان وقال فيه ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ورواه الدارقطنى من طريق آخر من حديث قتادة عن

أنس قال سمعته يقول « بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أتانى جبريل فى يده كالمرآة البيضاء فى وسطها كالنكتة السوداء قلت يا جبريل ماهذا؟ قال هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيداً ولامتك من بعدك؛ قال قلت ياجبريل ماهذه النكتة السوداء؟ قال هى الساعة وهى تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه فى الجنة يوم المزيد قال قلت يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال ان الله اتخذ فى الجنة واديا أفيح(١) من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادى وقد حف الكرسى بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكراسى من نور ثم يؤذن لاهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادى فاذا اطمأنوا فيه جلوساً بعث الله عليهم ريحاً يقال لها المثيرة فأثارت ينابيع المسك الابيض فى وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل؛ فينادى رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة فيقول يا رضوان ارفع الحجب بينى وبين عبادى وزوارى فاذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته ارفعوا رؤسكم فانما كانت العبادة فى الدنيا وأنتم اليوم فى دار الجزاء سلونى ما شئتم فانا ربكم الذى صدقتكم وعدى؛ وأتممت عليكم نعمتى؛ فهذا محل كرامتى فسلونى ماشئتم؛ فيقولون ربنا وأى خير لم تفعله بنا؛ ألست أعنتنا على سكرات الموت؛ وآنست منا الوحشة فى ظلمات القبور وآمنت روعتنا عند النفخة فى الصور؟ ألست أقلت عثراتنا؛ وسترت علينا القبيح من فعلنا؛ وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألست الذى أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك وتجليت لنا بنورك فى خير لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عز وجل فيناديهم بصوته فيقول أنا ربكم الذى صدقتكم وعدى؛ وأتممت عليكم نعمتى فسلونى؛ فيقولون نسألك رضاك فيقول برضائى عنكم أقلتكم عثراتكم؛ وسترت عليكم القبيح من أموركم؛ وأدنيت منى جواركم. وأسمعتكم لذاذة منطقى وتجليت لكم بنورى؛ فهذا محل كرامتى فسلونى؛ فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ثم يقول عز وجل سلونى فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم ثم يقول عز وجل

---

(١) أفيح واسع

سلوني فيقولون رضينا ربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة ؛ قال أنس فقلت بأبي وأمي يارسول الله وما مقدار تفرقهم؟ قال كقدر الجمعة الى الجمعة قال ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته ؛ قال أنس سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيني وبينه أحد » (ورواه الدارقطني) أيضا عن أبي بكر النيسابوري قال أخبرني أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال أخبرني محمد بن شعيب قال أخبرني عمر مولى عفرة عن أنس ورواه محمد بن خالد بن جني حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبي عثمان عن أنس ورواه امام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن ليث عن عثمان بن أبي حميد عن أنس ورواه عن الاسود بن عامر قال ذكر لي عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس ورواه ابن بطة في الابانة من حديث الاعمش عن أبي وائل عن حذيفة وسيأتي سياقه وقد جمع ابن أبي داود طرقه

(فصل)

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال امام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان »

(فصل)

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الامام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن أبي رزين قال : « قلنا يارسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال نعم ، قلت وما آية ذلك في خلقه؟ قال أليس كلكم ينظر الى القمر ليلة البدر؟ قلنا نعم ، قال الله أكبر وأعظم » قال عبد الله قال أبي والصواب حدس (وقال أبو داود سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن

اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة به فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه اسناد آخر قد تقدم ذكره فى حديثه الطويل وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة هكذا قال البخارى وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل هما اثنان ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة والصحيح الأول وقال ابن عبدالبر من قال لقيط بن صبرة نسبه الي جده وهو لقيط بن عامر ابن صبرة

(فصل)

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الامام أحمد حدثنا روح بن جريج قال اخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال: «نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس فتدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد الاول فالاول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر اليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل انسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون الفا لايحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم فى السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء فى السيل ، ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها» رواه مسلم فى صحيحه وهذا الذى وقع فى الحديث من قوله على كذا وكذا قد جاء منسراً فى رواية صحيحة ذكرها عبد الحق فى الجمع بين الصحيحين «نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق» وقال عبد الرزاق أنبأنا رباح بن زيد قال حدثنى ابن جريج قال أخبرنى زياد بن سعد ان أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتجلى لهم الرب تبارك وتعالي ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا بيوم عبادة» (وقال الدار قطنى) أنبأنا أحمد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن

محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيل الصنعانى قال حدثنى ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا» ورواه أبو قرة عن مالك بن انس عن زياد بن سعد حدثنا أبو الزبير عن جابر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم فذكر الحديث وفيه فيقول أتعرفون الله عز وجل أن رأيتموه؟ فيقولون نعم، فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون نعلم انه لا عدل له، قال فيتجلى لهم تبارك وتعالى فيخرون له سجداً» (وقال ابن ماجه فى سننه) حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العباداني عن فضل بن عيسى الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة وهو قول الله عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره» (وقال حرب فى مسائله) حدثنا يحيى ابن أبى حزم حدثنا يحيى بن محمد أبو عاصم العبادانى فذكره وعند البيهقى فى هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العبادانى عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينا أهل الجنة فى مجلس لهم اذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف فقال تعالى ياأهل الجنة سلونى قالوا نسألك الرضى عنا قال رضائى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى، هذا أوانها فسلونى، قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاؤا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله باشجار عليها الثمار فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحاً يقال لها المثيرة حتى تنتهى بهم إلى جنة عدن وهى قصبة الجنة، فتقول الملائكة ياربنا قد جاء القوم فيقول مرحبا بالصادقين ومرحباً بالطائعين، قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تبارك

وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لايبصر بعضهم بعضا، ثم يقول ارجعوهم إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى (نزلا من غفور رحيم)» رواه فى كتاب البعث والنشور وفى كتاب الرؤية قال وقد مضى فى هذا الكتاب وفى كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر وقال الدارقطنى أنبأنا الحسن بن اسماعيل أنبأنا أبو الحسن على بن عبدة حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ان الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة»

(فصل)

وأما حديث أبى أمامة فقال ابن وهب أخبرنى يونس بن يزيد عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عمرو بن عبد الله الحضرمى عن أبى أمامة قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرناه منه، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ ان الله عز وجل لم يبعث نبياً الا حذره أمته وانى آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لامحالة فان يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وان يخرج فيكم بعدى فكل امرىء حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث شمالا، ياعباد الله اثبتوا وانه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدى، ثم يثنى فيقول أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف وانه يسلط على نفس من بنى آدم فيقتلها ثم يحييها وانه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها وان من فتنته ان معه جنة وناراً فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله تكن برداً وسلاما كما كانت النار بردا وسلاما على ابراهيم وان أيامه أربعون يوما يوما كسنة ويوما كشهر ويوما كجمعة ويوما كالايام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسى قبل ان يبلغ بابها الآخر، قالوا فكيف نصلى يا رسول الله فى تلك الأيام؟ قال تقدرون كما تقدرون فى الأيام الطوال» ورواه الدارقطنى عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرج عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبى عمرويه

﴿فصل﴾

وأما حديث زيد بن ثابت فقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة قال حدثنى أبو بكر قال حدثنى ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك لبيك وسعديك والخير فى يديك ومنك واليك اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك انك على كل شىء قدير اللهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يعتدى على أو اكسب خطيئة محبطة أو ذنبا لا تغفره اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام فانى أعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا انى أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لاشريك لك . لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شىء قدير وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد ان وعدك حق وان لقاءك حق والجنة حق والساعة آتية لاريب فيها وأنت تبعث من فى القبور وأشهد أنك ان تكلنى الى نفسى تكلنى الى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وانى لا أثق الا برحمتك فاغفرلى ذنبى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وتب على انك انت التواب الرحيم » رواه أبو داود فى صحيحه

﴿فصل﴾

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الامام أحمد حدثنا اسحاق الازرق عن شريك عن أبى هاشم عن أبى مجاز : «قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى قال أما انى قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ماعلمت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا علمت الوفاة خيرا لى وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة

مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين» وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما

— فصل —

(وأما حديث عائشة) ففي صحيح الحاكم من حديث الزهري عن عروة عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لجابر ياجابر ألا أبشرك؟ قال بلى بشرك الله بخير قال شعرت ان الله أحيا أباك فقعده بين يديه فقال تمنّ عليّ عبدي ماشئت أعطكه قال يارب ماعبدتك حق عبادتك أتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى. قال إنه قد سلف مني أنك اليها لا ترجع» وهو في المسند من حديث جابر وفي مسنده أدخله وللترمذي فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال: «لما قتل عبدالله بن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجابر ألا أخبرك ماقال الله عز وجل لأبيك؟ قال بلى قال ماكلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا فقال ياعبدي تمن عليّ أعطك . قال يارب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون قال يارب فأبلغ من ورائي فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قلت واسناده صحيح ورواه الحاكم في صحيحه

﴿ فصل ﴾

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن اسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة وقال الطبراني حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو معاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر الى أزواجه وسرره وخدمه وان أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين» (قال الترمذي) وروى هذا الحديث من غير وجه عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعا وروى الأشجعي عبيد الله عن سفيان الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قال وروه الحسن بن عرفة عن شبابة

عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً وزاد فيه «ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كريز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى» ورواه الدارقطنى عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقى عن ابراهيم بن خرزاذ عنه (وقال الدارقطنى) حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة؟ قالوا بلى يارسول الله، فذكر الحديث إلى أن قال حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا ان لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول يا أهل الجنة هللونى وكبرونى وسبحونى بما كنتم تهللونى وتكبرونى وتسبحونى فى دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود ياداود قم فمجدنى فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل» (وقال عثمان) بن سعيد الدارمى فى رده على بشر المريسى حدثنا أحمد بن يونس عن أبى شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم: «ان أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا ان لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن»

(فصل)

وأما حديث عمارة بن رويبة فقال ابن بطة فى الابانة حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصى حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائى حدثنا أبو اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن اسماعيل بن أبى خالد عن أبى بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: «نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون فى رؤيته، فأن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا» قال ابن بطة وأخبرنى أبو القاسم بن عمر بن أحمد عن ابى بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرازق بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا المسعودى عن إسماعيل بن

أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته، فان استطعتم ان لاتغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا»

(فصل)

وأما حديث سلمان الفارسي فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: «يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون يانبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال من هذا؟ فيقال محمد قال فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له» الحديث

(فصل)

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى ابن كثير العنبري حدثني أبي عن ابراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان وقال البزار حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيد العصفري قالا حدثنا يحيى بن كثير حدثنا ابراهيم ابن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الاعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فاذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء قال قلت ياجبريل ما هذه؟ قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها قال قلت وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال هذه الجمعة قال قلت وما الجمعة؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة (أما شرفه وفضله في الدنيا فان الله تعالى جمع فيه أمر الخلق وأما مايرجى فيه فان فيه ساعة لايوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيراً الا أعطاهما اياه (وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فان الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولانهار الا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته فاذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد يا أهل الجنة اخرجوا إلى

دار المزيد لايعلم سعته وعرضه وطوله الا الله عز وجل فى كثبان من المسك قال فيخرج غلمان الانبياء بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسى من ياقوت قال فاذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحا تدعى المثيرة تثير عليهم آثار المسك الابيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه فى وجوههم وأشعارهم فتلك الريح اعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة احدكم لودفع اليها ذلك الطيب باذن الله تعالى قال ثم يوحى الله سبحانه الى حملة العرش فيوضع بين ظهرانى الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول مايسمعون منه أن يقول أين عبادى الذين أطاعونى فى الغيب ولم يرونى وصدقوا رسلى واتبعوا أمرى فسلونى فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كلمة واحدة ربنا رضينا عنك فارض عنا قال فيرجع الله تعالى فى قولهم ان ياأهل الجنة انى لو لم أرض عنكم لما اسكنتكم جنتى فسلونى فهذا يوم المزيد قال فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا قال فيرجع الله عز وجل فى قولهم ان ياأهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتى فهذا يوم المزيد فسلونى قال فيجتمعون على كلمة واحدة رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر اليه قال فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شىء لولا انه قضى عليهم ان لايحترقوا الاحترقوا مما غشيهم من نوره قال ثم يقال ارجعوا الى منازلكم قال فيرجعون الى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره فاذا صاروا الى منازلهم يزاد النور وأمكن ويزاد وأمكن حتى يرجعوا الى صورهم التى كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها قال فيقولون ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه الى ما خفينا به عليكم قال فلهم فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال وذلك قوله عز وجل (فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (وقال عبد الرحمن ابن مهدى) حدثنا اسرائيل عن أبى اسحاق عن مسلم بن يزيد السعدى عن حذيفة فى قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر الى وجه الله عز وجل قال الحاكم وتفسير الصحابى عندنا فى حكم المرفوع

فصل

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن أبى نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «مامن نبى الا وله دعوة تعجلها فى الدنيا وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة فآتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فاقرع الباب فيقال من أنت؟ فأقول أنا محمد فآتى ربى وهو على كرسيه أو على سريره فيتجلى لى ربى فأخر له ساجداً» ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال عن أبى سعيد بدل ابن عباس وقال ابو بكر بن أبى داود حدثنا عمى محمد بن الاشعث حدثنا ابن جبير قال حدثنى أبى جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ان أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى فى كل يوم جمعة فى رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا اسرعهم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوا»

(فصل)

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الصنعانى حدثنا صدقة بن عمرو العقدى قال قرأت على محمد بن اسحاق حدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال: «خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا فان منهم لملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فاذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا سبحانك ماعبدناك حق عبادتك»

(فصل)

وأما حديث أبى بن كعب فقال الدارقطنى حدثنا عبد الصمد بن على حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال حدثنى قحطبة بن علاقة حدثنا أبو جلدة عن أبى العالية عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه الله عز وجل (وأما حديث كعب ابن عجرة) فقال محمد بن حميد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن كعب بن عجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى

(فصل)

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال عثمان بن سعيد الدارمى حدثنا محمد بن المهاجر عن أبى حليس عن أبى الدرداء أن فضالة يعنى ابن عبيد كان يقول

:«اللهم انى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت. ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك؛ فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»

فصل

وأما حديث عبادة بن الصامت ففى مسند أحمد من حديث بقية حدثنا يحيى ابن سعيد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الاسود عن جنادة بن أبى أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لاتعقلوا أن مسيح الدجال رجل قصير أفحج(١) جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء(٢) فان التبس عليكم فاعلموا ان ربكم ليس بأعور وانكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» (وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ) فقال الصنعانى حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه «يابني أوصيك أن لاتصلى صلاة إلا ظننت أنك لاتصلى بعدها غيرها حتى تموت؛ وتعال يابنى نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة؛ ولقد سمعت فلانا ـ نسى عباد اسمه ـ مابينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته مامنهم ملك تقطر دمعته من عينه الا وقعت ملكا يسبح الله تعالى؛ قال وملائكة سجود منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا اليه؛ قالوا سبحانك ماعبدناك كما ينبغى لك أن نعبدك»

فصل

وهاك بعض ماقاله بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وائمة الاسلام بعدهم

(قول) أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال أبو اسحاق عن عامر بن سعد

---

(١) أفحج متباعد مابين الفخذين (٢) جحراء أي غائرة متحجرة.

قرأ أبو بكر الصديق (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فقالوا ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال النظر الى وجه الله تبارك وتعالى (قول) على بن أبي طالب رضى الله عنه قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا على بن ميسرة الهمدانى حدثنا صالح ابن أبي خالد العنبرى عن أبى الاحوص عن أبى اسحاق الهمدانى عن عمارة ابن عبيد قال سمعت علياً يقول: «من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى فى جنته» (قول) حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال حدثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة قال الزيادة النظر الى وجه الله تبارك وتعالى (قول) عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول فى هذا المسجد مسجد الكوفة يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال: «والله ما منكم من انسان الا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول ماغرك بى يابن آدم ثلاث مرات، ماذا أجبت المرسلين ثلاثا؟ كيف عملت فيما علمت» وقال ابن أبي داود حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا ابراهيم بن الحكم حدثنا أبى عن عكرمة قال قيل لابن عباس كل من دخل الجنة يرى الله عز وجل؟ قال نعم، وقال اسباط بن نصر عن اسماعيل السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود لزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل؟ (قول معاذ بن جبل) قال عبد الرحمن بن أبى حاتم أنبأنا اسحاق بن أحمد الخراز حدثنا اسحاق بن سليمان الرازى عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبى حمزة قال: «كنت جالساً عند أبى وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يقول يحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى أين المتقون فيقومون فى كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قلت من المتقون؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان وأخلصوا لله فى العبادة فيمرون إلى الجنة» (قول أبى هريرة رضى الله عنه) قال ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن أبى النضر ان أبا هريرة كان يقول لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت (قول عبد الله بن عمر) قال حسين الجعفى عن عبد الملك بن ابجر عن ثوير عن ابن عمر قال: «ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أدناه كما يرى أقصاه وان أفضلهم منزلة لمن ينظر الي وجه

الله فى كل يوم مرتين» (قول فضالة بن عبيد) ذكر الدارمى عن محمد بن مهاجر عن أبى حليس عن أبى الدرداء ان فضالة بن عبيد كان يقول: «أللهم انى أسألك الرضا بعد القضا، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك» وقد تقدم: (قول أبى موسى الاشعرى) قل وكيع عن أبى بكر الهذلى عن أبى تميمة عن أبى موسى قال الزيادة النظر إلى وجه الله، وروى يزيد بن هارون وابن أبى عدى وابن علية عن التيمى عن أسلم العجلى عن أبى مزانة عن أبى موسى الأشعرى انه كان يحدث الناس فشخصوا بابصارهم فقال ماصرف أبصاركم عنى؟ قالوا الهلال قال فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة (قول أنس بن مالك) قال ابن أبى شيبة حدثنا يحيى بن يمان حدثنا شريك عن أبى اليقظان عن أنس بن مالك فى قوله عز وجل «ولدينا مزيد» قل يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة (قول جابر بن عبد الله) قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبى خالد عن الحسن عن جابر قال: اذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لاتبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار فاذا تجلى لهم خروا له سجداً فيقول يا أهل الجنة ارفعوا رؤسكم فقد رضيت عنكم لاسخط بعده، (قال الطبرى) فتحصل فى الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا منهم على وأبو هريرة وأبو سعيد وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبى بن كعب، وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدى بن حاتم وأبو رزين العقيلى وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (وقال الدار قطنى) أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر ابن محمد الازهر حدثنا مفضل بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندى سبعة عشر حديثاً فى الرؤية كلها صحاح (وقال البيهقى) روينا فى اثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبى موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم فى ذلك الينا كما أنهم لما اختلفوا فى رؤية الله بالأبصار فى الدنيا نقل اختلافهم فى ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالابصار فى الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم فى ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف فى الدنيا علمنا انهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فى الآخرة متفقين ومجتمعين

(فصل)

وأما التابعون ونزل الاسلام وعصابة الايمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف فأقوالهم اكثر من أن يحيط بها الا الله عز وجل قال سعيد بن المسيب الزيادة النظر الى وجه الله رواه مالك عن يحيي عنه وقال الحسن الزيادة النظر الى وجه الله رواه ابن أبي حاتم عنه وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى الزيادة النظر الى وجه الله تعالى رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقاله عامر بن سعد البجلى ذكره سفيان عن أبى اسحاق عنه وقاله عبد الرحمن ابن سابط رواه جرير بن ليث عنه وقاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدى والضحاك وكعب وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه فان بتقوى الله نجا أولياء الله من سخطه وبها رافقوا أنبياءه وبها نضرت وجوههم ونظروا الى خالقهم؛ وهى عصمة فى الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة. وقال الحسن لو علم العابدون فى الدنيا انهم لا يرون ربهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدنيا وقال الاعمش وسعيد بن جبير إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر الى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية؛ وقال كعب ما نظر الله سبحانه الى الجنة قط الا قال طيبي لأهلك فزادت ضعفا على ما كانت حتى يأتيها اهلها وما من يوم كان لهم عيد فى الدنيا الا ويخرجون فى مقداره فى رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون اليه وتسفى عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيأ الا اعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفا؛ ثم يرجعون الي ازواجهم وقد ازددن مثل ذلك. وقال هشام بن حسان إن الله سبحانه وتعالي يتجلى لاهل الجنة فاذا رآه اهل الجنة نسوا نعيم الجنة وقال طاووس اصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا اهل السنة وقال شريك عن أبى اسحاق السبيعى الزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى انه تلى هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال اذا دخل أهل الجنة الجنة اعطوا فيها ما سألوا وما شاؤا فيقول الله عز وجل لهم انه قد بقى من حقكم شىء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما اعطوه عند ذلك بشىء فالحسنى الجنة

والزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى؛ وقال علي بن المديني سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) قال عبد الله من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملا صالحا ولا يخبر به أحداً؛ وقال نعيم بن حماد سمعت ابن المبارك يقول ما حجب الله عز وجل أحدا عنه الا عذبه ثم قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون؛ ثم انهم لصالوا الجحيم؛ ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) قال بالرؤية ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب عن اسحاق عن نعيم؛ وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له يا أبا عبد الله ان عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث «ان الله ينزل إلى سماء الدنيا» و«ان أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال: اما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوا؛ وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوما فنزل الينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال حدثنا سفيان ابن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي هؤلاء ابناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم ان الله تعالى لا يرى — يعني بشر المريسي

﴿فصل﴾

في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم ومنهاجهم (ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس) قال أحمد بن صالح المصري حدثنا عبد الله بن وهب قال قال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم؟ وقال الحارث بن مسكين حدثنا أشهب قال سئل مالك عن قوله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) أتنظر إلى الله عز وجل؟ قال نعم؛ فقلت ان أقواماً يقولون تنظر ما عنده، قال بل تنظر اليه نظرا وقد قال موسى يارب أرني أنظر إليك، قال لن تراني وقال الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك إنهم يزعمون ان الله لا يرى؛ فقال مالك السيف السيف (ذكر قول ابن الماجشون) قال أبو حاتم الرازي

قال أبو صالح كاتب الليث أملى على عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال لم يزل يملى لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقالوا لايراه أحد يوم القيامة فجحدوا، والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته اياهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والارض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لايرونه كما زعموا انه لايرى ولايكلمهم ولاينظر اليهم ولهم عذاب أليم (ذكر قول الاوزاعى) ذكر ابن أبى حاتم عنه قال انى لارجو ان يحجب الله عز وجل جهما وأصحابه عن أفضل ثوابه الذى وعده الله أولياءه حين يقول «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعده الله أولياءه (ذكر قول الليث بن سعد) قال ابن أبى حاتم حدثنا اسماعيل بن أبى الحارث حدثنا الهيثم بن خارجة قال سمعت الوليد ابن مسلم يقول سألت الاوزاعى وسفيان الثورى ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية فقالوا تمر بلا كيف (قول سفيان بن عيينة) ذكر الطبرى وغيره عنه انه قال من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن الله يرى فى الجنة فهو جهمى ؛ وذكر عنه ابن أبى حاتم انه قال يصلى خلف الجهمى والجهمى الذى يقول لايرى ربه يوم القيامة (قول جرير بن عبد الحميد) ذكر ابن أبى حاتم عنه انه ذكر حديث ابن سابط فى الزيادة أنها النظر الى وجه الله فأنكره رجل فصاح به وأخرجه من مجلسه (قول عبد الله بن المبارك) ذكر عبد الرحمن بن أبى حاتم عنه ان رجلا من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن (خدارا بآن جهان جون بيبند) ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة ؟ فقال بالعين، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا يعقوب بن اسحق قال سمعت نعيم بن حماد يقول سمعت بن المبارك يقول ماحجب الله عنه أحداً الا عذبه ثم قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم، ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) قال ابن المبارك بالرؤية (قول وكيع بن الجراح) ذكر ابن أبى حاتم عنه انه قال يراه تبارك وتعالى المؤمنون فى الجنة ولا يراه الا المؤمنون (قول قتيبة بن سعيد) ذكر ابن أبى حاتم عنه قال قول الائمة المأخوذ به فى الاسلام والسنة الايمان بالرؤية والتصديق بالاحاديث التى جاءت عن رسو

صلى الله عليه وسلم فى الرؤية (قول أبى عبيد القاسم بن سلام) ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الاحاديث التى فى الرؤية فقال هى عندنا حق رواها الثقات عن الثقات الى أن صارت الينا الا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا لانفسر منها شيأ ولكن نمضيها كما جاءت (قول أسود بن سالم شيخ الامام أحمد) قال المروزى حدثنا عبد الوهاب الوراق قال سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال احلف عليها بالطلاق وبالمشى انها حق (قول محمد ابن ادريس الشافعى) قد تقدم رواية الربيع عنه انه قال فى قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لما حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضا قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وتقول به؟ قال نعم وبه أدين الله، ولو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى الله عزوجل لما عبده، وقال ابن بطة حدثنا ابن الانبارى حدثنا أبو القاسم الانماطى صاحب المزنى قال قال الشافعى رحمه الله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) دلالة على ان أولياء الله يرونه يوم القيامة بابصارهم ووجوههم (قول امام السنة أحمد بن حنبل) قال اسحاق ابن منصور قلت لأحمد أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد صحيح. قال ابن منصور وقال اسحق بن راهويه صحيح ولا يدعه الا كل مبتدع أو ضعيف الرأى (وقال الفضل بن زياد) سمعت أبا عبد الله وقيل له تقول بالرؤية؟ فقال من لم يقل بالرؤية فهو جهمى، قال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال ان الله لايرى فى الآخرة فغضب غضبا شديداً ثم قال من قال ان الله لايرى فى الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس أليس يقول الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال أبو داود سمعت أحمد وذكر له عن رجل شىء فى الرؤية فغضب وقال من قال ان الله لايرى فهو كافر، وقال أبو داود وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له فى رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبى العطوف ان الله لايرى فى الآخرة فقال لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال أخزى الله هذا، وقال أبو بكر المروزى، قيل لأبى عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبى العطوف عن أبى الزبير عن جابر ان استقر الجبل فسوف ترانى وان لم يستقر فلا ترانى فى الدنيا ولا

فى الآخرة فغضب أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبين فى وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال أخزى الله هذا لاينبغى أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا جهمى كافر خالف ماقال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أخزى الله هذا الخبيث، قال أبو عبد الله ومن زعم أن الله لايرى فى الآخرة فقد كفر، وقال أبو طالب قال أبو عبد الله قول الله عز وجل (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) (وجاء ربك والملك صفاً صفا) فمن قال ان الله لايرى فقد كفر، وقال اسحق بن ابراهيم ابن هانىء سمعت أبا عبد الله يقول من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى والجهمى كافر ؛ وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان قيل لأبى عبد الله أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال نعم ينظر اليهم وينظرون اليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤا اذا شاؤا، وقال حنبل بن اسحق سمعت أبا عبد الله يقول القوم يرجعون الى التعطيل فى أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتم على هذا حتى سمعت مقالاتهم قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول من زعم أن الله لايرى فى الآخرة فهو جهمى فقد كفر، ورد على الله وعلى الرسول، ومن زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا فقد كفر ورد على الله قوله، قال أبو عبد الله فنحن نؤمن بهذه الاحاديث ونقرها ونمرها كما جاءت، وقال الاثرم سمعت أبا عبد الله يقول فأما من يقول ان الله لايرى فى الآخرة فهو جهمى ؛ قال أبو عبدالله وانما تكلم من تكلم فى رؤية الدنيا وقال ابراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول : « الرؤية من كذب بها فهو زنديق » وقال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول : أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الاحاديث شيأ ـ أحاديث الرؤية ـ وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين، وقال أبو عبد الله قال الله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا » وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه فى الآخرة وقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولا يكون حجاب الا لرؤية أخبر الله سبحانه وتعالى ان من

شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه؛ قال حنبل وسمعت أبا عبدالله يقول
قال الله تعالى: « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » والاحاديث التى تروى
فى النظر إلى الله تعالى حديث جابر بن عبد الله وغيره « وتنظرون إلى ربكم »
أحاديث صحاح وقال: « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » النظر الى وجه الله
تعالى قال أبو عبد الله نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن
الله يرى؛ نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب؛ قال وسمعت أبا عبدالله
يقول: من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد
على الله أمره يستتاب فان تاب وإلا قتل؛ قال حنبل قلت لأبى عبدالله فى أحاديث
الرؤية فقال هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكلما روى عن النبى صلى الله عليه
وسلم اسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله اذا لم نقر بما جاء عن النبى صلى
الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (قول اسحاق بن راهويه) ذكر الحاكم وشيخ
الاسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال يا أبا يعقوب
هذه الاحاديث التى يروونها فى النزول والرؤية ماهن؟ فقال رواها من روى
الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فان يكونوا فى هذه عدولا
والا فقد ارتفعت الاحكام وبطل الشرع فقال شفاك الله كما شفيتنى أو كما قال
(قول جميع أهل الايمان) قال امام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة فى كتابه ان
المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ومن أنكر ذلك فليس
بمؤمن عند المؤمنين (قول المزنى) ذكر الطبرى فى السنة عن ابراهيم عن أبى
داود المصرى قال كنا عند نعيم بن حماد جلوسا فقال نعيم للمزنى ماتقول فى
القرآن؟ فقال أقول انه كلام الله؛ فقال غير مخلوق؟ فقال غير مخلوق؛ قال وتقول ان الله
يرى يوم القيامة؟ قال نعم فلما افترق الناس قام اليه المزنى فقال يا أبا عبدالله شهرتنى على
رؤوس الناس؛ فقال ان الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك (قول جميع
أهل اللغة) قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب
اللغة يقول سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا يقول فى قوله تعالى (وكان
بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام) أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا
لا يكون الا معاينة ونظرا بالابصار وحسبك بهذا الاسناد صحة؛ واللقاء ثابت
بنص القرآن كما تقدم وبالتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم وكل أحاديث اللقاء

صحيحة كحديث أنس فى قصة حديث بئر معونة «إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا» وحديث عبادة وعائشة وأبى هريرة وابن مسعود «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وحديث أنس «إنكم ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله» وحديث أبي ذر «لو لقيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لقيتك بقرابها مغفرة» وحديث أبى موسى من لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة» وغير ذلك من أحاديث اللقاء التى اطردت كلها بلفظ واحد

(فصل)

(فى وعيد منكرى الرؤية)

قد تقدم قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقول عبد الله ابن المبارك ماحجب الله عنه أحداً الاعذبه ثم قرأ قوله تعالى (ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) قال بالرؤية وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال: «قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا لا، قال هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا لا، قال فوالذى نفس محمد بيده لاتضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما فيلقى العبد فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى، فيقول أفظننت انك ملاقى؟ فيقول لا، فيقول فانى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثانى فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى أى ربى، فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا، فيقول انى أنساك كما نسيتنى، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير ما استطاع فيقول ههنا إذا، ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر فى نفسه من الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه» فاجمع بين قوله فانكم سترون ربكم وقوله لمن ظن انه غير ملاقيه فانى أنساك كما نسيتنى واجماع أهل اللغة على ان اللقاء المعاينة بالابصار يحصل لك العلم بان منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد

(ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث) باب فى الوعيد لمنكرى الرؤية كما فعل شيخ الاسلام وغيره وبالله التوفيق

(فصل)

قد دل القرآن والسنة المتواترة واجماع الصحابة وأئمة الاسلام وأهل الحديث عصابة الاسلام ونزل الايمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس فى الظهيرة فان كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة وان له والله حق الحقيقة فلا يمكن ان يروه الا من فوقهم لاستحالة ان يروه من اسفل منهم أو خلفهم أو امامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم وان لم يكن لما اخبر به حقيقة كما يقوله افراخ الصابئة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن فان الذى جاء بهذه الاحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشريعة والذى بلغها هو الذى بلغ الدين فلا يجوز ان يجعل كلام الله ورسوله عضين بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع فى قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الاحاديث وفهم معناها انكارها والشهادة بان محمدا رسول الله ابدا. والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، والمنحرفون فى باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان (أحدهما) من يزعم انه يرى فى الدنيا ويحاضر ويسامر و(الثانى) من يزعم انه لا يرى فى الآخرة البتة ولا يكلم عباده وما اخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين وبالله التوفيق

الباب السادس والستون

﴿فى تكليمه سبحانه وتعالى لاهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته اياهم وسلامه عليهم﴾

قال تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم) وقال فى حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا فى ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن فى تخصيص اعدائه بانه لا يكلمهم فائدة أصلا اذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل ان يقال يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون وقد أخبر الله

سبحانه انه يسلم على أهل الجنة وان ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم وتقدم تفسير النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الآية فى حديث جابر فى الرؤية وانه يشرف عليهم من فوقهم ويقول سلام عليكم ياأهل الجنة فيرونه عيانا وفى هذا اثبات الرؤية والتكليم والعلو والمعطلة تنكر هذه الامور الثلاثة وتكفر القائل بها وتقدم حديث أبى هريرة فى سوق الجنة وقول النبى صلى الله عليه وسلم «ولا يبقى احد فى ذلك المجلس الا حاضره الله محاضرة فيقول يافلان أتذكر يوم فعلت كذاوكذا» الحديث وتقدم حديث عدى بن حاتم «مامنكم الا من سيكلمه ربه يوم القيامة» وحديث أبى هريرة فى الرؤية وفيه «يقول الرب تبارك وتعالى للعبد ألم أكرمك واسودك» الحديث وحديث بريدة «مامنكم من احد الا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب» الحديث وحديث أنس فى يوم المزيد ومخاطبته فيه لاهل الجنة مرارا وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد فى اكثرها ذكر التكليم قال البخارى فى صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة احاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم فانكار ذلك انكار لروح الجنة واعلى نعيمها وافضله الذى ماطابت لاهلها الا به والله المستعان

(الباب السابع والستون)

(فى أبدية الجنة وأنها لاتفنى ولا تبيد)

هذا مما يعلم بالاضطرار ان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر به قال تعالى: «وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ» أى مقطوع ولا تنافى بين هذا وبين قوله الا ماشاء ربك واختلف السلف فى هذا الاستثناء فقال معمر عن الضحاك هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه انهم خالدون فى الجنة مادامت السموات والارض الا مدة مكثهم فى النار «قلت» وهذا يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون الاخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء (والثانى) وهو الاظهر ان يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص بالمذكورين هو فى الاستثناء ومادل عليه؛ وأحسن من هذين التقديرين ان ترد المشيئة الى الجميع حيث لم يكونوا فى الجنة فى الموقف وعلى هذا فلا يبقى فى الآية تخصيص (وقالت فرقة أخرى) هو استثناء استثناه الرب تعالى

ولا يفعله كما تقول والله لأضربنك الا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه بل تجزم بضربه (وقالت فرقة أخرى) العرب اذا استثنت شيأ كثيرا مع مثله ومع ماهو أكثر منه كان معنى الا فى ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا سوى ماشاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والارض هذا قول الفراء (وسيبويه) يجعل الا بمعنى لكن (قالوا) ونظير ذلك أن تقول لى عليك ألف الا الألفين الذين قبلها أى سوى الالفين قال ابن جرير وهذا أحب الوجهين الى لأن الله تعالى لاخاف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله عطاء غير مجذوذ قالوا ونظيره أن تقول أسكنتك دارى حولا إلا ماشئت أى سوى ماشئت او لكن ماشئت من الزيادة عليه (وقالت فرقة أخرى) هذا الاستثناء انما هو مدة احتباسهم عن الجنة مابين الموت والبعث وهو البرزخ الى أن يصيروا الي الجنة ثم هو خلود الابد فلم يغيبوا عن الجنة الا بمقدار اقامتهم فى البرزخ (وقالت فرقة أخرى) العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئته وهذا كما قال لنبيه (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) وقوله (فان يشأ الله يختم على قلبك) وقوله (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم) ونظائره وأخبر عباده سبحانه ان الامور كلها بمشيئته ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن (وقالت فرقة أخرى) المراد بمدة دوام السموات والارض فى هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السموات والارض الا ماشاء الله أن يزيدهم عليه ولعل هذا قول من قال ان الا بمعنى سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ماشاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم (وقالت فرقة أخرى) ما بمعنى من كقوله (فانكحوا ماطاب لكم من النساء) والمعنى الا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء (والفرق) بين هذا القول وبين أول الأقوال أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من الأعيان (وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وارضها وهما باقيتان أبداً (وقوله) «الا ماشاء ربك» إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون النار ثم يخرجون منها وان كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم فى البرزخ والموقف، قال الجعفي سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء فقال سمعت

فيه أنه قدر وقوفهم فى الموقف يوم القيامة إلى أن يقضى بين الناس (وقالت فرقة أخرى) الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم فى الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم فى الجنة كل وقت الاوقتا يشاء أن لايكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم فى الدنيا وفى البرزخ وفى موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم فى النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها (عطاء غير مجذوذ) محكم وكذلك قوله (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (وماهم منها بمخرجين) وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد فى عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لايذوقون فيها الموت إلاالموتة الأولى وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء فى قوله الاماشاء ربك تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها وبالله التوفيق وقد تقدم قول النبى صلى الله عليه وسلم «من يدخل الجنة ينعم ولايبؤس ويخلد ولايموت» وقوله «ينادى مناد ياأهل الجنة ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا أبداً وان تشبوا فلا تهرموا أبداً وان تحيوا فلا تموتوا أبدا» وثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: «يجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال ياأهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال ياأهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال ياأهل الجنة خلود فلاموت وياأهل النار خلود فلاموت»

فصل

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال (أحدها) ان الجنة والنار فانيتان غير ابديتين بل كما هما حادثتان فهما فانيتان (والقول الثانى) انهما باقيتان دائمتان لايفنيان أبدا (والقول الثالث) أن الجنة باقية أبدية والنارفانية ونحن نذكر هذه الأقوال ومقابلها وما احتج به أرباب كل قول ونرد ماخالف كتاب الله وسنة رسوله فأماالقول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد

من أئمة الاسلام ولاقال به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنكره عليه وعلى اتباعه أئمة الاسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الارض كما ذكره عبد الله بن الامام أحمد فى كتاب السنة عن خارجة بن مصعب انه قال كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل بقول الله سبحانه وتعالى «أكلها دائم وظلها» وهم يقولون لايدوم، وبقول الله تعالى «ان هذا لرزقنا ماله من نفاد» وهم يقولون ينفد، وبقول الله عز وجل «ماعندكم ينفد وما عند الله باق» (قال شيخ الاسلام) وهذا قاله جهم لاصله الذى اعتقده وهو امتناع وجود مالا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التى استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث مالم يخل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم فى حدوث العالم فرأى الجهم أن مايمنع من حوادث لاأول لها فى الماضى يمنع فى المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى فى المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه فى الماضى وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الاصل لكن قال ان هذا يقتضى فناء الحركات لكونها متعاقبة شيأ بعد شيء فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا فى سكون دائم لايقدر أحد منهم على حركة (وزعمت فرقة) ممن وافقهم على امتناع حوادث لانهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك، وكأن هؤلاء لم يعلموا انما كان ممتنعا فى العقل لايجيء الشرع بوقوعه اذ يستحيل عليه ان يخبر بوجود ماهو ممتنع فى العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول ومجازاتها فالسمع يجيء بالثانى لابالاول فالسمع يجيء بما يعجز العقل عن ادراكه ولا يستقل به ولا يجيء بما يعلم العقل احالته، والاكثرون الذين وافقوا جهما وأبا الهذيل على هذا الاصل فرقوا بين الماضى والمستقبل، وقالوا الماضى قد دخل فى الوجود بخلاف المستقبل، والممتنع انما هو دخول مالا يتناهى فى الوجود لاتقدير دخوله شيأ بعد شيء قالوا وهذا نظير ان يقول القائل لاأعطيك درهما إلا وأعطيك بعده درهما آخر فهذا ممكن، والاول نظير أن يقول لاأعطيك درهما إلا وأعطيك قبله درهما فهذا محال، وهؤلاء عندهم وجود مالا يتناهى فى الماضى محال ووجوده فى المستقبل واجب، ونازعهم فى ذلك آخرون فقالوا بل الامر فى الماضى كهو فى المستقبل ولافرق بينهما بل الماضى والاستقبال أمر نسبي فكل مايكون مستقبلا

يصير ماضياً وكل ماض فقد كان مستقبلا فلا يعقل امكان الدوام فى أحد الصرفين واحالته فى الطرف الآخر (قلوا) وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل ربا قادرا فعالا فانه لم يزل حيا عليما قديرا ؛ ومن المحال ان يكون الفعل ممتنعا عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكنا لذاته من غير تجدد شيء وليس للازل حد محدود حتى يصير الفعل ممكنا له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعا عليه فهذا القول تصوره كاف فى الجزم بفساده ويكفى فى فساده أن الوقت الذى انقلب فيه الفعل من الاحالة الذاتية الى الامكان الذاتى إما ان يصح ان يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أولا يصح ؛ فأن قلتم لايصح كان هذا تحكما غير معقول وهو من جنس الهوس؛ وان قلتم يصح قيل وكذلك مايفرض قبله لا الى غاية فما من زمن محقق أو مقدر الا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال واحسان ومتعلق حمد الرب تعالى وربوبيته وملكه وهو لم يزل ربا حميداً ملكا قادرا لم تتجدد له هذه الاوصاف كما أنه لم يزل حيا مريدا عليما والحياة والارادة والعلم والقدرة تقتضى آثارها ومتعلقاتها ؛ فكيف يعقل حى قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه ان يفعل شيأ البتة؟! وكيف يجعل هذا أصل أصول الدين ويجعل معيارا على ما أخبر الله به ورسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها؟ فاذا كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به ؛ وأما قول من فرق بان الماضى قد دخل فى الوجود دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه فان الذى يحصره الوجود من الحركات هو المتناهى ثم يعدم فيصير ماضيا كما كان معدوما لما كان مستقبلا فوجوده بين عدمين وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى فالذى صار ماضيا هو بعينه الذى كان مستقبلا فان دل الدليل على امتناع مالا يتناهى شيأ قبل شيء فهو بعينه دال على امتناعه شيأ بعد شيء ، وأما تفريقكم بقولكم المستقبل نظير قوله ما أعطيك درهما الا واعطيك بعده درهما فهذا ممكن والماضى نظير قوله ما أعطيك درهما الا واعطيك قبله درهما؛ فهذا الفرق فيه تلبيس لايخفى وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره ان يقول ما أعطيك درهما الا وقد تقدم منى اعطاء درهم قبله فهذا ممكن الدوام فى الماضى على حد امكانه فى المستقبل ولا فرق فى العقل الصحيح بينهما البتة؛ ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل واتباعهما بين الامرين فرقا قالوا بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم

فى الماضى ؛ وقال أهل الحديث بل هما سواء فى الامكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه وتعالى فعالا لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال . وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذى لا يمكنه الفعل إلا فى وقت معين وليس من يخلق كمن لا يخلق ، ومن يحسن كمن لا يحسن ، ومن يدبر الامر كمن لا يدبر ، وأى كمال فى ان يكون رب العالمين معطلا عن الفعل فى مدة مقدرة أو محققة لا تتناهى يستحيل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه وان ابيتم هذا الاطلاق وقلتم ان المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه فجمعتم بين محالين الحكم باباحة الفعل من غير موجب لاحالته وانقلابه من الاحالة الذاتية إلى الامكان الذاتى من غير تجدد سبب وزعمتم ان هذا هو الاصل الذى تثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامة الابدان فجنيتم على العقل والشرع والرب تعالي لم يزل قادرا على الفعل والكلام بمشيئته ولم يزل فعالا لما يريد ولم يزل ربا محسنا * والمقصود ان القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوه انما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه اصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقا وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفى الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على ان كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول قال تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) وقال تعالى : « ولو أنما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك وذكر ابن أبى حاتم فى تفسيره عن سليمان بن عامر قال : سمعت الربيع بن أنس يقول ان مثل علم العباد كلهم فى علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى ذلك (ولو أنما فى الارض من شجرة أقلام الآية) وقوله (قل لو كان البحر مدادا الآية) يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات الله والشجر كلها اقلام لانكسرت الاقلام وفنى ماء البحر وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شىء لان احدا لا يستطيع ان يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغى بل هو كما اثنى على نفسه ان

ربنا كما يقول وفوق مايقول، ثم ان مثل نعيم الدنيا أوله وآخره فى نعيم الآخر كحبة من خردل فى خلال الارض كلها

﴿ فصل ﴾

وأما ابديه النار ودوامها فقال فيها شيخ الاسلام فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع فى ذلك معروف عن التابعين «قلت» ههنا أقوال سبعة (احدها) ان من دخلها لايخرج منها أبدا بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد باذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة (والثانى) ان أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم وهذا قول امام الاتحادية ابن عربي الطائى (قال فى فصوصه) الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الالهية تطلب الثناء المحمود بلذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) لم يقل وعيده بل قال (ونتجاوز عن سيئاتهم) مع أنه توعد على ذلك، واثنى على اسماعيل بانه كان صادق الوعد وقد زال الامكان فى حق الحق لما فيه من طلب المرجح

فلم يبق الا صادق الوعد وحده ... وما لوعيد الحق عين تعاين
وان دخلوا دار الشقاء فانهم ... على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والامر واحد ... وبينهما عند التجلى تباين
يسمى عذابا من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صاين

وهذا فى طرف والمعتزلة الذين يقولون لايجوز على الله ان يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب فى طرف، فاولئك عندهم لاينجو من النار من دخلها اصلا وهذا عنده لايعذب بها احد اصلا والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار ان الرسول جاء به واخبر به عن الله عز وجل (الثالث) قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى فى القرآن فيه فقال تعالى (وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده، أم تقولون على الله مالا تعلمون، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب

يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون)فهذا القول انما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الاسلام على فساده قال تعالى (وما هم بخارجين من النار) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها)وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) وهذا ابلغ ما يكون فى الاخبار عن استحالة دخولهم الجنة (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى نارا على حالها ليس فيها أحد يعذب حكاه شيخ الاسلام والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم (الخامس) قول من يقول بل تفنى بنفسها لانها حادثة بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده فى ذلك بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبى الهذيل العلاف امام المعتزلة طردا لامتناع حوادث لانهاية لها والجنة والنار عنده سواء فى هذا الحكم (السابع) قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فانه جعل لها أمداً تنتهى اليه ثم تفنى ويزول عذابها قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث فى تفسيره المشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر «لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه» وقال حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن ان عمر بن الخطاب قال: «لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه» ذكر ذلك فى تفسير قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج ابن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد

وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الاسناد جلالة، والحسن وان لم يسمع من عمر فانما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالانكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله واجماع الأئمة لكانوا أول منكر له، قال ولاريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه انما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم انهم يخرجون منها وانهم لايلبثون قدر رمل عالج ولاقريباً منه، ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لايموتون فيها ولا يحيون ولا يناقض هذا قوله تعالى (خالدين فيها) وقوله (وماهم منها بمخرجين) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لايقع خلافه لكن إذ انقضى أجلها وفنيت تفنى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب قال أرباب هذا القول وفى تفسير على بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس فى قوله تعالى (قل النار مثواكم خالدين فيها الاماشاء الله ان ربك حكيم عليم) قال لاينبغى لاحد أن يحكم على الله فى خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا قالوا وهذا الوعيد فى هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة فانه سبحانه قال (ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الاماشاء الله ان ربك حكيم عليم ، وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) وأولياء الجن من الانس يدخل فيه الكفار قطعاً فانهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين كما قال تعالى : « انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون » وقال تعالى : « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » وقال تعالى : « ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون » وقال تعالى : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو » وقال تعالى : « فقاتلوا أولياء الشيطان » وقال تعالى : « أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون »

وقال تعالى: «وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون» والاستثناء وقع فى الآية التى أخبرت عن دخول اولياء الشياطين النار فمن ههنا قال ابن عباس لاينبغي لاحد ان يحكم على الله فى خلقه (قالوا) قول من قال إن الا بمعنى سوى أى سوى ماشاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لاتخفى منافرته للمستثنى والمستثنى منه وان الذى يفهمه المخاطب مخالفة مابعد إلا لما قبلها (قالوا) وقول من قال إنه لاخراج ماقبل دخولهم اليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً لا يساعد عليه وجه الكلام فانه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والارض إلا ماشاء الله وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لايفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا فى النار حين يقولون (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) فيقول لهم حينئذ (النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله) وفى قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) نوع اعتراف واستسلام وتحسر أى استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركنا فى الشرك ودواعيه وأسبابه وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا فى ذلك ولم نكتسب فيها رضاك وانما كان غاية أمرنا فى مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض، فتأمل ما فى هذا من الاعتراف بحقيقة ماهم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا ان الذى كانوا فيه فى مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وايثار مرضاته وهذا من نمط قولهم (لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير) وقوله (فاعترفوا بذنبهم) وقوله (فعلموا ان الحق لله) ونظائره والمقصود ان قوله إلا ماشاء الله عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصا بهم او شاملا لهم ولعصاة الموحدين، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له، ولما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف وقد تبين ضعف هذا القول، ورأت طائفة أخرى ان الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار (قالوا) والمعنى أنكم فى النار أبدا إلا ماشاء الله أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير وقد قال تعالى (ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا) قالوا والأبد لا يقدر بالاحقاب وقد

قال ابن مسعود فى هـذه الآية ليأتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا، وعن أبى هريرة مثله حكاه البغوى عنهما ثم قال ومعناه عند أهل السنة ان ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهـل الايمان (قالوا) قد ثبت ذلك عن أبى هريرة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وقد سأل حرب إسحق ابن راهويه عن هذه الآية فقال سألت إسحق قلت قول الله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) فقال أتت هذه الآية على كل وعيد فى القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبى حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبى سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتى على القرآن كله (إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد) قال المعتمر قال أتى على كل وعيـد فى القرآن حدثنا عبيـد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة عن أبى بلج سمـع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا حدثنا عبيد الله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن ايوب عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال ما أنا بالذى لاأقول انه سيأتى على جهنم يوم لايبقى فيها احد وقرأ قوله (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الآية) قال عبيد الله كان اصحابنا يقولون يعنى به الموحدين حدثنا ابو معن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبى نضرة عن جابر ابن عبد الله أو بعض اصحابه فى قوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) قال هذه الآية تأتى على القرآن كله وقد حكى ابن جرير هذا القول فى تفسيره عن جماعة من السلف فقال وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها (ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التى نذكرها) وقال عبد الرزاق انبأنا ابن التيمى عن أبيه عن أبى نضرة عن جابر أو أبى سعيد أو عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (الا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد) قال هذه الآية تأتى على القرآن كله يقول حيث كان فى القرآن خالدين فيها تأتى عليه قال وسمعت أبا مجلز يقول جزاؤه فان شاء الله تجاوز عن عذابه (وقال ابن جرير) حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك) قال لايموتون وماهم منها بمخرجين مادامت السموات والارض

إلا ماشاء ربك قال استثنى الله قال أمر الله النار ان تأكلهم قال وقال ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها احد بعد مايلبثون فيها احقابا، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال جهنم اسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا وحكى ابن جرير فى ذلك قولا آخر فقال وقال آخرون أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لاهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله عطاء غير مجذوذ وانها لفى الزيادة على مقدار مدة السموات والارض قالوا ولم يخبرنا بمشيئته فى أهل النار وجائز ان تكون مشيئته فى الزيادة وجائز ان تكون فى النقصان حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك) فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ فقال أخبرنا بالذى يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار (وقال ابن مردويه) فى تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان الخلال حدثنا أبو خالد حدثنا سفيان يعنى الثورى عن عمرو بن دينار عن جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله أن يخرج أناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل وهذا الحديث يدل على ان الاستثناء انما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافا لمن زعم أنه لما قبل الدخول ، ولكن انما يدل على اخراج بعضهم من النار وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفى انقطاعها وفناء عذابها واكلها لمن فيها وانهم يعذبون فيها دائما مادامت كذلك وما هم منها بمخرجين فالحديث دل على امرين (احدهما) ان بعض الاشقياء اذ شاء الله أن يخرجهم من النار وهي نار فعل وان الاستثناء انما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء إلا ما شاء ربك من الاشقياء فانهم لايخلدون فيها ويكون الاشقياء نوعين نوعا يخرجون منها ونوعا يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا اولا ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة فى وقتين قالوا وقد قال تعالى (ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا ، لابثين فيها أحقابا لايذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا ، إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا) فهذا صريح فى وعيد الكفار المكذبين بآياته ولا يقدر الابدي بهذه الاحقاب ولا غيرها كما لا يقدر به القديم ولهذا

قال عبد الله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبي باخ سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه (ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا)

(فصل)

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق (احدها) اعتقاد الاجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لايختلفون فيه وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع (الطريق الثانى) أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فانه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم وأنه لايفتر عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذابا وانهم خالدين فيها أبدا وماهم بخارجين من النار وماهم منها بمخرجين وأن الله حرم الجنة على الكافرين وانهم لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وانهم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها وان عذابها كان غراما أى مقيما لازما قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره (الطريق الثالث) أن السنة المستفيضة اخبرت بخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان دون الكفار وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وان هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الايمان (الطريق الرابع) ان الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها (الطريق الخامس) ان عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بان الجنة والنار مخلوقتان وانهما لايفنيان بل هما دائمتان وانما يذكرون فناءهما عن أهل البدع (الطريق السادس) ان العقل يقضى بخلود الكفار فى النار وهذا مبنى على قاعدة وهى ان المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أولا يعلم إلا بالسمع؟ فيه طريقتان لنظار المسلمين وكثير منهم يذهب إلى ان ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن فى غير موضع كانكاره سبحانه على من زعم أنه يسوى بين الابرار والفجار فى المحيا والممات وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثا وانهم اليه لايرجعون وأنه يتركهم سدى أى لا يثيبهم ولايعاقبهم وذلك يقدح فى حكمته وكماله وأنه نسبه إلى ما لا يليق به وربما قرروه بان النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وان ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولا قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار

فقالوا ياليتنا نردولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفارا كما كانوا وهذا يدل على ان دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع ، قال أصحاب الفناء الكلام على هذه الطرق يبين الصواب فى هذه المسألة (فأما الطريق الاول) فالاجماع الذى ادعيتموه غير معلوم وانما يظن الاجماع فى هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع فيها قديما وحديثا بل لو كلف مدعى الاجماع ان ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال ان النار لاتفنى أبدا لم يجد إلى ذلك سبيلا ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا ، قالوا والاجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه ولم يوجد واحد منها فى هذه المسألة (النوع الاول) مايكون معلوما من ضرورة الدين كوجوب أركان الأسلام وتحريم المحرمات الظاهرة (الثانى) ماينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه (الثالث) ان يقول بعضهم القول وينشر فى الامة ولاينكره أحد فاين معكم واحد من هذه الانواع ولو أن قائلا ادعى الاجماع من هذه الطرق واحتج بان الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالاجماع منكم ، قالوا (وأما الطريق الثانى) وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها فاين فى القرآن دليل واحد يدل على ذلك نعم الذى دل عليه القرآن أن الكفار خالدين فى النار أبدا وأنهم غير خارجين منها وأنه لايفتر عنهم عذابها وانهم لايموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وانما النزاع فى أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء ، وأما كون الكفار لايخرجون منها ولايفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فلم يختلف فى ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف فى ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع وهذه النصوص وأمثالها تقتضى خلودهم فى دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه (قالوا وأما الطريق الثالث) وهو مجيء

السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك فهى حق لاشك فيه وهى انما تدل على ماقلناه من خروج الموحدين منها وهى دار عذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها مادامت باقية والنصوص دلت على هذا وعلى هذا (قالوا وأما الطريق الرابع) وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفنا على ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها مادامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فاين فى القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك (قالوا وأما الطريق الخامس) وهو ان فى عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان ابدا فلا ريب ان القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين وأما فناء النار وحدها فقد أوجدنا كم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع مع انه لا يعرف عن احد من أهل البدع التفريق بين الدارين فقولكم إنه من اقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم ، قالوا والقول الذى يعد من اقوال أهل البدع ماخالف كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة اما الصحابة أو من بعدهم ، وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من اقوال أهل البدع وان دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله والباطل يجب رده على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول : « الله حكم قسط هلك المرتابون ان من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والاسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعونى حتى ابتدع بدلهم غيره فأياكم وما ابتدع فان كل بدعة ضلالة واياكم وزيغة الحكيم ؟ فان الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وان المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فان على الحق نورا ، قالوا وكيف زيغة الحكيم ، قال هى الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ماهذه ؟ فاحذروا زيغته ولا تصدنكم عنه فانه يوشك أن يفىء وان يراجع الحق ، وان العلم والايمان مكانهما إلى يوم القيامة » والذى اخبر به أهل السنة فى عقائدهم هو الذى دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان وان أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم وانهم خالدون فيها ، ومن ذكر منهم ان النار لا تفنى

ابدا فانما قاله لظنه ان بعض أهـل البدع قال بفنائها ولم يبلغه تلك الآثار التى تقدم ذكرها (قالوا وأما حكم العقل) بتخليد أهل النار فيها فاخبار عن العقل بما ليس عنده فان المسألة من المسائل التى لا تعلم إلا بخبر الصادق (واما أصل الثواب والعقاب) فهل يعلم بالعقل مع السمع أولا يعلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الاربعة وغيرهم ؛ والصحيح ان العقل دل على المعاد والثواب والعقاب اجمالا واما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده وانما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين ؛ واما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضا دلالة قاطعة على انقطاعه فى حق الموحدين ، وأما دوامه وانقطاعه فى حق الكفار فهذا معترك النزال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب وبالله التوفيق

فصل

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا وذلك يظهر من وجوه (احدها) أن الله سبحانه وتعالى اخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا نفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ ؛ وأما النار فلم يخبر عنها باكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأنها مؤصدة عليهم وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وان عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر (الوجه الثانى) ان النار قد أخبر سبحانه وتعالى فى ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم ابديتها «الأولى» قوله سبحانه وتعالى (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) «الثانية» قوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد) «الثالثة» قوله (لابثين فيها أحقابا) ولولا الادلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثنائين فى الموضعين واحدا كيف وفى الآيتين من السياق مايفرق بين الاستثنائين فانه قال فى أهل النار (ان ربك فعال لما يريد) فعلمنا انه سبحانه وتعالى يريد ان يفعل فعلا لم يخبرنا به ؛ وقال فى أهل الجنة عطاء غير مجذوذ فعلمنا ان هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم ابدا فالعذاب موقت معلق والنعيم ليس بموقت ولا معلق (الوجه الثالث) أنه قد ثبت ان الجنة لم يدخلها من لم يعمل خيرا قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءا قط ولا يعذب الا من عصاه (الوجه الرابع) أنه قد ثبت ان الله سبحانه وتعالى ينشىء للجنة خلقا آخر يوم

القيامة يسكنهم اياها ولا يفعل ذلك بالنار، وأما الحديث الذى قد ورد فى صحيح البخارى من قوله «وأما النار فينشىء الله لها خلقا آخرين» فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وانما هو ما ساقه البخارى فى الباب نفسه وأما الجنة فينشىء الله لها خلقا آخرين ذكره البخارى رحمه الله مبينا ان الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا، والمقصود أنه لاتقاس النار بالجنة فى التأبيد مع هذه الفروق (يوضحه الوجه الخامس) ان الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه كما جاء فى الصحيح من حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده موضوع على العرش ان رحمتى تغلب غضبي» وإذا كان رضاه تسبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعا (يوضحه الوجه السادس) أن ما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه (يوضحه الوجه السابع) وهو أنه سبحانه قال للجنة انت رحمتى أرحم بك من أشاء وقال للنار أنت عذابى أعذب بك من أشاء، وعذابه مفعول منفصل، وهو ناشىء عن غضبه، ورحمته ههنا هى الجنة وهى رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التى هى صفة الرحمن فههنا أربعة أمور رحمة هى وصفه سبحانه، وثواب منفصل هو ناشىء عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ عنه فاذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ماكان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى، فلا تقاوم النار التى نشأت عن الغضب الجنة التى نشأت عن الرحمة (يوضحه الوجه الثامن) أن النار خلقت تخويفا للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين والمجرمين، فهى طهرة من الخبث الذى اكتسبته النفس فى هذا العالم فان تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وان لم تتطهر فى هذه الدار ووافت الدار الآخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها فى النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التى لا يغسلها الماء فاذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها، فلو خلوا وفطرهم لما

نشؤا الا على التوحيد ولكن عرض لاكثر الفطر ماغيرها؛ ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة وكان هذا التغيير مراتب لايحصيها الا الله فأرسل الله رسله وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التى فطرهم عليها فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من الله الحسنى صحة ماجاءت به الرسل، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذى أرسل به رسله وفطرته التى فطرهم عليها فمنعتهم الشرعة المنزلة والفطرة المكملة؛ ان تكتسب نفوسهم خبثا ونجاسة ودرنا يعلق بها ولايفارقها، بل كلما ألم بهم شىء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فازالوا موجبه وأثره، وكمل لهم الرب تعالى ذلك باقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون تمحص عنهم تلك الآثار التى شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكانا قابلا مستعدا لها ليس فيه شىء يدافعه فقال ههنا أمرت * وليس لله سبحانه غرض فى تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى(مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) واستمر الاشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير فاحتاجوا فى ازالة ذلك إلى تغييرآخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة واقداره المحبوبة والمكروهة فى هذه الدار فأتاح لهم آيات أخر وأقضية وعقوبات فوق التى كانت فى الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التى لاتزول بغير النار فاذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقى مقتضى الرحمة لامعارض له فان قيل هذا حق ولكن سببا التعذيب لايزول إلا إذا كان السبب عارضاً كمعاصى الموحدين أما إذا كان لازماً كالكفر والشرك فان أثره لايزول كما لايزول السبب؛ وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه فى مواضع من كتابه *(منها) قوله تعالى (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا إخبار بان نفوسهم وطبائعهم لاتقتضى غير الكفر والشرك وأنها غير قابلة للايمان أصلا(ومنها)قوله تعالى: « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » فاخبر سبحانه ان ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لايزول حتى مع معاينة الحقائق التى أخبرت بها الرسل وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فان موجبه وأثره ومقتضاه لايفارقهم *(ومنها)قوله تعالى(ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وهذا يدل على إنه ليس فيهم خير

يقتضى الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم اثره، ويدل على انهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله «اخرجوا من النار من كان فى قلبه أدنى مثقال ذرة من خير» فلو كان عند هؤلاء ادنى أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين (قيل) لعمر الله إن هذا لمن أقوى مايتمسك به فى المسئلة وإن الامر لكما قلتم ؛ وان العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ، ولاريب انهم فى الآخرة فى عمى وضلال كما كانوا فى الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت فى الدنيا والعذاب مستمر عليهم دائم ما داموا كذلك * ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتى لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارىء على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسئلة وليس بايديكم مايدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتى وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنيفية وأن الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وانما فطرهم على الاقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده فاذا كان هذا الحق الذى قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد امكن زواله بالكفر والشرك الباطل فامكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى؛ ولاريب انهم لوردوا على تلك الحال التى هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم ان تلك الحال لاتزول ولاتتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم؛ وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم فأن العذاب لم يكن سدى وانما كان لحكمة مطلوبة فاذا حصلت تلك الحكمة لم يبق فى التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتفى بعذاب عباده كما يشتفى المظلوم من ظالمه وهو لايعذب عبده لهذا الغرض وانما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له وان تألم به غاية الالم كما ان عذابه بالحدود فى الدنيا مصلحة لاربابها؛ وقد سمى الله سبحانه الحد عذابا وقد اقتضت حكمته سبحانه ان جعل لكل داء دواء يناسبه ودواء الداء العضال يكون من أشق الادوية؛ والطبيب الشفيق يكوى المريض بالنار كيا بعد كى ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة وان رأى قطع العضو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الالم فهذا قضاء الرب وقدره فى ازالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وارادته * وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره فى الدنيا وثوابه وعقابه

فى الآخرة وجد ذلك فى غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فان مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابغة وهو سبحانه الملك الحق المبين وملكه ملك رحمة واحسان وعدل (الوجه التاسع) أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته لا لمنفعة تعود اليه ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ولا هى عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة فانه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه، فاما ان يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبابه، وإما أن يكون من مصلحة الاشقياء ومداواتهم أو لهذا ولهذا ، وعلى التقادير الثلاث فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات والمراد من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها، ونعيم أوليائه ليس متوقفاً فى أصله ولا فى كماله على استمرار عذاب اعدائه ودوامه ومصلحة الأشقياء ليست فى الدوام والاستمرار وإن كان فى أصل التعذيب مصلحة لهم (الوجه العاشر) أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته فاذا كانت رحمته غلبت غضبه فان رضى نفسه أعلى وأعظم، فان رضوانه أكبر من الجنات ونعيمها وكل مافيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا * وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التى يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان * والناس لهم فى صفة الغضب قولان (أحدهما) انه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله (والثانى) أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التى يستحيل مفارقتها له والعذاب انما ينشأ من صفة غضبه وماسعرت النار الا بغضبه ،وقد جاء فى أثر مرفوع «إن الله خلق خلقا من غضبه وأسكنهم بالمشرق وينتقم بهم ممن عصاه» فخلوقاته سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب فانه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى يتنزه عن تقدير خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطى ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد فاذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وان تنوعت صفتها وصورتها كما كان

عقوبة العصاة رحمة واخراجهم من النار رحمة فتقلبوا فى رحمته فى الدنيا وتقلبوا فيها فى الآخرة لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم كرحمة الطبيب الذى يبضع لحم المريض ويلقى عليه المكاوى ليستخرج منه المواد الردية الفاسدة * (فان قيل) هذا اعتبار غير صحيح فان الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة ، وأما عذاب هؤلاء فانه انما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة (قيل) هذا حق ولكن لا ينافى كونه رحمة بهم وان كان عقوبة لهم وهذا كاقامة الحدود عليهم فى الدنيا فانه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له ندا له وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته وهو ولى الانعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كمال اسمائه وصفاته التى يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لاحكامها كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه؛ فالمعطلون نوعان (أحدهما) عطل صفاته و(الثانى) عطل أحكامها وموجباتها وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الامران * فاذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغيير الطبيعة المقتضية لها فى الجحيم بمرور الاحقاب عليها وحصلت الحكمة التى أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض (يوضحه الوجه الحادى عشر) وهو أن العفو أحب اليه سبحانه من الانتقام؛ والرحمة أحب اليه من العقوبة * والرضا أحب اليه من الغضب * والفضل أحب اليه من العدل * ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة فى شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لعباده فى ثوابه وعقابه ؛ واذا كان ذلك أحب الامرين اليه وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه صالحة لكل شىء لا قصور فيها بوجه ما؛ وتلك المواد الردية الفاسدة مرض من الامراض وبيده سبحانه الشفاء التام والادوية الموافقة لكل داء؛ وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطلق؛ وبالعبد أعظم حاجة

إلى من يداوى علته التى بلغت به غاية الضرر والمشقة وقد عرف العبد انه عليل وأن دواءه بيد الغنى الحميد، فتضرع اليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له، وان الخلق كله له وأنه هو الظلوم الجهول وان ربه تبارك وتعالى عامله بكل عدله لا ببعض عدله وان له غاية الحمد فيما فعل به، وأن حمده هو الذى أقامه فى هذا المقام وأوصله اليه وانه لاخير عنده من نفسه بوجه من الوجوه بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه وأنه لانجاة له مما هو فيه الا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص وربه تعالي أولى بكل حمد وكمال ومدح ؛ فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذى أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم فى تلك الحال وقالوا ان كان مانحن فيه رضاك فرضاك الذى نريد ، وما أوصلنا الى هذه الحال إلا طلب مالا يرضيك فأما اذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية مانقصده (وما لجرح اذا أرضاك من ألم) وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله عاقبت أو عفوت لانقلبت النار عليهم بردا وسلاما (وقد روى الامام أحمد) فى مسنده من حديث الاسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيأ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات فى فترة ، فأما الاصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أسمع شيئا . وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفونى بالبعر ، وأما الهرم فيقول ربى لقد جاء الاسلام وما أعقل شيأ ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ماأتانى لك من رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار ، قال فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما » (وفى المسند أيضا) من حديث قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثله وقال « فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها » فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم وبادروا اليه لما علموا أن فيه رضى ربهم وموافقة أمره ومحبته انقلب فى حقهم نعيما (ومثل هذا) مارواه عبد الله بن المبارك حدثنى رشدين قال حدثنى ابن أنعم عن أبى عثمان أنه حدثه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما فقال الرب جل جلاله أخرجوهما فاذا أخرجا فقال لهما لأى شيء اشتد صياحكما؟ قالا فعلنا ذلك لترحمنا ، قال رحمتى لكما أن تنطلقا

فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار قال فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه عليه بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى فيقول له الرب مامنعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول رب انى أرجوك أن لاتعيدنى فيها بعدماأخرجتنى منها، فيقول الرب تعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله» (وذكر الأوزاعى) عن بلال بن سعد قال: « يؤمر باخراج رجلين من النار فاذا أخرجا ووقفا قال الله لهما كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما؟فيقولان شر مقيل وأسوأ مصير صار اليه العباد فيقول لهما بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد قال فيؤمر بصرفهما إلى النار فأما أحدهما فيغدو فى أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها وأما الآخر فيتلكأ فيؤمر بردهما فيقول للذى غدا فى أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها ماحملك على ماصنعت وقد خرجت منها فيقول إنى خبرت من وبال معصيتك مالم أكن أتعرض لسخطك ثانيا ويقول للذى تلكأ ماحملك على ماصنعت؟فيقول حسن ظنى بك حين أخرجتنى منها أن لاتردنى اليها فيرحمهما جميعا ويأمر بهما إلى الجنة» (الوجه الثانى عشر) أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه وأما العذاب والعقوبة فانما هو من مخلوقاته، ولذلك لايسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى فى الآية الواحدة كقوله تعالى (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم) وقال تعالى (اعلموا ان الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم) وقال تعالى (إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) ومثلها فى آخر الأنعام ، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فانه يدوم بدوامها ولا سيما إذا كان محبوبا له وهو غاية مطلوبة فى نفسها وأما الشر الذى هو العذاب فلا يدخل فى أسمائه وصفاته وإن دخل فى مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفنى بخلاف الخير فانه سبحانه دائم المعروف لاينقطع معروفه أبداً وهو قديم الاحسان أبدى الأحسان فلم يزل ولا يزال محسنا على الدوام وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لايزال معاقبا على الدوام غضبان على الدوام منتقما على الدوام ؛ فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه فى باب أسماء الله وصفاته يفتح لك بابا من أبواب معرفته ومحبته (يوضحه الوجه الثالث عشر) وهو قول أعلم خلقه به ، وأعرفهم بأسمائه وصفاته (والشر ليس إليك) ولم يقف على

المعنى المقصود من قال الشر لايتقرب به اليك بل الشر لا يضاف اليه سبحانه بوجه لافى ذاته ولا فى صفاته ولافى أفعاله ولا فى أسمائه فان ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لاشر فيها بوجه ما،وأسماؤه كلها حسنى فكيف يضاف الشر اليه بل الشر فى مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر،واذا كان الشر مخلوقاً منفصلا غير قائم بالرب سبحانه فهو لايضاف اليه وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله وانما نفى اضافته اليه وصفا وفعلا وأسماء * وإذا عرف هذا فالشر ليس الا الذنوب وموجباتها وأما الخير فهو الأيمان والطاعات وموجباتها والأيمان والطاعات متعلقة به سبحانه ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه ؛ وهى ثناء على الرب وإجلاله وتعظيمه وعبوديته وهذه لها آثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها * وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها ولاهى الغاية التى خلق لها الخلق فهى مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فاذا حصل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض (الوجه الرابع عشر) أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شىء فليس شىء من الاشياء الا وفيه رحمته ولا ينافى هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له فان ذلك من رحمته أيضا كما تقدم * وقد ذكرنا حديث أبى هريرة آنفا وقوله تعالى لذينك الرجلين * رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار * وقد جاء فى بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال اللهم ارحمه يقول الرب تبارك وتعالى كيف أرحمه من شىء به أرحمه فالابتلاء رحمة منه لعباده (وفى أثر الهى) يقول الله تعالى: « أهل ذكرى أهل مجالستى * وأهل طاعتى أهل كرامتى ، وأهل شكرى أهل زيادتى ، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى ان تابوا فانا حبيبهم وان لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصايب لأطهرهم من المعايب » * فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لأزالة أدواء لاتزول الا بها والنار هى الدواء الأكبر فمن تداوى فى الدنيا أغناه ذلك عن الدواء فى الآخرة والا فلا بد له من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله

ونعوت كماله من حكمته ورحمته وبره واحسانه وغناه وجوده وتحببه إلى عباده وارادة الانعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى انكار ذلك ان لم يبادر إلى قبوله (يوضحه الوجه الخامس عشر) أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل فلا يفعل عبثا ولاجوراً ولا باطلا بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص * وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم ان كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر، وان كان لحكمة فاذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس فى الحكمة دوام العذاب أبد الآباد بحيث يكون دائماً بدوام الرب تبارك وتعالى وان كان لمصلحة فان كان يرجع اليهم فليست مصلحتهم فى بقائهم فى العذاب كذلك، وان كانت المصلحة تعود إلى أوليائه فان ذلك أكمل فى نعيمهم فهذا لا يقتضى تأبيد العذاب وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفا على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم فى العذاب السرمد * فان قلتم إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم مالا يعقل، وان قلتم إن ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية فجوابه من وجهين (أحدهما) أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين ان تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك (والثانى) انه لو كان الامر كذلك لكان ابقاؤهم فى العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن فى انقضائه ما ينافى كماله وهو سبحانه لم يخبر بابدية العذاب وانه لا نهاية له * وغاية الامر على هذا التقدير ان يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق فان سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام وان سلكت طريق المشيئة المحضة التى لا تعلل لم تقتضه أيضا وان وقف الامر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه (الوجه السادس عشر) أن رحمته سبحانه سبقت غضبه فى المعذبين فانه أنشأهم برحمته، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل اليهم الرسل برحمته ، وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقة تكون رحمته اليهم أقرب من غضبه وعقوبته، ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم، ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت

غضبه فيهم، فكانت هى السابقة اليهم ففى كل حال هم فى رحمته فى حال معافاتهم وابتلائهم وإذا كانت الرحمة هى السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية وان عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم ؛ وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه فما منه يقتضى رحمتهم وما منهم يقتضى عقوبتهم والذى منه سابق وغالب وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى (الوجه السابع عشر) أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب يوم عظيم ، وعذاب يوم اليم ؛ ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا فى موضع واحد ؛ وقد ثبت فى الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة والمعذبون متفاوتون فى مدة لبثهم فى العذاب بحسب جرائمهم والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب على ذلك وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه ؛ والدنيا قد جعل لها أجل تنتهى اليه فما انتقل منها الى تلك الدار مما ليس لله فهو المعذب به ، وأما ماأريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به مالا يفنى ولا يزول فيدوم بدوام المراد به، فان الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لاتزول لم يزل ماتعلق بها بخلاف الغاية المضمحلة الفانية فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومطلوبه، وما أريد به وجه الله يبقى ببقاء المطلوب المراد فاذا اضمحلت الدنيا وانقطعت أسبابها وانتقل ماكان فيها لغير الله من الاعمال والذوات وانقلب عذابا وآلاما لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم (الوجه الثامن عشر) أنه ليس فى حكمة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقا يعذبهم أبد الآباد عذابا سرمداً لانهاية له ولا انقطاع أبدا وقد دلت الادلة السمعية والعقلية والفطرية على أنه سبحانه حكيم وأنه أحكم الحاكمين فاذا عذب خلقه عذبهم بحكمة كما يوجد التعذيب والعقوبة فى الدنيا فى شرعه وقدره فان فيه من الحكم والمصالح وتطهير العبد بمداواته واخراج المواد الردية عنه بتلك الآلام ماتشهده العقول الصحيحة وفى ذلك من تزكية النفوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على فقرها وضرورتها الى ربها وغير ذلك من الحكم والغايات الحميدة مالا يعلمه إلا الله ، ولا ريب أن الجنة طيبة لايدخلها الا طيب ولهذا يحاسبون اذا قطعوا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم

فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ومعلوم ان النفوس الشريرة الخبيثة المظلمة التى لو ردت الى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه لا يصلح أن تسكن دار السلام فى جوار رب العالمين ؛ فاذا تذبوا بالنار عذابا تخلص نفوسهم من ذلك الخبث والوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ولا ينافى الحكمة خلق نفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار كما يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد فهذا معقول فى الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة؛ أما خلق نفوس لا يزول شرها أبدا وعذابها لا انتهاء له فلا يظهر فى الحكمة والرحمة وفى وجود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعنى ذواتا هى شر من كل وجه ليس فيها شىء من خير أصلا وعلى تقدير دخوله فى الوجود فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان واحالتها واحالة صفاتها فاذا وجدت الحكمة المطلوبة من خلق هذه النفوس والحكمة المطلوبة من تعذيبها فالله سبحانه قادر أن ينشئها نشأة أخرى غير تلك النشأة ويرحمها فى النشأة الثانية نوعا آخر من الرحمة (يوضحه الوجه التاسع عشر) وهو انه قد ثبت أن الله سبحانه ينشىء للجنة خلقا آخر يسكنهم اياها ولم يعملوا خيرا تكون الجنة جزاء لهم عليه فاذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد؛ وأنه عدل فيها كل العدل، وانها فى هذه الحال كانت فى تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل وشاء كتب العقوبة طلبا لموافقة رضاه ومحبته وعلم أن العذاب أولى بها وأنه لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى لم يكن فى حكمته ان يستمر بها فى العذاب بعد ذلك اذ قد تبدل شرها بخيرها ؛ وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها ؛ ولا ينتقض هذا بقوله عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فان هذا قبل مباشرة العذاب الذى يزيل تلك الخبائث وانما هو عند المعاينة قبل الدخول فانه سبحانه قال (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين؛ بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فهذا انما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث ؛ فأما إذا لبثوا فى العذاب أحقابا والحقب

كما رواه الطبرانى فى معجمه من حديث أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى
عليه وسلم أنه قال « الحقب خمسون ألف سنة » فأنه من الممتنع أن يبقى ذا
الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة فى العذاب ؛ (الوجه العشرون)
انه قد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث الشفاعة « فيقول
عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين
فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم
فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل
فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا
خير قدموه » فهؤلاء احرقتهم النار جميعهم فلم يبق فى بدن أحدهم موضع لم
تمسه النار بحيث صاروا حمما وهو الفحم المحترق بالنار، وظاهر السياق انه لم يكن
فى قلوبهم مثقال ذرة من خير فان لفظ الحديث هكذا « فيقول ارجعوا فمن وجدتم
فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم
نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون
ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا
خيرا قط » فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن فى قلوبهم مثقال ذرة من خير
ومع هذا فأخرجتهم الرحمة ومن هذا رحمته سبحانه للذى أوصى أهله أن يحرقوه
بالنار ويذروه فى البر والبحر زعما منه بانه يفوت الله سبحانه فهذا قد شك فى المعاد
والقدرة ولم يعمل خيرا قط ومع هذا فقال له ما حملك على ما صنعت؟ قال خشيتك
وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه الله فلله سبحانه فى خلقه حكم لا تبلغه عقول البشر
وقد ثبت فى حديث أنس رضى الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يقول
الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام » قالوا ومن
ذا الذى فى مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوما واحدا ولا خافه
ساعة واحدة ولا ريب ان رحمته سبحانه اذا أخرجت من النار من ذكره وقتا أو
خافه فى مقام ما، فغير بدع أن تفنى النار ولكن هؤلاء خرجوا منها وهى نار
(الوجه الحادى والعشرون) ان اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن
لنسبة السوء والظلم واللوم اليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال
المطلق إلى ربه من كل وجه يستعطف ربه تبارك وتعالى عليه ويستدعى رحمته

له وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك فى قلبه والرحمة معه ولا سيما اذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه فانه لاتتخلف عنه الرحمة مع ذلك ، وفى معجم الطبرانى من حديث يزيد بن سنان الرهاوى عن سليمان بن عامر عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله ان يسعى فيقول يارب بلغ بى الجنة ونجنى من النار فيوحى الله تبارك وتعالى اليه عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك فيقول العبد نعم يارب وعزتك وجلالك إن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوب وخطاياى فيجوز الجسر ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبى وخطاياى ليردنى إلى النار، فيوحى الله اليه عبدى اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد لاوعزتك وجلالك ماأذنبت ذنبا قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله اليه عبدى ان لى عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالا فلايرى أحدا فيقول يارب أرنى بينتك فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات فاذا رأى ذلك العبد فيقول يارب عندى وعزتك العظائم فيوحي الله اليه عبدى انا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه يقول هذا ادنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه؟» فالرب تعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذلة له والعزم على مرضاته * فمادام أهل النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون لروح الرحمة فاذا أراد عزوجل ان يرحمهم أو من يشاء منهم جعل فى قلبه ذلك فتدركه الرحمة وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك وليس فيه ماينافض موجب أسمائه وصفاته وقد أخبر انه فعال لما يريد * (الوجه الثانى والعشرون) انه سبحانه قد أوجب الخلود على معاصى من الكبائر وقيده بالتأبيد ولم يناف ذلك انقطاعه وانتهاءه (فمنها) قوله تعالى: «ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما» (ومنها) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً» وهو حديث صحيح * وكذلك

قوله فى الحديث الآخر فى قاتل نفسه « فيقول الله تبارك وتعالى بادرنى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة » وأبلغ من هذا قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهنم خالدين فيها أبدا) فهذا وعيد مقيد بالخلود والتأبيد مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبد وهو التوحيد * فكذلك الوعيد العام لاهل النار لا يمتنع انقطاعه بسبب ممن كتب على نفسه الرحمة وغلبت رحمته غضبه ، فلو يعلم الكافر بكل ما عنده من الرحمة لما يئس من رحمته كما فى صحيح البخارى عنه صلى الله عليه وسلم: « خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، وقال فى آخره فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار » (الوجه الثالث والعشرون) انه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بان عذاب النار لا انتهاء له وانه أبدى لا انقطاع له ، لكان ذلك وعيداً منه سبحانه والله تعالى لا يخلف وعده * وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم ان اخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ويثنى عليه به فانه حق له إن شاء تركه وان شاء استوفاه والكريم لا يستوفى حقه فكيف بأكرم الاكرمين؟!! وقد صرح سبحانه فى كتابه فى غير موضع بانه لا يخلف وعده ولم يقل فى موضع واحد لا يخلف وعيده ، وقد روى أبو يعلى الموصلى ثنا هدبة بن خالد ثنا سهيل ابن أبى حزم ثنا ثابت البنانى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه ، ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار » وقال أبو الشيخ الاصبهانى ثنا محمد بن حمزة ثنا أحمد ابن الخليل ثنا الاصمعى قال: « جاء عمرو بن عبيد الى أبى عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده؟ قال لا ، قال أفرأيت من أوعده الله على عمله عقابا ايخلف الله وعده عليه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شرا ثم لا تفعله ترى ذلك كرما وفضلا وانما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله ، قال فأوجدنى هذا فى كلام العرب قال نعم أما سمعت إلى قول الاول

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتى ولا أختشى من صولة المتهدد

وإنى وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

قال أبو الشيخ وقال يحيى بن معاذ الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله ؛ والوعيد

حقه على العباد قال لاتفعلوا كذافأعذبكم ففعلوا فان شاء عفاوان شاء أخذ لانه حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم انه غفور رحيم ، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نبئت أن رسول الله أوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول
فاذا كان هذا فى وعيد مطلق فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله ان ربك فعال لما يريد وهذا اخبار منه أنه يفعل مايريد عقيب قوله إلا ماشاء ربك فهو عائد اليه ولا بد ، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده بل اما أن يختص بالمستثنى أو يعود اليهما وغير خاف أن تعلقه بقوله الاماشاء ربك أولى من تعلقه بقوله خالدين فيها وذلك ظاهر للمتأمل وهو الذى فهمه الصحابة فقالوا أتت هذه الآية على كل وعيد فى القرآن ، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده فان الاستثناء مذكور فى الأنعام أيضا وانما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله ان ربك فعال لما يريد وهذا التعقيب نظير قوله فى الانعام (خالدين فيها الاماشاء الله ان ربك حكيم عليم) فأخبر ان عذابهم فى جميع الاوقات ورفعه عنهم فى وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك ، (الوجه الرابع والعشرون) أنجانب الرحمة أغلب فى هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما عمرت ولا قام لها وجود كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة) وقال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة) فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ومع هذا فالذى أظهره من الرحمة فى هذه الدار وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة فاذا كان جانب الرحمة قد غلب فى هذه الدار ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعى فى مساخطته فكيف لايغلب جانب الرحمة فى دار تكون الرحمة فيها مضاعفة على مافى هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفا ، وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه وانكسرت تلك النفوس ونهكها العذاب وأذاب منها خبثا وشراً لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها فى الدنيا بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها فكيف اذا زال مقتضى الغضب والعقوبة وقوى جانب

الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة فى هذه الدار واضمحل الشر والخبث الذى فيها فأذابته النـار وأكلته ؛ وسر الامر أن أسماء الرحمة والاحسان أغلب وأظهر وأكثر من أسماء الانتقام وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام ؛ وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام ؛ والرحمة أحب اليه من الانتقام ، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم ، وهى التى سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ووسعت كل شىء وما خلق بها فطلوب لذاته ؛ وما خلق بالغضب فمراد لغيره كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير ، والرحمة احسان وكرم وجود والعقوبة مداواة ؛ والرحمة عطاء وبذل. (الوجه الخامس والعشرون) انه سبحانه لابد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين ، ويظهر لهم حكمه الذى هو أعدل حكم فى أعدائه وأنه حكم فيهم حكما يحمدونه هم عليه فضلا عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد لله رب العالمين ولذلك قال تعالى: «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» فحذف فاعل القول لارادة الاطلاق وان ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه ؛ قال الحسن لقد دخلوا النار وان قلوبهم لممتلئة من حمده ماوجدوا عليه سبيلا * وهذا هو الذى حسن حذف الفاعل من قوله «قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها» حتى كان الكون جميعه قائل ذلك لهم اذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده * وأما أهل الجنة فقال تعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) فهم لم يستحقوها باعمالهم وإنما استحقوها بعفوه ورحمته وفضله فاذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها وان ذلك من كمال حمده الذى هو مقتضى أسمائه وصفاته وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لايليق بها غير ذلك ؛ ولا يحسن بها سواه ، بحيث تعترف هى من ذواتها بانها أهل ذلك ، وأنها أولى به حصلت الحكمة التى لاجلها وجد الشر وموجباته فى هذه الدار وتلك الدار * وليس فى الحكمة الالهية ان الشرور تبقى دائما لانهاية لها ولا انقطاع أبداً فتكون هى والخيرات فى ذلك على حد سواء ، فهذا نهاية أقدام الفريقين فى هذه المسئلة ولعلك لاتظفر به فى غير هذا الكتاب ، فان قيل فالى أين انتهى قدمكم فى هذه المسئلة العظيمة

الشأن : التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟قيل إلى قوله تبارك وتعالى :« ان ربك فعال لما يريد» وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء؛ بل وإلى ههنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا في هذه المسئلة بل في الكتاب كله من صواب فمن الله سبحانه وهو المان به وما كان من خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله برىء منه وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده والله أعلم.

الباب الثامن والستون

(في ذكر آخر أهل الجنة دخولا اليها)

في الصحيحين من حديث منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لاعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملآى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملآى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملآى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملآى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها؛ أو إن لك عشرة أمثال الدنيا؛ قال فيقول أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة» (وفى صحيح مسلم) من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إني لاعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ؛ فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة؛ فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا فلقد رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه» وقال الطبرانى حدثنا عبد الله
ابن سعد بن يحيى الرقى ، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوى
قال حدثنى أبى عن أبيه قال حدثنى أبو يحيى الكلاعى عن أبى أمامة رضى الله
عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ان آخر رجل رجل يدخل الجنة رجل يتقلب
على الصراط ظهرا لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن
يسعى فيقول يارب بلغ بى الجنة ونجنى من النار ، فيوحى الله تبارك وتعالى اليه
عبدى إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لى بذنوبك وخطاياك؟ فيقول
العبد نعم يارب وعزتك وجلالك لئن نجيتنى من النار لأعترفن لك بذنوبى
وخطاياى فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبى
وخطاياى ليردنى الى النار فيوحى الله اليه عبدى اعترف لى بذنوبك وخطاياك
أغفرها لك وأدخلك الجنة ، فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط
ولا أخطأت خطيئة قط فيوحى الله اليه عبدى ان لى عليك بينة فيلتفت العبد
يميناً وشمالا فلا يرى أحداً فيقول يارب أرنى بينتك فيستنطق الله جلده
بالمحقرات فاذا رأى ذلك العبد فيقول يارب عندى وعزتك العظائم
فيوحى الله اليه عبدى أنا أعرف بها منك اعترف لى بها أغفرها لك وأدخلك
الجنة ، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه يقول هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه» ورواه
ابن أبى شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفى عن
يزيد بن سنان به (وفى صحيح مسلم) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى على الصراط
مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى
نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيأ ما أعطاه أحدا من الاولين والآخرين ، فترتفع
له شجرة فيقول أى رب ادننى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها
فيقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم لعلى ان أعطيتكها سألتنى غيرها ، فيقول لا يارب
ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها
فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الاولى فيقول
يارب أدننى من هذه لاشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول
يا ابن آدم ألم تعاهدنى انك لا تسألنى غيرها؟ فيقول لعلى إن أدنيتك منها أن

تسألنى غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الاولين : فيقول أى رب ادنى من هذه الشجرة لاستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال بلى يارب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فاذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول يارب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يرضيك منى أيرضيك أنى أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال يارب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال الا تسألونى مم أضحك؟ قالوا مم تضحك؟ قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يارسول الله؟ قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء بى وأنت رب العالمين؛ فيقول لا استهزىء بك ولكن على ما أشاء قادر» * وفى صحيح البرقانى عن أبى سعيد البرقانى من حديث أبى سعيد الخدرى نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو باسناد مسلم سواء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه ، وان أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة؛ ومثل له شجرة ذات ظل فقال أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة لأكون فى ظلها فقال الله عز وجل هل عسيت ان فعلت ان تسألنى غيره قال لا وعزتك فقدمه الله اليها ومثل له شجرة ذات ظل وثمر أخرى فقال أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها قال فقال هل عسيت ان أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره، قال لا وعزتك فيقدمه الله اليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول أى رب قدمنى إلى هذه الشجرة فأكون فى ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها فيقول هل عسيت ان فعلت ذلك ان تسألنى غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله اليها فتبرز له الجنة فيقول أى رب قدمنى إلى باب الجنة فاكون تحت نجاف الجنة» وفى رواية « تحت نجاف الجنة انظر إلى اهلها فيقدمه الله إليها فيرى أهل الجنة وما فيها فيقول أى رب ادخلنى الجنة فيدخله الجنة ؛ فاذا دخل الجنة قال هذا لى فيقول الله له تمن قال فيتمنى ويذكره الله سل كذا وكذا فاذا انقطعت به الامانى قال الله هو لك وعشرة أمثاله، قال ثم يدخل بيته ويدخل

عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان الحمد لله الذى احياك لنا واحيانا لك فيقول ما أعطى احد مثل ما اعطيت » وفى (صحيح مسلم) من حديث المغيرة ابن شعبة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سأل موسى ربه من ادنى أهل الجنة منزلة؟ فقال هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا اخذاتهم فيقال له أترضى ان يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقال ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول فى الخامسة رضيت رب فيقول لك هذا وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول رضيت رب، قال فاعلاهم منزلة قال ذلك الذى أردت غرس كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، ومصداقه فى كتاب الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين

﴿الباب التاسع والستون﴾

(وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الابواب)

(فصل)

(فى لسان أهل الجنة)

قال ابن أبى الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم ثنا صفوان بن صالح حدثنى رواد ابن الجراح العسقلانى ، ثنا الاوزاعى عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلون» (وروى) داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لسان أهل الجنة عربى» وقال عقيل قال الزهرى :لسان أهل الجنة عربى

﴿فصل﴾

(فى احتجاج الجنة والنار)

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون والمتكبرون

وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين، فقال الله عز وجل لهذه أنت عذابى أعذب بك من أشاء، وقال لهذه أنت رحمتى أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها» وفى رواية أخرى «تحاجت النار والجنة فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم فقال الله سبحانه للجنة: «أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى، ولكل واحدة منكما ملؤها» فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلىء وينزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا، وأما الجنة فان الله عز وجل ينشىء لها خلقاً

فصل

(فى أن الجنة يبقى فيها فضل)

فينشىء الله لها خلقا دون النار فى الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة» وفى لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ماشاء الله ان يبقى ثم ينشىء الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة» وفى لفظ مسلم «يبقى من الجنة ماشاء الله أن يبقى مما يشاء» وأما اللفظ الذى وقع فى صحيح البخارى فى حديث أبى هريرة «وانه ينشىء للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده فان الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من ابليس وأتباعه فانه لا يعذب الا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء) ولا يظلم الله أحداً من خلقه

فصل

(فى امتناع النوم على أهل الجنة)

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون» (وذكر) الطبرانى من حديث يحيى بن سعيد الانصارى عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال: «سئل نبى الله صلى الله عليه وسلم فقيل أينام أهل الجنة؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون»

(فصل)

(فى ارتقاء العبد وهو فى الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها)

قال الامام أحمد ثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك»

(فصل)

(فى إلحاق ذرية المؤمن به فى الدرجة وان لم يعملوا عمله)

قال تعالى (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين) وروى قيس عن عمرو ابن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليرفع ذرية المؤمن اليه فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه ثم قرأ (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء) قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين» (وذكر) ابن مردويه فى تفسيره من حديث شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «اذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يارب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالالحاق بهم ثم تلا ابن عباس (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان) إلى آخر الآية، وقد اختلف المفسرون فى الذرية فى هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال واختلافهم مبنى على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين فقالت طائفة المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم فى إيمانهم فأتوا من الايمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم فى الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة من قرأ (واتبعتهم ذريتهم) فجعل الفعل فى الاتباع لهم، قالوا وقد أطلق الله سبحانه

الذرية على الكبار كما قال «ومن ذريته داود وسليمان» وقال «ذرية من حملنا مع نوح» وقال «أو كنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون» وهذا قول الكبار العقلاء، (قالوا) ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه «إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وإن تقاصر عملهم عنها (قالوا) وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية وإن كانوا دونه فى الإيمان رفعهم الله إلى درجته اقرارا لعينه وتكميلا لنعيمه وهذا كما أن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم معه فى الدرجة تبعا وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن (وقالت طائفة أخرى الذرية ههنا الصغار والمعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم فى إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغارا فى الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن فى قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا فى موضع نصب على الحال من المفعولين أى وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء (قالوا) ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم فى الثواب والعقاب فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين للآباء فى شىء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم فى درجة آبائهم وتكون أولاد التابعين البالغون كلهم فى درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة فيكون الآخرون فى درجة السابقين . (قالوا) ويدل عليه أيضا أنه سبحانه جعلهم معهم تبعا فى الدرجة كما جعلهم تبعا معهم فى الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعا بل إيمان استقلال (قالوا) ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل فى الجنة بحسب الأعمال فى حق المستقلين وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم وأيضا فالحور العين والخدم فى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم . (وقالت فرقة منهم الواحدى) الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه

والصغير يتبع الاب بايمان الاب * (قلوا) والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والاب كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) اى آباءهم * والايمان يقع على الايمان التبعى وعلى الاختيارى الكسبي فمن وقوعه على التبعى قوله «فتحرير رقبة مؤمنة» فلو أعتق صغيراً جاز (قلوا) وأقوال السلف تدل على هذا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية؛ وقال ابن مسعود فى هذه الآية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون اليه لتقربهم عينه وان لم يبلغوا ذلك * وقل أبو مجلز يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا فى الدنيا؛ وقال الشعبى أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة * وقال الكلبى عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من الابناء رفع الله الابناء إلى الآباء * وان كان الابناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الابناء؛ وقال ابراهيم أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً قل ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ «واتبعتهم ذريتهم» فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل اليهم كما قل تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار * والذين اتبعوهم باحسان» ومن قرأ «وأتبعناهم ذرياتهم» فهذا فى حق الصغار الذين أتبعهم الله اياهم فى الايمان حكما فدلت القراءتان على النوعين * قلت واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين فى الدرجات ولا يلزم مثل هذا فى الصغار فان أطفال كل رجل وذريته معه فى درجته والله أعلم

(فصل)

(فى أن الجنة تتكلم)

قد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم: «احتجت الجنة والنار» وقوله « قالت الجنة يارب قد اطردت أنهارى * وطابت ثمارى فعجل على بأهلى » وقال اسماعيل ابن ابى خالد عن سعيد الطائى «أخبرت أن الله تعالى لما خلق الجنة قل لها تزينى فتزينت ثم قال لها تكلمى فتكلمت فقالت طوبى لمن رضيت عنه» وقال قتادة «لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى فقالت طوبى للمتقين » وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن على ثنا هشام بن خالد ثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس

رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون»

فصل

(فى أن الجنة تزداد حسناً على الدوام)

قال عبد الله بن أحمد ثنا خلف بن هشام ثنا خالد بن عبدالله عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال : «ما نظر الله الى الجنة الا قال طيبى لاهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها »

فصل

(فى أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن)

كما تقدم حديث معاذ بن جبل فى ذلك * وقول الحوراء لامرأته فى الدنيا لاتؤذيه فيوشك أن يفارقك الينا * وحديث عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قول الحور العين اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك ، وذكر ابن أبى الدنيا عن أبى سليمان الدارانى قال : كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له الى مكة فكان ان نزلوا فهو يصلى وان أكلوا فهو صائم ، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائيا فلما أراد أن يفارقه قال له يا أخى أخبرنى ما الذى هيجك إلى ما رأيت؟ قال رأيت فى النوم قصراً من قصور الجنة واذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء اذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها ، عليها ثوب من فضة ينثنى معها كلما تثنت ، فقالت جد إلى الله فى طلبى فقد والله جددت اليه فى طلبك فهذا الذى تراه فى طلبها . قال أبو سليمان هذا فى طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ماهو أكثر منها

فصل

(فى ذبح الموت بين الجنة والنار)

قال الله تعالى (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالموت كانه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال ياأهل الجنة هل

تعرفون هذا؟فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ثم يقال ياأهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح ، قال ثم يقال ياأهل الجنة خلود فلا موت، وياأهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون» متفق عليه * وفى الصحيحين أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول ياأهل الجنة لاموت وياأهل النار لاموت كل خالد فيما هو فيه» * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا صار أهل الجنة الى الجنة وصار أهل النار الى النار أتى بالموت حتى يجعل بين النار والجنة ثم ينادى مناد ياأهل الجنة لاموت وياأهل النار لاموت فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبباً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال ياأهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال ياأهل النار فيطلعون مبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا؟فيقول هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال ياأهل الجنة خلود لاموت ؛ وياأهل النار خلود لاموت» رواه النسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح وهذا الكبش والاضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لاخيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحا وقال الموت عرض والعرض لايتجسم فضلا عن أن يذبح وهذا لايصح فان الله سبحانه ينشىء من الموت صورة كبش يذبح كما ينشىء من الأعمال صورا معاينة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشىء من الاعراض أجساما تكون الاعراض مادة لها وينشىء من الاجسام أعراضا كما ينشىء سبحانه من الاعراض أعراضا ومن الاجسام أجساما فالاقسام الاربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعا بين النقيضين ولا شيأ من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال ان الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل

الباطل الذى لايوجبه عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمرادالرسول صلى الله عليه وسلم من كلامه فظن هذا القائل ان لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذى ذكرناه وأن الله سبحانه ينشىء من الاعراض أجساما ويجعلها مادة لها كما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم « تجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان » الحديث فهذه هى القراءة التى ينشئها الله سبحانه غمامتين وكذلك قوله فى الحديث الآخر «ان ماتذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله ينعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن» ذكره أحمد وكذلك قوله فى حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التى يراها «فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيىء» وهذا حقيقة لاخيال ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذى يقسم بين المؤمنين يوم القيامة الا نفس ايمانهم انشأ الله سبحانه لهم منه نورا يسعى بين أيديهم فهذا امر معقول لو لم يرد به النص فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل (وقال) سعيد عن قتادة بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال: «ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له من أنت فوالله انى لأراك امرأ الصدق فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة. وأما الكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فوالله انى لاراك امرأ السوء فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج يمثل له عمله فى صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نورا بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله (يهديهم ربهم بايمانهم) والكافر يمثل له عمله فى صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى يقذفه فى النار ، وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن انه ذكر هذه الآية (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) قل علموا ان كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين قيل لا قالوا ان هذا لهو الفوز العظيم وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهنيئا لهم فى جوار الله طول بكى حتى تجرى دموعه على لحيته

(فصل)

(فى ارتفاع العبادات فى الجنة الا عبادة الذكر فانها دائمة)

(روى) مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس» وفى رواية «التسبيح والتكبير كما تلهمون» بالتاء المثناة من فوق أى تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الانفاس كما تلهمون أنتم النفس

(فصل)

(فى تذاكر أهل الجنة ماكان بينهم فى دار الدنيا)

قال الله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين) الآيات وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) وذكر ابن أبى الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه: «اذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الاخوان بعضهم الى بعض فيسير سرير هذا الى سرير هذا وسرير هذا الى سرير هذا حتى يجتمعا جميعا فيتكىء هذا ويتكىء هذا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه نعم يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا واذا تذاكروا ماكان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم فى الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الاحاديث أولى وأحرى فان المذاكرة فى الدنيا فى ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع فتذاكر ذلك فى الجنة اعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم

﴿الباب السبعون﴾

(فى ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره)

قال الله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها) وقال تعالى (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (ان الذين قالوا ربنا

الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) وقال تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) وقال تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى (انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) وقال تعالى (ياأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) وقال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) وقال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) وقال تعالى (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال تعالى (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) وقال فى الجنة (أعدت للمتقين) وقال (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنة الفردوس نزلا) وقال تعالى (قد أفلح المؤمنون) الى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وفى المسند وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «قد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم تلا قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر آيات» وقال تعالى (ان المسلمين والمسلمات) الي قوله (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)
وقال تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) وقال تعالى (وسارعوا إلى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون
فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن
يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)
وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون) الى قوله(وبشر المؤمنين) وقال تعالى (ولمن خاف
مقام ربه جنتان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هى المأوى) وهذا فى القرآن كثير مقداره على ثلاث قواعد
ايمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم
أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دارت بشارات القرآن والسنة
جميعها وهى تجتمع فى أصلين اخلاص فى طاعة الله واحسان إلى خلقه وضدها
يجتمع فى الذين يراؤن ويمنعون الماعون وترجع إلى خصلة واحدة وهى موافقة
الرب تبارك وتعالى فى محابه ولا طريق إلى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا
وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الاصل
فهى بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لااله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن
الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها تصديق الرسول فى كل
ماأخبر به وطاعته فى جميع ماأمر به ايجابا واستحبابا كالايمان بأسماء الرب وصفاته
وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما
قال الشافعى رحمه الله: الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه وفوق مايصف به خلقه،
وكانه أخذ هذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم «اللهم لك الحمد كالذى تقول
وخيراً مما نقول» وقد ذكرنا فى أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث
التى أجمعوا عليها كما حكاه الاشعرى عنهم ونحن نحكى إجماعهم كما حكاه حرب
صاحب الامام أحمد عنهم بلفظه ، قال فى مسائله المشهورة هذه مذاهب أهل
العلم وأصحاب الاثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا وادركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيأ من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق قال وهو مذهب أحمد واسحق بن ابراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم ان الايمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة، والايمان يزيد وينقص * ويستثنى من الايمان غير أن لا يكون الاستثناء شكا انما هى سنة ماضية عند العلماء فاذا سئل الرجل أمؤمن أنت فانه يقول أنا مؤمن ان شاء الله * أو مؤمن ارجوا، ويقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومن زعم أن الايمان قول بلا عمل فهو مرجىء * ومن زعم أن الايمان هو القول والاعمال شرائع فهو مرجىء، ومن زعم أن الايمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ومن لم ير الاستثناء فى الايمان فهو مرجىء * ومن زعم أن إيمانه كايمان جبريل والملائكة فهو مرجىء * ومن زعم أن المعرفة فى القلب وان لم يتكلم بها فهو مرجىء * والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاه على عباده . وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاؤه بل هم كلهم صائرون الى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليه وهو عدل منه جل ربنا وعز، والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصى كلها بقضاء الله من غير أن يكون لاحد من خلقه على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، وعلم الله عز وجل ماض فى خلقه بمشيئة منه فهو سبحانه قد علم من ابليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى الى قيام الساعة المعصية وخلقهم لها، وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها ، فكل يعمل لما خلق له وصائر الى ما قضى عليه لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته، والله الفعال لما يريد ، ومن زعم ان الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن العباد شاءوا لانفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله تعالى، وأى افتراء على الله أكبر من هذا ؟ ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد هل شاء الله عز وجل أن يخلق هذا الولد وهل مضى فى سابق علمه؟ فان قال لا فقد زعم أن مع

الله خالقا وهذا الشرك صراحا ، ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر فقد زعم أن هذا الانسان قادر على أن يأكل رزق غيره وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذى قضى الله أن يأكله من الوجه الذى أكله ، ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من الله عز وجل فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله،وأى كفر أوضح من هذا؟بل ذلك بقضاء الله عز وجل وذلك عدل منه فى خلقه وتدبيره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذى يفعل مايريد .ومن أقر بالعلم لزمه الاقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقماءة * ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه فى النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها الا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء فى حديث ولا بنص الشهادة ولا نشهد لاحد أنه فى الجنة بصالح عمله ولا لخير أتاه الا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء على ماروى ولا بنص الشهادة والخلافة فى قريش مابقى من الناس اثنان وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها الى قيام الساعة.والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وان لم يكونوا بررة عدولا أتقياء.ودفع الصدقات والخراج والاعشار والفىء والغنائم اليهم عدلوا فيها أو جاروا والانقياد لمن ولاه الله عز وجل امركم لاتنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا .ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة.وان أمرك السلطان بامر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه والامساك فى الفتنة سنة ماضية واجب احترامها ؛ فان ابتليت فقدم نفسك دون دينك ، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن اكفف لسانك ويدك وهواك * والله المعين * والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحدا منهم بذنب ، ولا تخرجه عن الاسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث كما جاء ؛ وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها الى الكفر والخروج من الاسلام فاتبع ذلك ولا تجاوزه * والأعور الدجال خارج لاشك فى ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين.وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار * ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات * وحوض محمد صلى الله عليه وسلم حق،حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه، والصراط حق

يوضع على سواء جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء الله أن يوزن * والصور حق ينفخ فيه اسرافيل فتموت الخلق ثم ينفخ فيه الاخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب * والجنة والنار * واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء * والقلم حق كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر، والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار * ويخرج قوم من النار بعد مادخلوها ولبثوا فيها ماشاء الله ثم يخرجهم من النار ، وقوم يخلدون فيها أبدا وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عز وجل، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وقد خلقت الجنة ومافيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى مافيهما أبداً فاذا احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل «كل شيء هالك الا وجهه» وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لامن الدنيا والحور العين لايمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لاللفناء ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل ، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الارض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم مافي السموات والارضين وما بينهما وماتحت الثرى ؛ وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات * ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال ، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء، ولا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وماهو أعلم به فان احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ، وقوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) ونحو هذا من متشابه القرآن فقل انما يعني بذلك العلم ان الله عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن

من خلقه لايخلو من علمه مكان * ولله عز وجل عرش وللعرش حملة يحملونه
والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد * والله عز وجل سميع لايشك، بصير
لايرتاب، عليم لايجهل، جواد لايبخل، حليم لايعجل، حفيظ لاينسى، ولا يسهو،
قريب لايغفل ويتكلم وينظر ويبسط، ويضحك ويفرح، ويحب ويكره ويبغض،
ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم، ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة الى
السماء الدنيا كيف شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقلوب العباد بين
أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد ؛ وخلق آدم بيده
على صورته ، والسموات والارض يوم القيامة فى كفه ، ويضع قدمه فى النار
فتنزوى ويخرج قوما من النار بيده ؛ وينظر الى وجهه أهل الجنة يرونه فيكرمهم
ويتجلى لهم وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلي ذلك
غيره عز وجل ؛ والقرآن كلام الله الذى تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن
مخلوق فهو جهمى كافر ، ومن زعم ان القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس
بمخلوق فهو أخبث من القول الأول ، ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة
والقرآن كلام الله فهو جهمى ؛ وكلم الله موسى تكليما منه اليه، وناوله التوراة
من يده الى يده ؛ ولم يزل الله عز وجل متكلما ؛ والرؤيا من الله وهى حق اذا
رأى صاحبها فى منامه ماليس ضغثاً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم
على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا
من الانبياء وحيا فاى جاهل أجهل ممن يطعن فى الرؤيا ويزعم أنها ليست
بشيء؟ وبلغنى ان من قال هذا القول لايرى الاغتسال من الاحتلام ؛ وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم . « إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده » وقال
: « ان الرؤيا من الله » وذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم
والكف عن ذكر مساويهم التى شجرت بينهم فمن سب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو
عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضى خبيث مخالف لايقبل الله منه صرفا ولا
عدلا، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والاخذ بآثارهم فضيلة
وخير الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان
بعد عمر وعلى بعد عثمان ووقف قوم على عثمان ؛ وهم خلفاء راشدون مهديون
ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الاربعة خير الناس ؛ لايجوز
لاحد ان يذكر شيأ من مساويهم ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص

فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فان تاب قبل منه وان لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده فى الحبس حتى يموت أو يرجع ؛ ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حبهم ايمان وبغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالى الذين لايحبون العرب ولايقرون لهم بفضل فان قولهم بدعة؛ ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله فالرجل ينبغى له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه فان ترك ذلك على أنه لايرى الكسب فهو مخالف ، والدين انما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالاخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضا حتى ينتهى ذلك الى رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من الائمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار؛ ولا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف الى أن قال فهذه الاقاويل التى وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والاثر وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه * قلت حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق وله عنهما مسائل جليلة وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدى وهذه الطبقة وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها * ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقا لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مرارا وقد جمعت منه فى مسئلة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفرا متوسطا فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى قولا وعملا واعتقادا وبالله التوفيق

(فصل)

(ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا وهو خاتمة دعوى أهل الجنة)

قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار

فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قال حجاج عن ابن جريج أخبرت أن قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم قال اذا مر بهم الطير ليشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام،قال فاذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (قال سعيد) عن قتادة قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم يقول ذلك دعاؤهم فيها وتحيتهم فيها سلام (وقال) الاشجعى سمعت سفيان الثورى يقول اذا أرادوا الشىء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم مادعوا به ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لايليق به (وذكر) سفيان عن عبدالله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال تنزيه الله عن السوء» وسأل ابن الكواء عليا عنها فقال كلمة رضيها الله تعالى لنفسه وقال حفص بن سليمان بن طلحة ابن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء» فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم اذا استدعوا شيأ قالوا سبحان الله وعن آخر دعواهم عند مايحصل لهم وهو قولهم الحمد لله رب العالمين ومعنى الآية اعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسئلة وفى الحديث أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة فاخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس * وفى هذا اشارة إلى ان التكليف فى الجنة يسقط عنهم ولاتبقى عبادتهم الا هذه الدعوى التى يلهمونها،وفى لفظة اللهم اشارة إلى صريح الدعاء فأنها متضمنة لمعنى ياألله فهى متضمنة للسؤال والثناء وهذا هو الذى فهمه من قال إذا أرادوا الشىء قالوا سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع انهم قصروا به،فانهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عند ما يريدون الشىء،وليس فى الآية ما يدل على ذلك ،بل يدل على ان أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت ارادة الشىء وهذا كما انه لايليق بمعنى الآية فهو لايليق بحالهم والله تعالى أعلم بالصواب

فهرس

الصفحة　　　　الموضوع

٤　فصل ولما علم الموفقون ماخلقوا له إلى آخره
٥　شعر فى وصف الجنة
٧　فصل وهذا كتاب اجتهدت فى جمعه و ترتيبه الخ
١١　الباب الأول فى بيان وجود الجنة الآن
١٩　« الثانى فى اختلاف الناس فى الجنة التى اسكنها آدم هل هى جنة الخلد ام جنة أخرى
٢١　الباب الثالث فى سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد
٢٥　» الرابع فى سباق حجج الطائفة التى قالت ليست جنة الخلد
٢٩　» الخامس فى جواب ارباب هذا القول لأصحاب القول الأول
٣٢　» السادس فى جواب من زعم انها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم
٣٣　» السابع فى ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد
٣٥　» الثامن فى الجواب عما احتجت به هذه الطائفه
٣٧　» التاسع فى ذكر عدد ابواب الجنة
٤٢　» العاشر فى ذكر سعة ابوابها
٤٤　» الحادى عشر فى صفة ابوابها وانها ذات حلق
٤٤　فصل ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض الخ
٤٥　الباب الثانى عشر فى ذكر مسافة مابين الباب والباب
٤٦　» الثالث عشر فى مكان الجنة وأين هى؟
٤٨　» الرابع عشر فى مفتاح الجنة
٤٩　الباب الخامس عشر فى توقيع الجنة ومنشورها الذى يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها
٥١　فصل وأما المنشور الثانى
٥١　الباب السادس عشر توحد فى طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد
٥٣　« السابع عشر فى درجات الجنة
٥٦　« الثامن عشر فى ذكر اعلا درجاتها واسم تلك الدرجة
٥٨　« التاسع عشر فى عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده وثمنها الذى طلبه منهم الخ
٦١　فصل وههنا امر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة انما تدخل برحمة الله تعالى الخ
٦١　الباب العشرون فى طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم الخ
٦٥　» الحادى والعشرون فى اسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها الخ
٧١　» الثانى والعشرون فى عدد الجنات وأنها نوعان
٧٣　» الثالث والعشرون فى خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان
٧٥　» الرابع والعشرون فى ذكر بوابى الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم
٧٦　» الخامس والعشرون فى ذكر أول من يقرع باب الجنة
٧٧　» السادس والعشرون فى ذكر أول الأمم دخولا الجنة
٧٨　» السادس والعشرون فى ذكر السابقين من هذه الامة إلى الجنة وصفتهم
٨٠　» الثامن والعشرون فى سبق الفقراء الاغنياء إلى الجنة
٨١　» التاسع والعشرون فى ذكر اصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم
٨٤　» الثلاثون فى ان اكثر أهل الجنة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
٨٥　» الحادى والثلاثون فى أن النساء فى الجنة اكثر من الرجال وكذلك هم فى النار
٨٨　» الثانى والثلاثون فى من يدخل الجنة من هذه الامة بغير حساب وذكر أوصافهم

الصحفة	الموضوع

٩٠ » الثالث والثلاثون فى ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة
٩٢ » الرابع والثلاثون فى ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها
٩٥ » الخامس والثلاثون فى ذكر نورها وبياضها
٩٦ » السادس والثلاثون فى ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها
٩٩ الباب السابع والثلاثون فى ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة
١٠ » الثامن والثلاثون فى كيفية دخولهم الجنة ومايستقبلون عند دخولها
١٠٣ » التاسع والثلاثون فى ذكر صفة أهل الجنة فى خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار اسنانهم
١٠٤ الباب الاربعون فى ذكر أعلا أهل الجنة منزلة وأدناهم
١٠٦ » الحادى والاربعون فى تحفة أهل الجنة إذا دخلوها
١٠٨ » الثانى والأربعون فى ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق
١١٠ » الثالث والأربعون فى ذكر الاذان الذى يؤذن به مؤذن الجنة فيها
١١١ » الرابع والأربعون فى اشجار الجنة وبساتينها وظلالها
١١٢ فصل واما الطلح فأكثر المفسرين قالوا إنه شجرة الموز
١١٦ الباب الخامس والاربعون فى ثمارها وتعداد انواعها وصفاتها وريحانها
١٢٠ » السادس والأربعون فى زرع الجنة
١٢١ » السابع والاربعون فى ذكر انهار الجنة وعيونها واصنافها ومجراها الذى تجرى عليه
١٢٣ فصل وأنهار الجنة تتفجر من اعلاها ثم تنحدر نازلة إلى اقصى درجاتها
١٢٦ فصل وأما العيون
١٢٧ الباب الثامن والاربعون فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفهم
١٣٢ » التاسع والاربعون فى ذكر آنيتهم التى يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها
١٣٥ » الخمسون فى ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم الخ
١٤٠ فصل ومن ملابسهم التيجان على رؤسهم
١٤١ فصل وأما الفرش
١٤٢ فصل واما البسط والزرابى
١٤٣ فصل واما الرفرف
١٤٣ فصل واما العبقرى
١٤٤ الباب الحادى والخمسون فى ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم الخ
١٤٦ فصل واما الارائك
١٤٧ الباب الثانى والخمسون فى ذكر خدمهم وغلمانهم
١٤٩ الباب الثالث والخمسون فى ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الخ
١٥١ فصل وقوله تعالى وزوجناهم بحور عين
١٥٣ « وقال تعالى فى وصفهن حور مقصورات فى الخيام
١٥٤ « « « (فيهن خيرات حسان)
١٥٤ « « « إن أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين.
١٥٧ فصل روى البخارى فى صحيحه (لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا الخ)
١٦٠ فصل والأحاديث الصحيحة انما فيها أن لكل منهم زوجتين الخ
١٦١ الباب الرابع والخمسون فى ذكر المادة التى خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار الخ
١٦٤ الباب الخامس والخمسون فى ذكر نكاح أهل الجنة الخ
١٦٦ الباب السادس والخمسون فى ذكر اختلاف الناس هل فى الجنة حمل وولادة أم لا
١٧٣ « السابع والخمسون فى ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

الصحفة	الموضوع

١٧٥ فصل ولهم سماع أعلا من هذا
١٧٧ « « « « « « يضمحل دونه كل سماع
الباب الثامن والخمسون فى ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم
١٧٩ الباب التاسع والخمسون فى زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا وتذاكرهم ماكان بينهم فى الدنيا
١٨٢ فصل ولهم زيارة أخرى أعلا من هذه وأجل
١٨٢ الباب الستون فى ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها
١٨٤ الباب الحادى والستون فى ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى
١٨٧ الباب الثانى والستون فى ذكر السحاب والمطر الذى يصيبهم فى الجنة
١٨٨ فصل وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سببا للرحمة والحياة فى هذه الدار الخ
١٨٨ الباب الثالث والستون فى ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها
١٩١ الباب الرابع والستون فى أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور فى الخيال
١٩٦ الباب الخامس والستون فى رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة وبيان الأدلة
١٠٥ وأما الأحاديث الدالة على الرؤية فمتواترة وبيانها.
٢٣١ فصل وهاك بعض ماقاله بعض أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأئمة الاسلام بعدهم فى الرؤية
٢٣٤ فصل وأما التابعون أى وقولهم فى الرؤية الخ
٢٣٥ « فى المنقول عن الأئمة الاربعة الخ
٢٤٠ « فى وعيد منكرى الرؤية
٢٤١ الباب السادس والستون فى تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته اياهم وسلامه عليهم
٢٤٢ الباب السابع والستون فى أبدية الجنة وانها لاتفنى ولا تبيد وفيه فصول
٢٤٤ فصل وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال الخ
٢٤٨ فصل وأما أبدية النار ودوامها
٢٥٤ فصل والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق وبيانها
٢٥٧ فصل ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا الخ
٢٧٤ الباب الثامن والستون فى ذكر آخر أهل الجنة دخولا اليها)
٢٧٧ الباب التاسع والستون وهو باب جامع فيه فصول منثورة
« فصل فى لسان أهل الجنة
« فصل فى احتجاج الجنة والنار
٢٧ فصل فى أن الجنة يبقى فيها فضل
« فصل فى امتناع النوم على أهل الجنة
٢٧٩ فصل فى ارتقاء العبد وهو فى الجنة من درجة إلى درجة
« فصل فى إلحاق ذرية المؤمن به فى الدرجة وإن لم يعملوا عمله
٢٨١ فصل فى أن الجنة تتكلم
٢٨٢ فصل فى أن الجنة تزداد حسنا على الدوام
« فصل فى أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن
« فصل فى ذبح الموت بين الجنة والنار
٢٨٥ فصل فى ارتفاع العبادات فى الجنة الخ
« فصل فى تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم فى دار الدنيا
الباب السبعون فى ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره
٢٩٢ فصل ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولا الخ